المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات والدراسات الإستراتيجية - مسارات
The Palestinian Center For Policy Research and Strategic Studies - MASARAT

الشباب الفلسطيني
من الحركة إلى الحراك
(2018-1908)

أحمد جميل عزم

المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات والدراسات الإستراتيجية - مسارات
The Palestinian Center For Policy Research and Strategic Studies - MASARAT

الشباب الفلسطيني من الحركة إلى الحراك

(2018-1908)

أحمد جميل عزم

مساعدو/ات بحث:

آية زيناتي، ريَّا الصانع، سماح كساب، عايدة الحجار، عفاف الشمالي، لبنى قطامي، مهند الأخرس

2019

الشباب الفلسطيني من الحركة إلى الحراك

(2018-1908)

الطبعة الأولى: كانون الثاني 2019

جميع الحقوق محفوظة

ISBN: 978-9950-400-17-7

يصدر هذا البحث في إطار برنامج «تعزيز المشاركة السياسية للشباب الفلسطيني» الذي ينفذه
مركز مسارات بالتعاون مع مؤسسة آكشن إيد - فلسطين

المركز الفلسطينيّ لأبحاث السياسات والدّراسات الإستراتيجيّة (مسارات)

المقر الرئيسي: مقابل بلدية البيرة، عمارة كراكرة، ط2

هاتف: 3816 297 2 970+

مكتب غزة: الميناء، مقابل فندق غزة الدولي، عمارة أبو العوف، الطابق الأرضي

هاتف: 0020 288 8 970+

بريد إلكتروني: masarat.ps@gmail.com

الصفحة الإلكترونية: www.masarat.ps

مركز مسارات Masarat Center

تصميم وطباعة: مطبعة ثيرد دايمنشن 02-2413903/4

ما يرد في هذا الإصدار من آراء ومواقف يعبر عن وجهة نظر المؤلفين
ولا يعكس بالضرورة موقف مركز مسارات ومؤسسة آكشن إيد

المحتويات

تقديم 5

ملخص..... 9

مقدمة..... 13

الفصل الأول: إطار نظري ودراسات سابقة 19

الفصل الثاني: بانوراما تاريخية للحركات الشبابية الفلسطينية 29

2-1 الشباب في مرحلة ما قبل النكبة 31

2-2 ما بعد النكبة 36

2-3 مرحلة الثورة إلى أوسلو (1967-1994) 42

2-4 مرحلة أوسلو (1993-2000) 50

2-5 انتفاضة الأقصى 53

2-6 ما بعد الصدمة (2005-2011) 64

الفصل الثالث: الحراكات والمجموعات الشبابية (2011-2018) 81

3-1 الضفة الغربية وقطاع غزة - حراكات ومجموعات 83

3-2 القدس..... 116

3-3 قطاع غزة 119

3-4 الأراضي المحتلة العام 1948..... 123

5-3 الأردن 129
6-3 سوريا 131
7-3 لبنان 133
8-3 الولايات المتحدة الأميركية 140
9-3 المملكة المتحدة 149

الفصل الرابع: من الحراك إلى الحركة (خاتمة سياساتية) 157

قائمة المصادر والمراجع 167

المشاركون/ات 173

الملخص بالإنجليزية

تقديم

يـأتي إصـدار هـذا البحـث انسـجاماً مـع الـدور الـذي يلعبـه مركـز مسـارات في تعزيـز المشـاركة السياسـية للشـباب؛ إذ أولى المركـز اهتمامـاً رئيسـياً ومتزايـداً بالشـباب مـن الجنسـين، نظـراً للحجـم الـذي يمثلـه في المجتمـع الفلسـطيني، ولمـا يتميـز بـه مـن طاقـة وحيويـة وقـدرة عـلى الإنتـاج والإبـداع، كـما يظهـر مـن خـلال البرامـج التـي يواصـل المركـز تنفيذهـا منـذ تأسيسـه في العـام 2011.

بـدأ المركـز عملـه مـع الشـباب ضمـن برنامـج التواصـل الشـبابي الـذي نُفـذ في العـام 2011، وهـدف إلى تأمـين جسـور مـن التواصـل بـين مجموعـات مختلفـة مـن الشـباب الفلسـطيني في مختلـف أماكـن تواجـده، وإلى تحقيـق مسـتويات مـن تفهـم تطلعـات واحتياجـات الشـباب في كل تجمـع، وتطويـر دوره عـلى مختلـف المسـتويات السياسـية والاقتصاديـة والاجتماعيـة والثقافيـة، بمـا يكفـل المشـاركة في صنـع القـرار وتطويـر بنيـة وبرنامـج وآليـات عمـل النظـام السـياسي الفلسـطيني.

وواصـل المركـز العمـل مـع الشـباب مـن خـلال البرنامـج التدريبـي والمعـرفي «التفكـير الإسـتراتيجي وإعـداد السياسـات» الـذي بـدأ منـذ العـام 2014، وخـرج أربـع دفعـات (90 متدربـاً/ة) امتلكـوا مهـارات في مجـال التفكـير الإسـتراتيجي واسـتشراف المسـتقبل، وأنتجـوا 90 ورقـة تقديـر موقـف وتحليـل سياسـات، ومـن ثـم أسـس «منتـدى الشـباب الفلسـطيني للسياسـات» دعـماً لخريجـي هـذا البرنامـج، الـذي يهـدف إلى المسـاهمة في تعزيـز مشـاركة الشـباب الفلسـطيني مـن خـلال إنتـاج أوراق سياسـات وتقديـر موقـف بمجالاتهـا المختلفـة.

كـما نفـذ المركـز في العـام 2017 برنامـج «الشـباب يريـد»، الـذي شـارك فيـه 420 شـاباً مـن مختلـف التجمعـات، وهـدف إلى تطويـر رؤيـة شـبابية فلسـطينية تسـاهم في الإجابـة عـن الأسـئلة، السياسـية والوطنيـة والاجتماعيـة والثقافيـة والاقتصاديـة الفلسـطينية، ذات الصلـة بحيـاة الفلسـطينيين في الحـاضر والمسـتقبل في ظـل مـا يواجهـه المـشروع الوطنـي الفلسـطيني مـن أزمـات وتحديـات.

ويـأتي بحـث «الشـباب الفلسـطيني ... مـن الحركـة إلى الحـراك»، تتويجـاً وتطويـراً للجهـد الـذي بذلـه مركـز مسـارات مـع قطـاع الشـباب، ويـدرس هـذا البحـث تجليـات الحـركات الشـبابية الفلسـطينية منـذ مطلـع القـرن العشريـن وحتـى وقتنـا الحـاضر، مـن خـلال دراسـة أشـكال نموذجيـة للمشـاركة السياسـية للشـباب الفلسـطيني في الـشرط الاسـتعماري الصهيـوني الـذي تعيشـه فلسـطين، قـادرة عـلى تعزيـز الـدور الوطنـي والسـياسي للشـباب. وتقـوم الفكـرة الأساسـية للبحـث عـلى وجـود تحـول في نمـط العمـل الشـبابي مـما يسـمى مـن «الحركـة» إلى «الحـراك».

ويعـد هـذا البحـث بمثابـة تأريـخ وتحليـل للحـراكات الشـبابية، مـع هـدف سياسـاتي هـو تقييم التجربـة ووضـع توصيـات وأسـس تتعلـق بـأي حـراك مسـتقبلي. وبذلـك، يتضمـن البحـث ثلاثـة مُخرَجـات: أولهـا، إطـار نظـري للحـركات الشـبابية الحديثـة، وهـو أمـر يغنـي المكتبـة العربيـة. ثانيـاً، وهـو الأمـر الأسـاسي، توثيـق تحليـلي بانورامـي للحـراكات والمجموعـات الشـبابية الفلسـطينية حتـى العـام 2018. ثالثـاً، رؤى سياسـاتية مسـتقبلية تتصـل وأشـكال مشـاركة مـوصى بهـا مـن جانـب، ومحـددات ومعـالم برامـج بنـاء قـدرات للشـباب يعكـف مركـز مسـارات عـلى تنفيذهـا بالتعـاون مـع مؤسسـة آكشـن إيـد - فلسـطين، بهـدف دعـم تحقيـق الرؤيـة السياسـاتية المسـتقبلية ذات الصلـة وتعزيـز مشـاركة الشـباب الفلسـطيني مـن جانـب آخـر.

وفي هـذا السـياق، سـعى البحـث إلى تقديـم صـورة أشـمل للحـراكات الشـبابية، بدراسـة عـدد أكـبر مـن الحـالات، منتـشرة جغرافيـاً في مناطـق أوسـع. فكـما يلاحـظ أن أغلـب الدراسـات السـابقة، ركـزت الاهتـمام عـلى الداخـل الفلسـطيني، وأهملـت، بشـكل خـاص، الشـباب خـارج البلـدان العربيـة، عـلى الرغـم مـن أنّـه، وكـما يتضـح مـن هـذا البحـث، هنـاك نشـاط شـبابي

فلسطيني متميز في الولايات المتحدة الأميركية وأوروبا، لم يُوثّق، وقد عمل هذا البحث على توثيقه. فضلاً عن ذلك، يجري في هذا البحث دراسة جوانب من الحركة الشبابية تتعدى الحراكات التي حدثت في الميدان، وحققت تغطية إعلامية، إلى دراسة واقع الأطر والاتحادات والانتخابات الطلابية، التي لم تتناولها دراسات أخرى، بمعنى أنّ البحث يدرس ما هو متحرك وجديد.

في النهاية، يعرب مركز مسارات عن شكره للباحث الرئيسي ومساعديه، وكل من ساهم في إنجاز هذا البحث المتميز، ونأمل أن يشكل إسهاماً في تطوير المشاركة السياسية للشباب الفلسطيني.

مركز مسارات

ملخص

يـدرس هـذا البحـث تجليـات الحـراكات الشـبابية الفلسـطينية منـذ العـام 2011، ولكـن مـن أجـل فهـم السـياق التاريخـي، وإدراك خلفيـات المشـهد الراهـن، تمـت دراسـة الحـركات الشـبابية منـذ مطلـع القـرن العشريـن.

تقـوم الفكـرة الأساسـية للبحـث عـلى وجـود تحـول في نمـط العمـل الشـبابي مـما يسـمى «الحركـة» إلى «الحـراك»، لكـن هـذا التحـول يبـدو أنـه بلـغ مـداه، وهنـاك إرهاصـات للبحـث عـن أشـكال أقـرب للحركـة. ويتضمـن نمـط الحركـة تبنـي القائمـين عليهـا مشروعـاً وطنيـاً شـاملاً، ويـأتي هـذا، أحيانـاً، في حـالات الفـراغ السـياسي والشـعور بعـدم وجـود قيـادة وأطـر سياسـية فاعلـة تعمـل عـلى تطويـر برامـج ومواقـف قـادرة عـلى مواجهـة التحديـات الخارجية، واسـتقطاب التأييـد الشـعبي. ومـن الأمثلـة عـلى ذلـك، تأسـيس مؤتمـر الشـباب الفلسـطيني في الثلاثينيـات الـذي نشـأ بعـد حالـة الشـلل التـي أصابـت المؤتمـر العـربي الفلسـطيني، والـذي كان أشـبه ببرلمـان وقيـادة فلسـطينيين. وهـو مـا تجسـد، أيضـاً، في رابطـة طلبـة فلسـطين، في القاهـرة مطلـع الخمسـينيات، ومجموعـات الطلبـة التـي نشـطت تحـت اسـم جمعيـة العـروة الوثقـى في الجامعـة الأميركيـة في بـيروت، ونتـج عـن الأولى حركـة التحريـر الوطنـي الفلسـطيني، «فتـح»، وعـن الثانيـة حركـة القوميـين العـرب، التـي انبثقـت عنهـا «الجبهـة الشـعبية لتحريـر فلسـطين».

عندمـا لم تكـن هـذه الحـركات الشـبابية مقدمـة لمـشروع وطنـي شـامل، نتيجـة وجـود فـراغ، فإنهـا شـكلت ذراعـاً لفصائـل أو أحـزاب تعلـن امتـلاك مـشروع وطنـي عـام، وتسـتقطب تأييـداً شـعبياً عـلى أساسـه، وهـو الوضـع الـذي سـاد في سـبعينيات القـرن العشريـن وثمانينياتـه،

عندما أسست الفصائل الفلسطينية أذرعها وكتلها الطلابية والشبابية، التي انتظمت، أيضاً، وتحالفت وتنافست داخل الاتحاد العام لطلبة فلسطين، الذي شكّل إطار عمل مهماً وناشطاً في بلدان الشتات الفلسطيني المختلفة.

بدأت في العالم مع مطلع تسعينيات القرن العشرين ظاهرة «الحراكات»، وهي عبارة عن موجات من الاحتجاج والنشاط الجماهيري، المفتقر للأيديولوجيا إلى حد كبير، وغير المرتبطة بالأحزاب، التي تؤمن بالعمل المباشر في الشارع لتحقيق هدف ما، مع ترك تطورات الحدث في الميدان توجه دفة الأمور، دون خطط ومطالب وبنى معدة مسبقاً، ودون قيادات واضحة للحراكات. ومع نهاية الحرب الباردة، وسقوط الاتحاد السوفييتي، والمعسكر الاشتراكي، وما تبع ذلك من ظاهرة العولمة الرأسمالية، ووسائل التواصل الإلكترونية التي منحت الأفراد قدرات عالية، أو -على الأقل- الإحساس بالقدرة العالية، على الفعل، والتواصل، لم تتراجع قوة ومركزية دور الدولة في العالم وحسب (على الأقل هكذا بدت الأمور لعدد من السنوات)، بل تراجعت أهمية الأحزاب، والفصائل، والقوى المنظمة، ودورها وجاذبيتها، وهو ما سيقدم هذا البحث شواهد عليه.

كانت الحالة الفلسطينية في التسعينيات استثناءً إلى حد كبير من الاتجاه العالمي لضعف السلطات والقوى المركزية، وذلك لأن هذا العقد شهد عملية بناء السلطة الفلسطينية بعد اتفاقيات السلام المؤقتة الانتقالية، وكان مخطط قيادة منظمة التحرير الفلسطينية أو رهانها، تحول هذه السلطة إلى دولة، لذلك زاد التركيز على الفعل الرسمي (الحكومي) والبيروقراطي، بدل الفعل الشعبي غير الرسمي، ما أدى إلى حالة من «اللاتسييس» (أي ابتعاد الشباب عن العمل السياسي المباشر المؤطر ضمن منظمات ووفق رؤى فكرية وأيديولوجية)، وأدى إلى انهيار كثير من المنظمات الشبابية والطلابية والشعبية الفلسطينية حول العالم، بما في ذلك الاتحاد العام لطلبة فلسطين، الذي توقفت انتخاباته منذ العام 1990، وتلاشت الغالبية العظمى من فروعه حول العالم.

تراجعت حالة تهميش دور الشباب ودور المبادرات الشعبية عندما جاءت انتفاضة الأقصى العام 2000، ولكن أدت عوامل، من بينها السياسات الإسرائيلية، إلى عسكرتها، ما أدى إلى التركيز على المقاومة العسكرية كرد على الاعتداءات الإسرائيلية العسكرية. وعلى

الرغـم مـن عـودة حالـة المقاومـة المسـلحة، وبالتـالي عـودة درجـة مـن درجـات التسـييس، بـين العامـين 2000 - 2005، فـإنّ النشـاط المـدني الشـعبي، وكنتيجـة لحالـة العسـكرة والقمـع الإسرائيـلي الشـامل، لم يبـدأ بالظهـور فعليـاً إلا مـع نهايـات تلـك الانتفاضـة نحـو العـام 2004-2005.

كانـت ثـورات الربيـع العـربي في تونـس ومـصر، العامـين 2010 و2011، نقطـة بـارزة في مشـهد الشـارع الشـبابي الفلسـطيني، داخـل فلسـطين وخارجهـا، بأشـكال وطـرق متفاوتـة، وبشـكل عـام، انتـشر اسـتخدام تعبـير الحـراك في السـاحة الفلسـطينية.

يمكـن تتبـع وتحليـل مجموعـة سـمات للحـراكات، تختلـف عـن الحـركات. أولاهـا، أنـه عـلى الرغـم مـن أن جـزءاً مـن ظهـور الحـراكات جـاء تعبـيراً عـن شـعور بالفـراغ السـياسي (عـدم وجـود عمـل مؤطـر جـاذب) وعـدم قـدرة البنـى السياسـية الراهنـة عـلى القيـام بأعبـاء المـشروع الوطنـي، فـإنّ الحـراكات جـاءت تتحـرك لأجـل هـدف محـدد ومحـدود، آني يـبرز في لحظـة معينـة، مـع توقـع أنّ يـؤدي تحقيـق هـذا الهـدف (إنهـاء الانقسـام مثـلاً) إلى تغيـير في مجمـل مكونـات المشـهد السـياسي، وبالتـالي سـيحدث تغـيراً إيجابيـاً، تتحـدد معالمـه لاحقـاً، بعكـس الحـركات والأطـر التـي عملـت في القـرن العشريـن، مـع تصـور واضـح -إلى حـد كبـير- للمسـتقبل ومتطلباتـه، بـل مـع تصـورات لكيفيـة تكامـل العمـل الفلسـطيني مـع سـياقات عربيـة وعالميـة أوسـع.

وكذلـك كان تركيـز الحـراكات عـلى مـا ترفضـه، أكـثر مـن سـعيها إلى مـا تقبلـه (فهـي لم تحـدد أهدافهـا بشـكل شـامل وواضـح). واختـارت، غالبـاً بقـرار متفـق عليـه، أن تكـون لديهـا بنيـة قياديـة جماعيـة تقـوم عـلى التوافـق، والتشـاور المطـول، بـين أكـبر عـدد ممكـن مـن «الناشـطين»، بعيـداً عـن البنيـة التنظيميـة التقليديـة، وأصرّت عـلى أن وسـائل التواصـل الاجتماعـي، والفعـل المبـاشر في الميـدان، يؤديـان إلى قـرارات بالتوافـق والإجـماع، دون بنـى تراتبيـة تقليديـة، وهـذا كنـوع مـن النفـور مـن العمـل الحـزبي واحتـكار السـلطة مـن قبـل قيـادات تسـتمر في مناصبهـا دون تغيـير، وبدرجـة مـن التفـرد. ويتبـع هـذا، أيضـاً، رفـض تبنـي أنمـاط عمـل تحتـاج إلى تفـرغ ونفقـات ماديـة كبـيرة.

بدراسـة التجـارب الفلسـطينية الشـبابية في الضفـة الغربيـة، والقـدس، وقطـاع غـزة، والأراضي

الفلسطينية المحتلة العام 1948، ولبنان، وسوريا، والأردن، والمملكة المتحدة، والولايات المتحدة الأميركية، يتضح أنّ هذه السمات السالفة، لم تكن نقاط قوة تماماً كما اعتقد القائمون على هذه الحراكات، وأدت إلى عمر قصير للأطر الحراكية، ولتواضع النتائج التي حققتها، وبالتالي بدأ الحديث مجدداً عن أهمية تبني أشكال وأطر عمل أكثر ديمومة ومركزية، بل وظهرت نقاشات تدعو صراحة إلى العودة إلى مفهوم الحركة (Movement)، بدل الحراك (Activism).

ولذلك ظهرت أشكال جديدة للعمل الشبابي تقع في مرتبة وسط بين الحركة والحراك، تسمى في بعض الحالات باسم «مجموعة» أو «ملتقى» وتركز هذا المجموعات، حتى إنهاء هذا البحث على الأقل، على بناء شبكة شباب يتآلفون للتفكير والقيام بنشاطات توعوية وإعلامية معاً، مع السعي إلى الانتشار في المجتمع، وذلك قبل تبني أي خطط ومواقف سياسية محددة، على عكس الحراك الذي ينطلق من موقف معين يبني حوله التحرك.

في المرحلة الراهنة، ما زال شكل التنظيم الشبابي (والمدني الشعبي) الجديد لم يتبلور، وهو موضع نقاش، ويُقدِم هذا البحث في الفصل الرابع عناوين لأجندة بحث ونقاش تساعد أي منتديات أو برامج شبابية على التفكير في المرحلة المقبلة.

مقدمة

عندما اندلعت انتفاضة الأقصى، العام 2000، وردَّ عليها الاحتلال الإسرائيلي عسكرياً، وبعنف بالغ، براً وبحراً وجواً، بدأت حملة تضامن نشطة مع الفلسطينيين، في بريطانيا، حيثُ كنت أقيم حينها. كان جزء من الحملة مجموعات شباب فلسطينية، أذكر منهم شاباً لم ألتقه يوماً ولا أعرفه، اسمه ربيع.

لم يكن هناك فيسبوك حينها، بل كان البريد الإلكتروني (الإيميل) هو الأداة، وكان أداة جديدة نسبياً، وكان ربيع أكثر من يتردد اسمه، كمنظم مركزي للحدث. كنت أستخدم بريدي الإلكتروني في جامعة إدنبرة، وبت أستقبل يومياً مئات الرسائل، وهنا لا أبالغ «مئات الرسائل»، من عناوين مختلفة، حاولت وقف هذا السيل لم أنجح، استعنتُ بفنيين في الجامعة، ولم ينجح الأمر تماماً.

لكن كان هناك شيء جديد يتشكل تلمحه في هذا «الحراك»، ومن ذلك أنه لا يوجد اسم للفصائل، أو للاتحاد العام لطلبة فلسطين، وكانت هناك طريقة جديدة في العمل، تعتمد على التنسيق اليومي المباشر بين أعداد كبيرة من الناس، لا يعرفون بعضهم بالضرورة، وقد يتدخل أي شخص جديد في أي لحظة في النقاش وعملية صناعة القرار (حول الفعاليات والتظاهرات التضامنية).[1]

بعد أشهر أرسلت لربيع رسالة أشكره على جهده، لم يجبني. ولم أسمع عنه أو منه

1 لم يكن الاتحاد العام لطلبة فلسطين غائباً تماماً، كان أعضاؤه يشاركون في بعض النشاطات، وكان رئيسه حينها، في بريطانيا، حسام زملط، يقدم محاضرات ولقاءات في أماكن مختلفة، وكان هناك بعض النشاطات الاجتماعية، بشكل خاص، وهو شبيه بما سيمر ذكره لاحقاً عند التعرض لنشاط الاتحاد، في مرحلة ما بعد العام 2011، ولكن النشاط الأساسي كان بمبادرات موقعية مستقلة، وتحت عناوين بريطانية من أحزاب وقوى، كما سيتم إيضاحه في الفصلين الثاني والثالث.

شيئاً بعد هذا. هل توقف عن العمل؟ هل ضاعت رسالتي له في طوفان الرسائل؟ هل هذه سمات الشبكات؟ أو ما صار يسمى «الحراكات»، بلا وجوه أو قيادات مستمرة؟ بدون بنية أو عناوين واضحة؟ ماذا حدث لتلك الشبكة من الناشطين؟ لماذا لم تتحول إلى تنظيم؟

سألت أكثر من ناشط وناشطة حاليين في بريطانيا عنه، وعن تلك الشبكة، ويبدو أن المعلومات لديهم محدودة، كأن تلك «الموجة» من النشاط دخلت بحر التضامن العالمي الممتد مع الشعب الفلسطيني، ولم يعد ممكناً معرفة معالمها، ولم توثّق.

هل كل الحراكات اللاحقة هكذا: عمرها قصير؟ لا تترك وثائق خلفها؟ لا وجوه كارزمية أو تاريخية باقية لها؟ وبلا خطة إستراتيجية؟ ودون عنوان أو بنية تنظيمية؟ وتعتمد مُسمى «ناشطين» متطوعين بقدر استطاعتهم ورغبتهم، بدل «الأعضاء» المنظمين الملتزمين، الذين يقبلون الالتزام بقرارات مركزية وتعليمات قيادية.

هل هذا هو النمط الجديد من النشاط المجتمعي، لا يبدأ ليستمر، بل ليتولى مهمة معنية، ثم يُخلي المجال لحملة أو «موجة» أخرى؟ ولكن لماذا اختيار هذا النوع من النشاط؟ ما الجذاب فيه؟ وهل يمكن أن يستمر؟ أو هل يمكن أن يتطور؟ وما مدى نجاحه أو فشله؟

كما سيوضح هذا البحث، فإنّ الشباب أنفسهم، بدأوا بعد العام 2014 تقريباً بالوعي أن فكرة الحراك بحد ذاتها غير كافية، وبدأوا بدراسة العودة إلى فكرة الحركة، وإلى السعي إلى بناء مجموعات للتفكير والتوعية وامتلاك القدرة على التخطيط للمستقبل، وهذا شيء يمكن مشاهدته في أكثر من ساحة يتواجد فيها الفلسطينيون، كما سيوضح البحث.

لقد شكل العمل الشبابي والطلابي جزءاً أساسياً من تاريخ العمل الوطني الفلسطيني. لقد كان تأسيس الفصائل الفلسطينية التاريخية الأساسية، وبخاصة حركة التحرر الوطني الفلسطيني (فتح)، والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، في ستينيات القرن العشرين، نتاجاً أو تطوراً، لنشاط مجموعات وأطر طلابية وشبابية، منها على سبيل المثال «رابطة طلبة فلسطين» في مصر، مطلع الخمسينيات. فلماذا لم يكن التحرك المشار إليه أعلاه، في

بريطانيا، وباقي مناطق العالم، ضمن هذه الفصائل أو ضمن الفصائل الأخرى؟ وأطرها، وأطر منظمة التحرير الفلسطينية الطلابية والشبابية؟ و/أو لماذا لم يتطور عن مثل هذا الحراك تنظيم مستمر وقوي؟

بدأت ظاهرة الحراكات الشعبية التي تحقق ثورة، في الظهور بعد الحرب البادرة مطلع التسعينيات، وأدت إلى سقوط الأنظمة الاشتراكية والشيوعية في دول المعسكر الاشتراكي السابق، مثلما حدث في تشيكوسلوفاكيا العام 1989، أو التي اندلعت في دول الاتحاد السوفييتي السابق، والدول الاشتراكية بعد سنوات من سقوط الحكم الشيوعي فيها، مثل يوغسلافيا السابقة العام 2000، وجورجيا 2003، أو كتلك التي اندلعت في أوكرانيا العام 2004 تطالب بوقف التدخل الروسي في البلاد. وأخذت هذه سمة الثورات (الثوران الشعبي) السريعة التي تؤدي إلى تغير سياسي، بعيداً عن فكرة الثورة ذات التركيب الأيديولوجي والتصورات بعيدة المدى.

لم يحدث شيء شبيه في فلسطين، فانتفاضة الأقصى العام 2000 داخل فلسطين، سرعان ما أخذت وجهاً عسكرياً، مرتبطاً بالفصائل الفلسطينية التقليدية. ولم تبدأ ظاهرة النضال المدني غير المرتبط بفصائل بالتطور إلا في السنوات التي أعقبت تلك الانتفاضة، على شكل مقاومة شعبية لمناهضة بناء جدار الفصل العنصري، داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة، العام 1967، أو ضد الاستيطان، أو حملات المقاطعة وسحب الاستثمارات. أما شبابياً، بشكل خاص، فلم تتبلور تحركات تذكر، إلا نحو العام 2011، كنوع من الصدى والتفاعل مع الثورات في تونس ومصر، ولكن هذه التحركات، أيضاً، لم تُعمّر، ولم تتطور إلى شيء مستمر أو مؤثر بوضوح.

لقد جرت محاولات لتوثيق ودراسة هذه التحركات في الماضي، كما جرت محاولات لوضع خطط عمل وسياسات تؤدي إلى تطوير عملها. يهتم هذا البحث بشكل خاص بالنشاط الشبابي، في المرحلة التالية للربيع العربي، أي بعد العام 2011، وتبني على نتائج وخلاصات دراسات سابقة، ولكنها تضيف أبعاداً جديدة إلى البحث، فهي تحاول رؤية هذه الحراكات في سياق مراجعة طويلة زمنياً بانورامية سريعة للعمل الشبابي الفلسطيني منذ نهايات العهد العثماني، وتتبع الظاهرة حتى لحظة إعداد هذا البحث (أواسط العام 2018)، كما أنها تتضمن عدد ساحات ممتدة جغرافياً على نحو أكبر مما تناولته دراسات سابقة.

إلى ذلـك، بـدأت تظهـر مجموعـات شـبابية تركـز عـلى العمـل التطوعـي والثقـافي الهـادف إلى توفـير نـوع مـن التفكـير الجديـد في العمـل السـياسي الفلسـطيني، وقـد بـدأت هـذه المجموعـات تظهـر نحـو العـام 2014، وفي سـمات تتوسـط المسـافة بـين الحـراك والحركـة، فـلا هـي ذات بنيـة تنظيميـة تراتبيـة، ولا هـي بـدون نظـام عضويـة بالمطلـق، كالحـراك، ولا يوجـد لهـا برنامـج متكامـل، ولكـن لديهـا شـعارات ومبـادئ عامـة.

لقد بدأت تجليات الربيع العربي بالثورة التي حدثت في تونس، بعد أن قام مواطن يسمى محمد البوعزيزي، بحرق نفسه يوم 17 كانون الأول (ديسمبر) 2010، فيما يبدو أنّه نتاج أزمة حياتية شخصية، وإن جسدت أزمة نظام سياسي واقتصادي-اجتماعي، من صعوبة العثور على عمل، ومصادرة شرطية لعربة خضار كان يبيع عليها، وإهانتها له، ورفض السلطات المحلية استلام شكوى ضدها، لتبدأ في اليوم التالي حركة احتجاجات ضخمة، تواصلت حتى ترك الرئيس التونسي، زين العابدين بن علي، للحكم، وخروجه من البلاد يوم 14 كانون الثاني (يناير) 2011. ولم تكد تنتهي الاحتجاجات التونسية، حتى بدأت المصرية، في 25 كانون الثاني، ولكن هذه المرة بناء على استجابة لدعوات متظاهرين من مجموعات شبابية، تشكلت للاحتجاج على الأوضاع العامة، وفي مركزها، تجاوزات رجال الشرطة في التعامل مع الناس، فتظاهر عدة آلاف فيما يعرف باسم «يوم الشرطة»، لتحدث ردة فعل قوية من الأجهزة الأمنية، نتج عنها وفاة متظاهرين، ولتنزل جموع بشكل مفاجئ في حجمها للشوارع يوم الجمعة 28 كانون الثاني، وتبدأ حركة الاحتجاج التي أدت إلى تنحي الرئيس المصري، محمد حسني مبارك، يوم 11 شباط (فبراير) 2011.

بعـد ذلـك اندلعـت احتجاجـات في بلـدان عـدة، ولا سـيما ليبيـا (حيـث رحـل النظـام، ثـم حدثـت حـرب أهليـة)، واليمـن التـي رحـل الرئيـس منهـا قبـل أن تدخـل في حـرب أهليـة، ودخـول سـوريا حربـاً أهليـة شـارك فيهـا آلاف مـن غـير السـوريين، وشـهدت البحريـن احتجاجـات سرعـان مـا تـم تحويلهـا أو تصويرهـا عـلى أنهـا خـلاف طائفـي، وشـهدت بلـدان أخـرى مثـل الأردن والمغـرب احتجاجـات لم تسـتمر طويـلاً.

وفلسـطينياً، أدت هـذه الثـورات إلى حفـز قطاعـات شـبابية، لمحاولـة تبنـي نهـج جديـد في العمـل، وهـذا مـا سيدرسـه هـذا البحـث بشـكل خـاص، سـواء مـن حيـث حجمـه وامتـداده أو طبيعتـه التنظيميـة.

منهجية البحث

يسعى هذا البحث إلى تقديم صورة أشمل للحراكات الشبابية، بدراسة عدد أكبر من الحالات، منتشرة جغرافياً في مناطق أوسع. فكما يلاحظ أن أغلب الدراسات السابقة، ركزت الاهتمام على الداخل الفلسطيني، وأهملت، بشكل خاص، الشباب خارج البلدان العربية، على الرغم من أنّه، وكما يتضح من هذه الدراسة، هناك نشاط شبابي فلسطيني متميز في الولايات المتحدة الأميركية وأوروبا، لم يتم توثيقه، وقد عمل هذا البحث على توثيق هذا النشاط. فضلاً عن ذلك، يجري في هذا البحث دراسة جوانب من الحركة الشبابية تتعدى الحراكات التي حدثت في الميدان، وحققت تغطية إعلامية، إلى دراسة واقع الأطر والاتحادات والانتخابات الطلابية، التي لم تتناولها دراسات أخرى، بمعنى أنّ البحث يدرس ما هو متحرك وجديد، كما يدرس ما هو قديم وقائم أو غائب عن النشاط على الرغم من أنه، كإطار سياسي وقانوني، موجود.

استعان هذا البحث بسبعة مساعدي بحث يغطون الساحات التالية، كلًّا على حدة: الضفة الغربية والقدس، الأراضي المحتلة العام 1948، قطاع غزة، الأردن، سوريا ولبنان، المملكة المتحدة، الولايات المتحدة الأميركية.

اعتمد مساعدو البحث في جمعهم المواد الخام الأولية، بداية، على معايشتهم، ومشاركتهم، في هذه التجارب في مكان معيشتهم، ثم على مراجعة الأدبيات المنشورة والمتاحة، ثم على مقابلات ومتابعات شخصية. والواقع أنّ عملية جمع وتوثيق المادة تفاوتت بطريقتها من ساحة إلى أخرى، فأحياناً اعتمدت على مصادر ثانوية، وأحياناً على البحث الميداني، ونتيجة لخصوصية موضوع هذا البحث، لم يتم في بعض الحالات كشف أسماء الأشخاص محور الأحداث المختلفة (ومصادر المعلومات)، لعدم رغبتهم أحياناً بذلك لأسباب أمنية وسياسية وشخصية.[1] وتم استكمال المعلومات التي أوردها مساعدو البحث من قبل الباحث، بالاعتماد على مصادر أساسية وثانوية مختلفة.

1 على سبيل المثال، في حالة كل من الأردن، والولايات المتحدة، وبريطانيا، كان هناك اعتماد مكثف على لقاءات مع أشخاص لم يرغبوا في كشف أسمائهم، وفي حالة الأردن، مثلاً، أجرى الباحث الرئيسي مقابلات شخصياً بالتشارك مع مساعد البحث هناك، وفي حالة هذه البلدان الثلاثة، فإن مساعدي البحث هم ذاتهم جزء من النشاط الشبابي المعاصر، وجزء من المعلومات التي قدموها هو أقرب إلى الشهادة التاريخية، لكن مع استكمال المعلومات وتوثيقها، أحياناً، من مصادر جرى توضيحها في البحث.

هيكلية البحث

يبدأ البحث في الفصل الأول، بمراجعة الدراسات السابقة، وبلورة إطار نظري ومفاهيمي. وفي الفصل الثاني خلفية تاريخية للعمل الشبابي الفلسطيني، في مراحل زمنية مختلفة، تسبق العام 2011، على أنّ وظيفة هذا الفصل هي توثيقية، لتوضيح السياق العام، فيما سيكون الجانب التحليلي في فصول لاحقة، ومن الجدير ذكره أن هذا الفصل جرى تقسيمه زمنياً، وفق حقب مختلفة تبدأ من العهد العثماني وتنتهي ببداية الربيع العربي.

ثم يأتي الفصل الثالث حول المرحلة ما بعد العام 2011، وتشمل توثيقاً وتحليلاً لهذه المرحلة في ست ساحات رئيسية هي فلسطين، مقسمة إلى أربع ساحات فرعية، (الضفة الغربية، والقدس، وغزة، والأراضي المحتلة العام 1948)، ثم الأردن، وسوريا، ولبنان، والولايات المتحدة الأميركية، والمملكة المتحدة، أي أن تقسيم هذا الفصل جاء جغرافياً. وقد اختيرت الساحات الأولى (فلسطين والدول العربية) لخصوصيتها وللوجود الفلسطيني المكثف بها، أما المملكة المتحدة والولايات المتحدة، فهي، من جهة، عينة للشتات الفلسطيني في الغرب، وهي، من جهة أخرى، ذات أهمية سياسية معروفة، نظراً لمكانتها الدولية والتاريخية، ولكن هذا لا يغني أن دراسات أخرى مستقبلية يجدر أن تدرس مزيداً من الساحات.

ويتضمن الفصل الرابع تحليلاً لأهم الملاحظات والاستنتاجات التي تمخضت عن الفصلين الثاني والثالث، إضافة إلى توصيات ورؤى سياساتية لتطوير العمل الشبابي الفلسطيني، ولأجندة بحث مستقبلية.

الفصل الأول

إطار نظري ودراسات سابقة

في دراسة نشرت العام 2018، يقول الباحث السياسي الأميركي، وولتر راسل ميد، إنّ «ثورة المعلومات شأنها شأن «الثورة الصناعية»، هي عبارات مستهلكة جداً، وباتت تشوش عمليات التغيير التي كان يفترض أن تبرزها. هذه العمليات ذات أثر أكبر من الثورات السياسية، تمتد من العائلة إلى الدولة، ومن الشركات إلى غرف الصف، ومن الدين إلى الحُكم، ومن الجندر إلى التمويل، لم تسلم مؤسسة اجتماعية واحدة من التغيير». ويضيف «لقد تفتتت الأحزاب السياسية؛ وأعيد بناؤها وفق أسس جديدة، وبرزت أيديولوجيات سياسية جديدة، بعضها متطرف، ظهرت من الفوضى وحصلت على تأييد واسع».[1]

مثل هذا التعميم يشير، أولاً، إلى كيف أن الثورة المعلوماتية (التي هي جزء مهم من ظاهرة العولمة) غيرت الكثير، بما في ذلك البنية السياسية للجماعات والنشاطات، ولكن، في الوقت ذاته، كثير من التفسيرات والمقولات للتغييرات اتضح أنها مشوشة وغير دقيقة.

لقد كانت هناك فرضية شائعة أنّ مجتمع الشبكات يقلل الحاجة إلى الحزب، وإلى القيادة المركزية، وأن وسائل التواصل الاجتماعي والإعلام الجديد، توفر فرصاً للتواصل والتنسيق والتنظيم، لا يعود معها ضرورياً الانتماء لفصيل، أو تشكيل قيادة مركزية. وأنّ مجموعات وقوى العمل الشعبي المدنية الناشطة في الميدان مباشرة، التي تستخدم شبكة الإنترنت، لرفض الواقع الراهن في بلدانها، هي الشكل المقبل للعمل السياسي.

1 Walter Russell Mead, The Big Shift, How American Democracy Fails Its Way to Success, Foreign Affairs, Vol.97, No.3, May-June 2018.

ولكـن اتضـح، تدريجيـاً، وعـلى الرغـم مـن أنّ هـذه القـوى الجديـدة (في مجتمـع الشـبكات)، وإن أصبحـت قـوة ثالثـة بجانـب الأنظمـة والمعارضـة التقليديـة الحزبيـة، فإنهـا لا تشـكل بديـلاً؛ فهـي «حـراكات احتجاجيـة»، وليسـت «حـركات تغيـير»، ولا توجـد لديهـا آليـات لفـرض الإصـلاح، وهـذا حـال حـركات مناهضـة الرأسـمالية، ومناهضـة العولمـة، والدعـوات إلى الإصـلاح الديمقراطـي ومكافحـة الفسـاد، وغيرهـا. فعـلى الرغـم مـن أنهـا تعـرف إلى حـد مـا مـاذا تريـد، فإنهـا تعـرف أكـثر وتعـرّف نفسـها بمـا لا تريـده، وكثـيراً مـا تفشـل في وصـف مـاذا تريـد فعـلاً.

مـا حـدث منـذ العـام 2011 عربيـاً، هـو أنّ الحـركات الاحتجاجيـة المدنيـة المسـتاءة مـن سياسـات الأنظمـة وغـير المقتنعـة بـأداء المعارضـة التقليديـة، حاولـت تخطـي عتبـة الاحتجـاج والرفـض، وأن تصبـح حـركات تغيـير، ولكـن ليـس تغيـيراً إصلاحيـاً تدريجيـاً، بـل تنشـد التغيـير الجـذري السريـع (كـما حـدث في أوروبـا الشرقيـة مثـلاً)، ودون تحديـد البديـل المنشـود بدقـة. وقـد حصـل في كل مـن مـصر وتونـس تغـير في طبيعـة الحـراك السـياسي والشـعبي عـبرت عنـه ثـورات حدثـت هنـاك، ولكـن التغيـير الحقيقـي في بنـى الدولـة لم يحصـل. وهـذا مـا لاحظـه فريـد زكريـا في صحيفـة «**واشـنطن بوسـت**»، فهـو يقـول معلقـاً عـلى الثـورة المصريـة، إنّـه إذا كان قـد تمـت «التضحيـة» في الأيـام الفائتـة (بدايـة الثـورة) برجـال أعـمال صعـدوا في السـنوات الأخـيرة، وأصبحـوا رمـزاً للمرحلـة، فـإنّ النخبـة الآتيـة للحكـم مـن الخلفيـة العسـكرية تعيـد بنـاء تماسـكها. بكلـمات أخـرى، مـا يقولـه زكريـا إنّـه حتـى سـنوات قليلـة، قبـل العـام 2011، كانـت نخبـة ذات خلفيـة أمنيـة وعسـكرية تسـيطر عـلى كل شيء تقريبـاً في مـصر، ومنهـا يـأتي المسـؤولون، ثـم جـاءت مجموعـة رجـال الأعـمال متحالفـة مـع نجـلي الرئيـس جـمال وعـلاء (اتَّهمتهـم الثـورة بالفسـاد) ليصبحـوا شركاء في المشـهد، ولكنهـم، في الحقيقـة، كانـوا شركاء غـير مرحـب بهـم، سـواء مـن قبـل الشـباب الثائـر، أو مـن قبـل النخبـة القديمـة (العسـكرية)، التـي راقبـت الوضـع وأدارتـه واسـتفادت منـه، بفضـل مـا تمتلكـه مـن مؤسسـات، وأدوات، وتقاليـد، وإمكانيـات عمـل.

لقـد توقـع زكريـا، مـع بدايـة تلـك الثـورة في مـصر، أن تحصـل انتخابـات حقيقيـة، ولكـن بفضـل سـيطرة النخـب العسـكرية والأمنيـة، لا تكـون الحكومـات فاعلـة، وسـتُقاد البـلاد مـن غرفـة خلفيـة، كـما حصـل مـع تركيـا في السـابق، وكـما يحـدث مـع باكسـتان، فـلا يكـون هنـاك

حكم ديمقراطي حقيقي.[1] وبالفعل، اتضح أنّ الشباب لم يستطيعوا متابعة الطريق، وأن التغيير الذي حفزوه، تم احتواؤه من قبل النخب القديمة، وقطفت ثماره القوى المنظمة التقليدية (بداية الإخوان المسلمين، ثم بعد ذلك مؤسسات الدولة العميقة، والمؤسسة العسكرية)، وبالتالي اتضح أن توقع أن تؤدي الحركات الاحتجاجية التي تفتقد للبرنامج والبنية القيادية والسياسية إلى تغير سريع إيجابي، أمر غير واقعي.

لا يقوم هذا البحث على إطار نظري محدد، بل تستخدم المذهب الاستقرائي، القائم على قراءة البيانات والمعلومات الميدانية (الإمبريقية)، ولكنها تستفيد من الدروس التي نتجت في تجارب غير فلسطينية، مثل مصر ودول عربية أخرى. ومن أهداف هذا البحث، إضافة إلى فهم الظاهرة موضوع البحث، الإسهام في التأطير النظري لطبيعة الحراكات المدنية الجديدة، وهنا يجدر التنويه إلى عدد من المصطلحات التي يجدر دراستها في إطار هذا البحث.

أول المصطلحات هي الحراك، وهو لفظ بات مستخدماً بكثافة بعد العام 2011. وفي البداية، لا يبدو أنه كان هناك تفكير جدي في معنى هذا المصطلح، ولكنه، بشكل عام، عكس نوعاً من النشاط الشعبي المكثف (أو نشاط قطاعات شعبية)، ضمن حركات احتجاجية تهدف إلى تغيير شيء معين، وسرعان ما اتضح أن هناك سمات للحراك، يمكن إجمالها في النقاط التالية:

- إعلان البراءة من الحزبية والفصائلية: وتقوم الحراكات عادة بالتأكيد على أن أفرادها، ومن يتحركون عبرها، هم مستقلون عن الأحزاب، وحتى لو كانوا أعضاء فيها، فإنهم يتحركون بمبادرة وقرارات ذاتية.

- المناهضة والرفض: هذه الحراكات تعرف ما لا تريد أكثر مما تعرف ماذا تريد، فهي مناهضة، ولكن دون تصور واضح للبديل. وبالتالي، هي حركات «احتجاج» و«إزالة»، وليست حركات بناء وتطوير وتغيير، على الرغم من أنها تأمل في تحقيق ذلك.

- رفض القيادة المركزية: هذه الحراكات تعلن أنه لا قيادة لها، ولا بنية محددة، وأن قراراتها توافقية جماعية.

1 Fareed Zakaria, Egypt's real parallel to Iran's revolution, Washington Post, 7 February 2011.

- الفعـل المبـاشر: تؤمـن هـذه الحـراكات بالفعـل المبـاشر، أي النـزول إلى الشـارع، وليـس بتطويـر برامـج وأيديولوجيـا.

- عـدم الاسـتمرارية: لا يوجـد لـدى الحـراكات تصـور واضـح كيـف يمكـن أن تسـتمر حتـى لـو رغـب المشـاركون فيهـا في الاسـتمرار، ويكـون هنـاك دائمـاً بحـث عـن سـبيل للانتقـال لمرحلـة مـا بعـد الحـراك، وإلغـاء الحـراك.

- ناشـطون بـدل الأعضـاء: بمـا أنّـه لا يوجـد بنيـة تنظيميـة محـددة، فـإنّ لفـظ حـراك يسـتخدم بـدل حركـة، ولفـظ ناشـط بـدل عضـو، والفـرق الأسـاسي بـين الناشـط والعضـو، أن الأول أقـل التزامـاً، وأقـل اسـتمراريةً، فالناشـط عـادة يؤمـن بقـدر مـن الفرديـة والحرية في بـدء النشـاط متـى شـاء، وإنهائـه متـى شـاء، ولا يوجـد لديـه مـا يدعـوه، مثـلاً، إلى إعـلان الاسـتقالة مـن شيء مـا، ويؤمـن بحريتـه بالمبـادرة أو تغيـير المواقـف، ولا يوجـد مـن هـو أعـلى مرتبـة منـه في اتّخـاذ القـرارات.

وسيقوم هذا البحث بوضع هذه السمات موضع الاختبار عند بحث الحالة الفلسطينية.

وتعتـبر الفرضيـة الأساسـية لهـذا البحـث أن «الشـباب الفلسـطيني انتقـل مـن السـعي إلى تأسـيس حركـة أو الانضـمام لهـا، إلى البحـث عـن حـراك، لكـن دون إدراك لمـا يفعلونـه». والحركـة هـي، بشـكل أسـاسي، تنظيـم لـه بنيـة واضحـة وقيـادة، وإن كانـت فضفافـة ومرنـة تتسـع لكثيريـن. والحركـة، تاريخيـاً، وبخاصـة في التطبيـق الفلسـطيني، أوسـع مـن الحـزب. والجبهـة في السـياق الفلسـطيني كانـت تعنـي جمـع قـوى مختلفـة معـاً، ولكـن الحقيقـة أنهـا اسـتخدمت لتعنـي الحـزب المقاتـل أو المسـلح. وإذا كان مـن المفهـوم أسـباب انتقـال الشـباب والابتعـاد عـن الحـركات والجبهـات، وذلـك أنهـا تحولـت إلى أحـزاب سـلطة أو معارضة تعـاني مـن البيروقراطيـة والتكلـس الفكـري، ودون تقديـم برامـج جديـدة، كـما سـيلي توضيحـه لاحقـاً، فـإنّ هـذا البحـث يبـدأ بفرضيـة أنّ هـذه الأسـباب غـير واضحـة في خطـاب الحـراكات الشـبابية.

هنـاك بعـض الكتابـات والدراسـات التوثيقيـة للحـراكات الشـبابية، وتفتقـر للتحليـل المعمـق، وإن قدمـت مـواد ًخامـاً مهمـة للتحليـل والفهـم، ولكـن هنـاك اسـتثناءات، منهـا أكـثر مـن دراسـة لجميـل هـلال، ودراسـة مشـتركة للباحثـين لنـدا طـبر وعـلاء العـزة، وأهميـة هـذه

الدراسات أنها تقدم مجموعة استخلاصات مفيدة جدا في تطوير الإطار النظري لدراسة ظاهرة الحراكات الشبابية، ويمكن عرضها فيما يلي.

ظهر في العام 2013 كتاب عن مركز «مسارات»، من «إشراف وتقديم» جميل هلال، وتأليفه مع مجموعة بحثية ضمت مناطق فلسطين المختلفة، ولبنان، وحملت عنوان «الحراكات الشبابية الفلسطينية، رؤية نقدية استشرافية». ولا شك أنّ هذا البحث يسجل له السبق في صدوره في وقت مبكر، من عمر ما صار يسمى «الحراكات الشبابية»، كما أنّه تضمن مساهمات من شبان قريبين أو منخرطين من الحراكات ذاتها. يعكس عنوان الكتاب نزعة سياساتية واضحة، هدفها تحسين نمط المشاركة، والتنبؤ بما هو آتٍ. ولعل عنوان المقدمة التي كتبها هلال، تؤكد ذلك، فقد جاءت تحت عنوان «نحو شروط مشاركة أوسع للشباب في حركة تحرر الشعب الفلسطيني». ويسجل لهذه الدراسة توثيق التجربة، فضلاً عن تقديم مفاتيح تحليلية مهمة.[1] وقد قدم هلال دراسة أخرى، يمكن اعتبارها تتعلق بحالة عملية مختلفة قليلاً من الحراكات الشبابية هي هبة العام 2016/2015.[2] فيما نشرت لندا طبر وعلاء العزة بحثاً في مجلة الدراسات الفلسطينية بعنوان «المقاومة الشعبية بعد الانتفاضة الثانية»،[3] ثم صدرت دراسة للباحثين في كتاب منفصل عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية، حول الموضوع ذاته.[4] والواقع أن استخلاصات هؤلاء الباحثين هي جزء من الإطار النظري لهذا البحث، التي يمكن تلخيصها تحت مجموعة عناوين، هي:

دور الأحزاب والفصائل: تشير طبر والعزة إلى نشوء ظاهرة الحراكات الشبابية الجديدة، (بعد العام 2010)، باعتبار أنّ جزءاً من أهميتها «عملية الخروج إلى الشارع والاعتصام ونصب الخيام والإضراب عن الطعام؛ أي احتلال الحيز العام كمكان لإجراء حوارات بشأن قضية الانقسام». وأنّ هذا «جعل الشارع وسيلة للاستعاضة عن غياب الأحزاب السياسية والبنى التنظيمية، حيث مثل الميدان الفضاء الذي تدور فيه عملية التثقيف السياسي.

1 جميل هلال، (محرر)، **رؤية استشرافية: الحراكات الشبابية الفلسطينية**، المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات والدراسات الإستراتيجية - مسارات، البيرة، 2013.

2 جميل هلال، (محرر)، «**الشباب الفلسطيني .. المصير الوطني ومتطلبات التغيير**»، مؤسسة الأرض للأبحاث، رام الله، 2016.

3 لندا طبر وعلاء العزة، «المقاومة الشعبية بعد الانتفاضة الثانية»، **مجلة الدراسات الفلسطينية**، العدد 97، شتاء 2014.

4 لندا طبر وعلاء العزة، **المقاومة الشعبية الفلسطينية تحت الاحتلال، قراءة نقدية وتحليلية**، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 2014.

واعتبرت العودة من جديد إلى الشارع للتعبير السياسي في الأراضي المحتلة تغيراً، بعد فترة اللاتسيّس التي جرت بعد الانتفاضة الثانية، أو اختزال العمل السياسي في المكاتب السياسية، وتركيزه على قضية المفاوضات، أو في حالة غزة الوصول إلى تفاهمات بشأن فك الحصار وإطلاق صواريخ بين الحين والآخر، ويعد ما قامت به الحراكات الشبابية مرة أخرى عملية إعادة اعتبار إلى السياسة باعتبارها فعلاً شعبياً وتعبيراً عن الهم العام، أي أن الحراكات الشبابية عملت على دمقرطة العملية السياسية من خلال فرض النقاشات بشأن القضية الوطنية، وما آلت إليه بعد الانقسام. وتكمن أهمية «المكان» في أنّه أصبح بديلاً في غياب الأحزاب السياسية القادرة على مواجهة تحديات الواقع الاستعماري، من خلال قوة بقاء الشعب في الشارع».[1]

ولكن جميل هلال يشير إلى إن التحولات التي شهدتها الانتفاضات الشعبية بعد الانتخابات التي جرت، كشفت سطحية الفكرة التي تبناها البعض بأن لم تعد هناك ضرورة ولا حاجة للأحزاب والأيديولوجيات والحركات الاجتماعية والنقابات ومجموعات الضغط. دون أحزاب واتحادات ونقابات وحركات اجتماعية، فإنّ أقصى ما يمكن أن يتم هو تحركات موقعية ذات جمهور ضيق العدد، دون أن تملك أفقاً للاستمرار والاتساع، إن لم تتحول إلى حركة سياسية تبني لنفسها قاعدة جماهيرية.[2]

وهكذا فطبر والعزة يشيران إلى وجه مهم من الحراكات الشبابية، وهو سد الفراغ في الشارع الناتج عن غياب الأحزاب، ولكن هلال تنبه مبكراً إلى خطورة غياب البنية المؤسسية والقيادية.

الشباب كفئة متمايزة: لا شك أنّ حصر حراك بشريحة اجتماعية دون غيرها يضعف هذا الحراك، وهذا ما فات الشباب في كثير من الحالات، وتنبهوا إليه أحياناً. ويثير هلال شكوكاً حول جدوى التمييز بين الشباب وغيرهم، بل يقول إنّ هناك «خلفيات غير بريئة»،[3] ويشير إلى أن الشباب في كثير من المواقف والقضايا قد لا يختلفون عمن هم ليسوا شباباً، كما أن الشباب لا يشكلون فئة متجانسة، برأي واحد. وتبدو غير البراءة

1 طبر والعزة، «المقاومة الشعبية بعد الانتفاضة»، مصدر سبق ذكره، ص 132.

2 هلال، رؤية استشرافية، مصدر سبق ذكره، ص 16.

3 المرجع السابق، ص 11.

كـما يـرى هـلال، مثـلاً، عندمـا تتعامـل الحكومـات مـع متطلبـات مثـل مشـاركة الشـباب في العمـل السـياسي، وصنـع القـرار، وغـير ذلـك، وكأن باقـي القطاعـات في المجتمـع لا مشـكلة أو متطلبـات لديهـا في هـذا الجانـب. هـذا فضـلا عن البعد الاسـتهلاكي الرأسـمالي في جعل الشـباب فئـة خاصـة، وذلـك لترويـج منتجـات مثـل الأزيـاء والموسـيقى وغيرهـا خاصـة بالشـباب. دون أن يلغـي هـذا وجـود سـمات خاصـة لهـذه الفئـة، مثـل أنهـا في السـن الـذي يقـع فيـه الـزواج غالبـاً، أو التـي تكـون عـلى مقاعـد الدراسـة، والباحثـة عـن عمـل، فـإن هنـاك مشـكلات تتعلـق بـإشراك الشـباب والشـابات في مواقـع صنـع القـرار، ولكـن هـلال يعـود ويقـول إنّ «الشـباب ليسـوا فئـة «متخارجـة» عـن المجتمـع»، باعتبارهـم جـزءاً مـن التركيبـة المجتمعيـة والسياسـية والاقتصاديـة والتاريخيـة، وقضاياهـم جـزء مـن قضايـا المجتمـع، والعكـس كذلـك، إلى حـد كبـير.[1] وهـو يعتـبر، أيضـاً، مقولـة «صراع الأجيـال» نوعـاً مـن «التسـطيح»، بـدل الحديـث عـن قـوى اجتماعيـة وسياسـية متباينـة مـن حيـث السـلطة، والـثروة، وفـرص الحيـاة.[2]

دور وسـائل التواصـل الاجتماعـي: هنـاك قناعـة بـأنّ التجربـة العمليـة أثبتـت مـدى المبالغـة في الاعتـماد عـلى وسـائل التواصـل الاجتماعـي مقارنـة بالبنيـة التنظيميـة. تقـول طـبر والعـزة «إن الضـخ الإعلامـي الكثيـف عـن أهميـة وسـائل التواصـل الاجتماعـي في الثـورات العربيـة، جعـل الحـراكات الشـبابية تسـتند إليهـا في محاولـة لتحريـك الشـارع الفلسـطيني، وخلـق التفـاف حـول شـعاراتها، لكـن الأهـم كان غيـاب بنيـة تنظيميـة للأحـزاب السياسـية في الأراضي المحتلـة، الأمـر الـذي جعـل الحيـز الافـتراضي، وتحديـداً فيسـبوك، إحـدى الأدوات التـي يمكـن اسـتخدامها في إيصـال الأفـكار والحـوار بشـأن قضيـة سياسـية بعينهـا، هـي في هـذه الحالـة قضيـة إنهـاء الانقسـام». ولكـن يوضـح الباحثـان أنّ هـذه الأداة سرعـان مـا أثبتـت أنهـا غـير كافيـة. «ففـي كثـير مـن الحـالات، واجهـت الناشـطين الشـباب مشـكلة أن عـدد المشـاركين في نشـاطاتهم في الشـارع قليـل جـداً قياسـاً بالعـدد المسـاهم في الحـوار الافـتراضي».[3]

المحليـة والمحدوديـة: يلاحـظ هـلال أن قـراءة المراجعـات التـي قـام بهـا الشـباب تسـترعي الانتبـاه إلى «قصـور معظـم المجموعـات الشـبابية في التحـول أولاً إلى حـركات شـبابية خـارج

1 المرجع السابق، ص 14.

2 المرجع السابق، ص 16.

3 طبر والعزة، «المقاومة الشعبية بعد الانتفاضة»، مصدر سبق ذكره، ص 125.

محيطها المحلي الضيق، وقصورها ثانياً في التحول إلى حركات مدعومة شعبياً. لقد فشل معظمها في الحفاظ على زخم انطلاقته وتواصلها، وبقي محاصراً في الموقع المحلي، ومسكوناً بالتردد في أغلب الأحيان، في تحديد ما يريده من حراكه، وفي كيفية مخاطبة الجمهور الأوسع بدلاً من التركيز على الذات». ويضيف هلال إنّ أغلب الحراكات الفلسطينية «لم تعمل على تطوير وتنويع أشكال حراكها (كما كان في حراك الشباب المصري حيث التنوع الشديد)، وأظهرت قصوراً فاضحاً في القدرة على بناء جسور مع بعضها البعض، وميل معظمها إلى الانسحاب من ساحة الفعل المنفتح إلى دائرة العمل الحلقي والروح الشللية». ويوضح هلال أن الأمر «لا يتعلق بنقص في الطاقة (الهمة)، وفي الاستعداد عند معظم هذه المجموعات الشبابية، فهذان توفرا بكثرة، بل يعود جزء مهم من القصور (وليس جميعه) إلى الشروط الموضوعية التي أحاطت بهذه الحراكات، ولموجبات الشرط الفلسطيني في كل تجمع».[1]

الافتقار إلى البرنامج: هناك سمات عامة للحركات الشعبية الجديدة، لا تتعلق فقط بالشباب، فإحدى هذه السمات هي الافتقاد إلى الرؤية، فعلى سبيل المثال، تذهب ليندا طبر وعلاء العزة، في بحثهما عن «تجارب المقاومة الشعبية» في فلسطين، بعد انتفاضة العام 2002، بما فيها الحراك الشبابي، إلى أنها تتسم بـ «افتقارها إلى الرؤية السياسية الشاملة التي تضع الفعل الذي يقوم به الناشطون في إطار مقاومة المشروع الكولونيالي الإسرائيلي».[2] وتضع طبر والعزة، سمات عدة يلمحانها في المقاومة الشعبية في المرحلة المشار إليها، من ضمنها، أن حركات الاحتجاج تتسم بمركزة «الناشطين المحليين» في حملاتهم «في قضية واحدة»، «إذ يغيب المشروع السياسي عن هذا الحضور».[3] وتشير طبر والعزة، أيضاً، إلى غياب البنية التنظيمية، ففي حالات الاحتجاجات المناهضة للجدار، بدأت بمشاركة أهالي في المواقع المتضررة، وناشطين، ومتضامنين أجانب وإسرائيليين، ومع الوقت تراجعت مشاركة الأهالي وبقي الناشطون والمتضامنون، وفي حالات مثل مسيرات في ذكرى معينة كالنكبة، أو التضامن مع إضرابات الأسرى، «نرى اختفاء البنية التنظيمية مع انتهاء الحدث ذاته»، و«من دون الأخذ في الاعتبار بناء قاعدة تنظيمية تقود أشكال

1 هلال، رؤية استشرافية، مصدر سبق ذكره، ص 17- 18.

2 طبر والعزة، «المقاومة الشعبية بعد الانتفاضة»، مصدر سبق ذكره، ص 119.

3 المرجع السابق، ص 124.

المقاومـة الشـعبية الأخـرى».[1]

الرمزيــة والمشــهدية: يغلـب عـلى النشـاط الطابـع الاحتجاجـي، الموسـمي، وكـما تقـول طـبر والعـزة، «إن مـا يحـدث اليـوم مـن احتجاجـات هـو أقـرب إلى حـدث رمـزي الطابـع تعـود بعـد انتهائـه، الحيـاة الاعتياديـة»، وبحيـث تسـيطر «الأبعـاد الرمزيـة والمشـهدية في الاحتجـاج؛ أي أنّ الاعتـماد يكـون في الغالـب عـلى الاسـتعطاف الأخلاقـي، إذ نـرى التركيـز عـلى الإعـلام كوسـيلة لفضـح ممارسـات الاحتـلال مـن أجـل جلـب التضامـن مـن الخـارج، وليـس بنـاء قاعـدة داخلية تعـزز الصمـود المقـاوم». وإن هـذا الاتجـاه إلى الخـارج «وليـس نحـو إيجـاد واقـع اجتماعـي محـلي يرفـد الاحتجـاج بأنمـاط عيـش بديلـة تخـرج عـن الحيـز الاسـتعماري».[2] وبهـذا، فـإنّ طـبر والعـزة، يذهبـان إلى أنّ المقاومـة الشـعبية تشـاطر السـلطة الفلسـطينية، في الاهتـمام بالخـارج عـلى حسـاب الاهتـمام بالشـعب المُسـتعمَر، ويتركـز الاهتـمام «إلى المشـاهد الغـربي لا الفلسـطيني»، ومـن هنـا اسـتعطاف المشـاهد الغـربي مـن خـلال أننـا «غـير عنيفـين».[3] وهنـاك خـروج في بعـض الحـالات عـن الإطـار المشـهدي للمسـتعمَر، إلى مواجهـة المسـتعمِر، بالخـروج إلى الطـرق بـين المـدن، التـي يمـر بهـا المسـتوطنون لرفـع الأعـلام هنـاك، أو الوصـول إلى المحـلات التجاريـة الاسـتيطانية، والتظاهـر هنـاك طلبـاً لمقاطعتهـا، ولكـن يبقـى كل ذلـك كـما يريـان في الإطـار الاحتجاجـي، وليـس لبنـاء وعـي يشـكل مقاومـة شـاملة.[4] وتعتقـد طـبر والعـزة أنّ الأحـزاب والتنظيـمات تعيـش حالـة شـبيهة مـن غيـاب البرنامـج والرؤيـة، والمشـهدية الإعلامية، ومـا إلى ذلـك.[5]

سـتتضح نمـاذج وتطبيقـات مـن اسـتنتاجات هـلال وطـبر والعـزة في الفصـول المقبلـة للبحـث، ولكـن سـيتضح وجـود حـالات أخـرى تتضمـن، أيضـاً، الإصرار والقـدرة عـلى التجـدد، وأحيانـاً محـاولات شـباب إعـادة تفعيـل الأشـكال القديمـة مـن أحـزاب وفصائـل، بغـض النظـر عـن نجـاح هـذه المحـاولات، فضـلاً عـن اتضـاح أن جـزءاً مـن الشـباب، أدرك فعـلاً أهميـة الخـروج مـن دائـرة الحـراك إلى أشـكال أعمـق مـن التنظيـم.

1 المرجع السابق.
2 المرجع السابق.
3 المرجع السابق، ص 125.
4 المرجع السابق.
5 المرجع السابق، ص 128.

الفصل الثاني

بانوراما تاريخية للحركات الشبابية الفلسطينية

لعله من المشروع، التساؤل متى بدأت ظاهرة بلورة الشباب لحراك مستقل عن باقي المجتمع، وتعامل الشباب مع أنفسهم ككيان مختلف؟ أي متى الشباب يعتبرون أنفسهم أنّهم إطار متمايز لا بيولوجياً وعمرياً فحسب، بل وكمجموعة سياسية ذات تنظيم خاص.

في السياق الفلسطيني، وبيئته المحيطة، ربما تكون تجربة حركة «تركيا الفتاة» هي بداية لهذه الفكرة، وبغض النظر، عن دقة هذه الفرضية (أنها الحالة الأولى لتحرك يحمل اسم الشباب وقريب من المحيط الفلسطيني)، فإنّها تقدم مثالاً مبكراً لتمييز مجموعة نفسها عن باقي قطاعات المجتمع بالقول إنها «شبابية».

لقد نشأت هذه الحركة في تركيا، وتتصل، بشكل أساسي، بقيام السلطان العثماني عبد الحميد الثاني، بوقف العمل بالدستور العام 1878، خوفاً من الفوضى والمعارضة. وكنتيجة للتضييق على الحريات، هاجر وسافر أفراد من المعارضة إلى أوروبا والقاهرة، ونشطوا من هناك، دون تحقيق نتائج تذكر، في مسعاهم إلى إحداث تغيير يؤدي إلى إصلاح في الحكم، وتحسين الوضع الاقتصادي، وخفض الأسعار، والتصدي لظاهرة عدم دفع الرواتب. بعد ذلك، قرر ضباط شبان، وبخاصة في دمشق، ويافا، والقدس، منذ العام 1906، تنظيم معارضة، ولكن الذي نجح هم مجموعة ضباط أتراك في مدينة سالونيك، وتحركوا تحت اسم «تركيا الفتاة»، أو «الشبان الأتراك»، وهددوا بتحرك عسكري أدى إلى قيام السلطان عبد الحميد بالموافقة على إعادة العمل بالدستور، العام 1908. ثم

حصل حزب «الاتحاد والترقي» المرتبط بهذه الحركة، على أغلبية مقاعد البرلمان، نهاية ذلك العام. ولكن اتضح لهؤلاء الشبان أن تغيير الدستور، وإبعاد مسؤولين من رموز الفساد والتسلط، والحصول على غالبية مقاعد البرلمان، كل هذا غير كافٍ لعلاج أوضاع الدولة، وبخاصة مع حدوث ثورة مضادة من مسؤولين وضباط جيش وطلاب المدارس الدينية، فقام «الاتحاد والترقي» بانقلاب العام 1909، ونقلوا معظم صلاحيات السلطان إلى الحكومة والبرلمان.[1]

الملاحظ، هنا، أنّ هؤلاء الضباط الشبان، كان لديهم تصور مسبق لما يريدون، عبر دستور معين، ولآليات عمل، من ضمنها الوصول إلى السلطة والحكم، وتشكيل حزب، وهذا ما سيلاحظ تكرار وجوده عن حركات سياسية شبابية في القرن العشرين (كما سيلي ذكره في الحالة الفلسطينية) بعكس فكرة الحراكات الشبابية بعد العام 2011.

تفاوتت ردود الفعل في المدن الفلسطينية، على حركة «تركيا الفتاة»، ولكن، بشكل عام، لم تكن هناك حماسة شديدة، وبينما كان الموقف أقرب إلى المعارضة في نابلس، كان هناك مؤيدون في القدس ويافا.[2] وفي القدس، مثلاً، قامت مجموعة من الشخصيات، من ضمنهم خليل السكاكيني، بتأسيس مدرسة سميت «الدستورية» (لاحقاً تغير اسمها إلى الوطنية)، تيمناً بعودة الدستور.

لقد كانت حركة «تركيا الفتاة»، ذات أهداف عامة لا تتصل فقط بالشباب، ويصعب معرفة مدى أثر تأسيس مثل هذه الحركة على الشباب الفلسطيني، إلا أنه يجب أن يشار إلى أنّ شباباً فلسطينيين تواجدوا في الوقت ذاته في الأستانة (إسطنبول)، نشطوا لدى عودتهم في جمعيات ومنتديات ذات دور سياسي، نشأت أو أنشأوها في فلسطين، مثل جمعية المنتدى الأدبي 1909، وجمعية العلم الأخضر 1912 التي أنشأها عاصم بسيسو ومصطفى الحسيني وشكري غوشة، وهم من العائدين من إسطنبول، كما نشأت «جمعية فلسطين» في الجامعة الأميركية في ذلك الوقت، وشكل طلبة نابلس في كلية بيروت الأميركية، جمعية (الشبيبة النابلسية)، وشكل الطلبة الفلسطينيون في القاهرة

1 عادل مناع، **تاريخ فلسطين في أواخر العهد العثماني 1700- 1918**، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 2003، ص 239- 242.

2 المصدر السابق، ص 243.

جمعية «اللاصهيونية».[1] وفي العام 1918، أسس الحاج أمين الحسيني، الذي كان قد عاد بعد خدمته في الجيش العثماني، النادي العربي في القدس.[2]

1-2 الشباب في مرحلة ما قبل النكبة

في الحالة الفلسطينية، فإنّ الشباب، كان لهم مكانة واضحة في العمل الفلسطيني، منذ بدايات المشروع الصهيوني، وعلى سبيل المثال لا الحصر، فإنّ الحاج أمين الحسيني (1897- 1974)، الذي تسلم الموقع الأبرز في القيادة الفلسطينية، منذ عشرينيات القرن العشرين، وبغض النظر عن أن تسلمه المنصب كان في جزء منه نوعاً من أنواع توريث المنصب داخل عائلة الحسيني، ضمن عملية انتخابات أثّر فيها الانتداب البريطاني لصالح الحسيني، كان عمره يوم أصبح مفتي القدس خمسة وعشرين عاماً،[3] ولم يكن من حوله كبار السن.

وبالتالي، لم يكن الأمر نوعاً من المزاحمة مع الأكبر سناً، بقدر ما هو ملء فراغ، لم يملأه هؤلاء، فبعد سقوط الحكم العثماني، وتحول فلسطين لوحدة إدارية وسياسية، محددة الحدود الجغرافية، تحت الحكم البريطاني، افتقدت فلسطين لأطر عمل، وفي المرحلة ما بين العامين 1919 و1928، كان المؤتمر العربي الفلسطيني، أشبه ببرلمان فلسطيني، يجمع وجهاء ومندوبي المناطق المختلفة، وقد عقد المؤتمر جلسته الأخيرة في 20- 21 حزيران (يونيو) 1928، وقد شهد هذا المؤتمر خلافات عديدة، وجرت، لمحاولة استيعاب القوى المتنافسة الكثيرة، توسعة اللجنة التنفيذية إلى 48 عضواً، وهو رقم غير عملي ليكون بمثابة لجنة قيادية أو تنفيذية. والأهم من ذلك، أنّ المؤتمر كان ضمن نهج يعتمد على النضال السياسي والديبلوماسي لمواجهة المشروع الصهيوني، ولكن الوضع تغير نهاية العشرينيات بوصول هذا النهج إلى مداه، وتزايد المواجهة الميدانية، التي وصلت إلى مستوى جديد مع هبة البراق العام 1929، وتزايد الدعوات إلى التحول إلى النضال المسلح. لقد بدا أنّ

1 انظر: عماد غياظة، **الحركة الطلابية الفلسطينية، الممارسة والفاعلية**، المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية -مواطن، رام الله، 2000، ص 14. وانظر أيضاً: زياد عثمان، **المشاركة السياسية للشباب الفلسطيني: ظلال الماضي تحاصر المستقبل**، مركز رام الله لدراسات حقوق الإنسان، رام الله، 2008، ص 48-49.

2 المصدر السابق.

3 عيسى خليل محسن، **فلسطين وسماحة المفتي الأكبر الحاج محمد أمين الحسيني**، (د.ن)، عمان، 1998، 12-13، 389.

مرحلة تنتهي.[1] ففي العام 1929، على سبيل المثال، كان رئيس اللجنة التنفيذية للمؤتمر العربي الفلسطيني موسى كاظم الحسيني، يبلغ من العمر خمسة وسبعين عاماً، وربما أضاف هذا التقدم في أعمار القيادة، مع حالة الانقسام في المؤتمر، الدعوات إلى تحركات شعبية وشبابية جديدة.

كان وصول المؤتمر العربي الفلسطيني، إلى حالة الشلل، متزامناً مع تصاعد المواجهة مع المشروع الصهيوني على الأرض. ومن هنا انعقد، بعد هبة البراق العام 1929، التي تضمنت صدامات بين الفلسطينيين العرب والحركة الصهيونية (المستوطنين والتشكيلات العسكرية الصهيونية)، على خلفية ملكية حائط البراق في القدس، المؤتمر الطلابي في عكا في آب (أغسطس) 1930، وكان من أبرز قرارات المؤتمر تشجيع البضاعة الوطنية، وطرح مشروع قرش الطالب،[2] وهو ما يعكس أمرين أساسيين، أولهما، أنّ القضايا التي تصدى لها الطلاب حينها، تتضمن مزاوجة بين الشأنين؛ الوطني العام (الصناعة الوطنية)، والشبابي/الطلابي الخاص (قرش الطالب). والأمر الثاني، أنّ السمة الطلابية للمؤتمر تعني ضمناً أنّ الانتساب إلى الدراسة هو معيار العضوية في هذه الحركة.

كان الحاج أمين الحسيني في العام 1928، يشغل منصب مفتي القدس، ورئيس المجلس الإسلامي الأعلى، ويبلغ من العمر 33 عاماً، فبدا أنّه قيادة شابة (وإن اعتمد في البداية، على الأقل، أيضاً، على انتمائه العائلي). إلى ذلك، انعقد في نابلس في شهر آب (أغسطس) 1931، مؤتمر شعبي،[3] وكان المؤتمر واضحاً في رفضه سياسات اللجنة التنفيذية (للمؤتمر العربي)، وتحديداً «كل سياسة تتعلق بتعاون العرب مع الحكومة»، بعد أن تم تجريب هذه السياسة «مدة الثلاث عشرة سنة الماضية»، ودعا المؤتمر، بشكل خاص، إلى «مقاطعة جميع البضائع التي ترد بواسطة الجمارك»، وأن «تقاطع البلاد جميع ما يأتي بدخل على ميزانية الحكومة (البريطانية للانتداب) وأمكن مقاطعته».[4]

1 الموسوعة الفلسطينية.

2 زياد عثمان، **المشاركة السياسية**، مصدر سبق ذكره، ص 49-48.

3 تشكل المؤتمر، بشكل أساسي، على ما يبدو، بناء على دعوة من الجمعية الوطنية العربية (الذي هو اسم جديد للجمعية الإسلامية المسيحية)، انظر الموسوعة الفلسطينية.

4 للاطلاع على قرارات المؤتمر، انظر: مقررات مؤتمر نابلس، 1931/9/18، مؤسسة الدراسات الفلسطينية: https://bit.ly/2ADIFXh

الملاحظ، هنا، تشابه وضع انعقاد واتجاهات مؤتمر نابلس مع الوضع الراهن الفلسطيني، من حيث تآكل وتعثر الهيئات التنظيمية، وتقدم سن القائمين عليها (المؤتمر العربي الفلسطيني مقارنة بمنظمة التحرير الفلسطينية الآن)، والدعوة إلى المقاومة الشعبية والمقاطعة. ودعا مؤتمر نابلس، ضمن قراراته، إلى تفعيل دور الشباب، وخصص بنداً من بنود بيانه الستة لذلك، فجاء القرار التالي:

> «لأجل تحقيق ذلك، يدعو هذا الاجتماع الشباب في البلاد إلى عقد مؤتمر ينظمون فيه صفوفهم، ويقررون هذه المبادئ، ويجعلون تنفيذها باكورة أعمالهم، مع التأكيد على الشباب أن هذا أمانة في أعناقهم، وأن ينشر بيان على السيدات بترك الألبسة الأوروبية».[1]

انتهز الشبان الفرصة والدعوة، فبادر عدد منهم إلى اجتماع في دار «اللجنة التنفيذية» (للمؤتمر العربي الفلسطيني) في القدس، فيما قد يعد مؤشراً على العمل من داخل المؤسسة القائمة. وحضر عدد من الشبان، واتفقوا على تشكيل «لجنة تحضيرية» لعقد مؤتمر الشباب في يافا. وبالفعل تشكلت اللجنة، واتفق على عقد المؤتمر يوم 4 كانون الثاني (يناير) 1932، وتم ذلك فعلاً. وفي مؤتمر يافا، الذي حضره كذلك الحاج أمين الحسيني،[2] جرى وضع هيكلية تتضمن انتخاب لجنة تنفيذية (على غرار ما للمؤتمر العربي الفلسطيني)، وهذه اللجنة انتخبت «المكتب» الذي شكل قيادة المؤتمر الفعلية.[3] والملاحظ أنّ هذا المؤتمر أصبح، عملياً، أو كما كان يتصرف أعضاؤه، باعتباره حزباً، له أهداف عامة، لا يشكل موضوع القطاع الشبابي سوى جزء منها، فمثلاً تركز البرنامج السياسي للمؤتمر على، «وحدة البلاد العربية»، والدعوة إلى استقلال هذه الدول استقلالاً تاماً، مع رفض «كل فكرة تدعو إلى الاقتصار على العمل على السياسات المحلية»، وعلى رفض الاستعمار، واعتبار كل من «سعى، أو سمح، أو ساعد على بيع كل أو جزء» من

1 عبد الوهاب الكيالي، (تحرير)، **وثائق المقاومة الفلسطينية العربية ضد الاحتلال البريطاني والصهيونية 1918-1939**، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 1969، ص 243- 244.

2 عصام الغريب، **الحاج محمد أمين الحسيني، ودوره في الحركة الوطنية الفلسطينية (1897- 1974)**، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، 2014، ص 165.

3 قاد المكتب في المرحلة الأولى راسم الخالدي الذي أصبح مقرباً ومرافقاً للحاج أمين الحسيني لاحقاً، وفي 5 أيلول (سبتمبر) 1932 انتُخب مكتب جديد برئاسة يعقوب الغصين (1900- 1947).

أراضي فلسطين، قد اقترف خيانة عظمى.[1] وهذه النقاط، بمجملها، لا يوجد فيها خصوصية شبابية. ولعل التميز جاء في عمل المؤتمر أنه ركز على حشد الشباب وتنظيم حركة كشفية منظمة، وقد تصدى المؤتمر فعلاً لكثير من النشاطات والمهمات، بدءاً من إرسال مذكرات احتجاج للحكومة البريطانية في فلسطين، ودعوات ناجحة إلى الإضراب والتظاهر، وبخاصة العام 1933، وشكل المؤتمر لجاناً لحماية الحدود والسواحل، لمكافحة تهريب اليهود وهجرتهم للبلاد، وقد كان لهذه اللجان حضور ملموس، ودخلت في صدامات مع المستوطنات اليهودية والسلطات البريطانية.[2]

كانت نشاطات المؤتمر أشبه بنشاطات حركة وطنية عامة، وليست حكراً على الشأن الشبابي، وعلى الرغم من أنّه يصعب القول إنّ المؤتمر يتمتع بمكونات الأحزاب، من أيديولوجيا وبرامج اقتصادية ذات نهج محدد، ولكن، وربما لعدم التمييز بين مفهومي الحركة والحزب، تحول المؤتمر، رسمياً، إلى حزب، بقرار في مؤتمر الشباب الثاني، الذي عقد في يافا يوم 10 أيار (مايو) 1935، الذي جمع نحو ألف شاب، فيما صار يعرف باسم «حزب مؤتمر الشباب العربي». وتبنى برنامجاً شبيهاً بما كان قد تبناه المؤتمر، تمثل البعد الشبابي فيه بنقاط مثل «تنظيم الشباب في مدن وقرى فلسطين»، وإقامة «صندوق الشباب»، و«العناية بالحركة الكشفية»، فيما كانت باقي النقاط وطنية وعربية عامة.[3]

انضم الحزب لاحقاً بعد أضراب العام 1936، إلى اللجنة العربية العليا.[4] هذا الانضمام، يعكس ضمنياً معضلة استمرارية العمل الشبابي، فالحراكات الشبابية، بطبيعتها مؤقتة، إما أن تستمر كإطار متجدد، بينما يصعد أعضاؤها الذين يكبرون سناً إلى أطر أخرى، أو يتوقف الحراك. ومن هنا فالحراك الشبابي (إن جاز التعبير) الذي انطلق العام 1932 تحول إلى حزب العام 1935.

على أنّ التشابه بين ظروف نشأة الحراكات الشبابية الفلسطينية في أعوام ما بعد العام 2011 والنشاط الشبابي نهاية عشرينيات القرن العشرين، لم يؤدِّ إلى تطور متشابه في

1 الموسوعة الفلسطينية.

2 المرجع السابق.

3 وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية، حزب مؤتمر الشباب العربي: https://bit.ly/2Rs0Y7q

4 الموسوعة الفلسطينية.

طريقة العمل، فلم يتطور في هذا القرن، مثلاً، مؤتمر عام وحزب للشباب، وربما يكون من أسباب ذلك اختلاف موقف القيادة السياسي من هذا التحرك الشبابي، ولكن ربما اختلفت، أيضاً، طرق التفكير، وهناك اختلاف بالتأكيد في السياق والظروف السياسية ككل.

شهدت العشرينيات والثلاثينيات والأربعينيات نشوء الكثير من الروابط الطلابية، وروابط الخريجين، من مثل رابطة خريجي الكلية الإسكتلندية في صفد (1935)، ورابطة خريجي مدارس الزراعة (1931)، ورابطة الطلاب الأدبية- رام الله (1944)، ورابطة الطلبة العرب في القدس (مطلع الأربعينيات)، ورابطة الطلبة العرب في يافا (1938)، وجمعية الطلاب الفلسطينيين في بيروت (1932)، والنادي الفلسطيني، في الجامعة الأميركية في بيروت، ونادي اتحاد الطلبة في رام الله (1929)، وغيرها العديد من الروابط، وبخاصة ما كان يعني مدرسة أو منطقة واحدة.[1]

استمر النشاط الطلابي والشبابي في الأربعينيات، حيث أنشئت منظمة النجادة الفلسطينية، التي هدفت، بشكل أساسي، إلى تدريب الشباب تدريباً عسكرياً في إطار التصدي للمشروع الصهيوني، مع أخذ الرياضة والنشاطات العامة، واجهة، للنشاط العسكري، وعلى الرغم من ذلك، لم تحصل المنظمة على موافقة رسمية من سلطات الانتداب بالعمل العلني حتى تاريخ 1945/12/21.[2] وبعد أن تم الترخيص، رسمياً، للمنظمة أنشأت المعسكرات واتخذت زيا موحدا شبيها بالزي العسكري، توزعت مراكز النجادة في المدن الفلسطينية: الناصرة، وحيفا، ونابلس، ويافا، والقدس، وغزة. وكان يشرف عليها جميعاً قيادة مركزية، ومجلس أعلى، ومجلس قيادة، ومجلس استشاري، تم انتخاب المحامي محمد نمر هواري قائداً عاماً للنجادة، وأعلن ولاء النجادة للمفتي الحاج محمد أمين الحسيني، و«للعروبة».[3] على أن الملاحظ، هنا، الحرص على المؤسسة، وعلى بنائها، قبل الشروع بالنشاط.

1 غياظة، **الحركة الطلابية**، مرجع سبق ذكره، ص. 18- 19.

2 عبد الفتاح القلقيلي، «الشباب الفلسطيني ما قبل منظمة التحرير»، **مجلة حق العودة**، العدد 49، 2012، استرجعت بتاريخ 17/4/2018: https://bit.ly/2H8B6si

3 المرجع السابق.

وقد أسس الحزب الشيوعي الفلسطيني، إطاراً، سمّاه «اتحاد الطلبة العرب»، العام 1937، وتغير الاسم إلى «رابطة الطلبة العرب» في العام 1938، ليكون إطاراً للتجنيد في المدارس العربية، وجسماً للتعاون مع الحركات الطلابية العالمية، مثل المؤتمر الطلابي العالمي، الذي انعقد في باريس سنة 1938.[1]

تعكس هذه النشاطات السابقة الذكر، أنّ النشاط الشبابي في بدايات تاريخ فلسطين الحديث، كان دائماً جزءاً من أطر أوسع، فهو إما ضمن أطر وطنية أعلى، وإما هو أصلاً جهد وطني عام مخصص لفئة الشباب، يشرف عليه قادة العمل الوطني، أو بالتنسيق معهم. ولكن لم يوجد فعلاً نشاط شبابي مستقل دون تنظيم، وكان العمل الشبابي والطلابي، في إطار حشد الطاقات لخدمة القضية الوطنية، والمصالح الطلابية، في إطار وطني أوسع، وليس بديلاً عن الأطر القائمة. لكن، بشكل عام، يلاحظ أن النشاط الشبابي، وبخاصة عندما يأتي في حالة شبه فراغ سياسي، (كما حدث في مطلع ثلاثينيات القرن الفائت من حيث عدم فعالية القيادة السياسية والانقسام في صفوفها)، فإنّ هذا الحراك يأتي كنوع من التعويض والتفعيل بانتظار استعادة عافية الحركة السياسية، ومن هنا يمكن الاستنتاج أن الهدف الأول الممكن للحراكات الشبابية هو التفعيل والتعويض لحين التمكين، أما الشكل الثاني، فهو القيام بدور «الذراع» للأطر (السياسية) الموجودة.

2-2 ما بعد النكبة

في مرحلة ما بعد النكبة، تغير الوضع نسبياً، لقد جاء العمل الشبابي كجزء من محاولة لاستبدال الأطر القديمة مثل الهيئة العربية العليا، التي تشكلت في العام 1946 لقيادة العمل الفلسطيني، وغيرها من الأطر والقيادات الفلسطينية التي وجدت في زمن النكبة، التي لم تعد تستطيع تحريك الشارع، ووضع قوى جديدة في موقع المسؤولية والقيادة، جاء العمل الجديد، طارحاً تنظيماً، وفكراً، وأدواتٍ جديدة.

في داخل الأراضي المحتلة (أراضي 1948)، كان النشاط دون صبغة شبابية خاصة، بل في إطار العمل الحزبي، وكان أبرز نشاط هو للحزب الشيوعي، ولم يكن هناك، فعلياً، حركة

1 غياظة، **الحركة الطلابية**، مرجع سبق ذكره، ص 16.

طلابية تذكر، بسبب محدودية عدد الطلاب العرب بعد أن تم تهجير نحو 750 ألف فلسطيني، وبقاء 150 ألف شخص، تحت الحكم العسكري الإسرائيلي. هذا لا يمنع أنّ حركات نشأت حينها، قام عليها شباب، مثل حركة الأرض، التي تأسست العام 1959، لتمثل مشروعاً قومياً عربياً، متأثرة بالمشروع القومي الناصري في مصر، قام عليها شباب في العشرينيات من أعمارهم، كان جزءاً من محركهم رفض السياسة التي تبناها الحزب الشيوعي، أو الشيوعيون الفلسطينيون، الذين تعايشوا مع فكرة قيام إسرائيل، وقد حاول هؤلاء الشباب العام 1958، تأسيس «الجبهة العربية»، التي غيرت اسمها لاحقاً إلى «الجبهة الشعبية»، ولكنها لم تعمر وتوقفت في العام التالي (1959). لينشط هؤلاء الشباب مثل حبيب قهوجي، وصبري جريس، وصالح برانسي، من خلال حركة الأرض، وفشلت محاولاتهم، حتى نهاية الستينيات، في الحصول على ترخيص رسمي للحركة، التي تشتت مؤسسوها وقادتها؛ إما في السجن، وإما في المنفى.[1]

وفي الأردن (بما في ذلك الضفة الغربية)، أصبح الفلسطينيون، إلى حد كبير، جزءاً من الحركة السياسية الأردنية، بما في ذلك العمل الشبابي والطلابي، ولم تتبلور أطر عمل جماهيرية فلسطينية، إلا مع منتصف الستينيات؛ عقب تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية، والفصائل الفلسطينية.

إلا أنّ الحراك الشبابي الفلسطيني أخذ مداه، في ساحتين أساسيتين، هما قطاع غزة، وارتباطاً بذلك الساحة المصرية التي ذهب إليها كثير من شباب غزة للدراسة، وهناك تشكلت رابطة طلبة فلسطين، العام 1949.[2] والساحة الثانية، هي بيروت، حيث احتضن لبنان عدداً كبيراً نسبياً من اللاجئين الفلسطينيين، وكانت جامعاته، وبخاصة الجامعة الأميركية، ميداناً لنشاط وتنظيم عدد من الطلاب الفلسطينيين لأنفسهم سياسياً، قبل أن تتأسس جامعة بيروت العربية (1960)، الأقل كلفةً من الناحية المادية، وبالتالي الأكثر جاذبية للطلبة الفلسطينيين، وبخاصة اللاجئين منهم. وكانت جمعية العروة الوثقى هي الإطار الأشهر للعمل حينها. ويمكن القول إنّ رابطة طلبة فلسطين تطورت إلى حركة

1 سليمان أبو ارشيد، «صبري جريس: حركة «الأرض» تجربة فلسطينية بعد النكبة»، **موقع عرب 48**، 11 آب (أغسطس) 2017.

2 لتفاصيل تأسيس الرابطة، انظر معين الطاهر، «بين تأسيس رابطة طلاب فلسطين ومقاومة الإسكان والتوطين»، **مجلة سطور**، العدد 5.

التحرير الوطني الفلسطيني (فتح)، أمّا العروة الوثقى، فإنّها تطورت إلى حركة القوميين العرب، ثم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.

وإذا كان الفرق الأساسي بين التجربتين، أنّ التجربة الغزّية-القاهرية أخذت البعد الوطني الفلسطيني الخاص، والتجربة البيروتية أخذت البعد العربي الأوسع، (قبل العودة إلى الإطار الوطني بتشكيل الجبهة الشعبية)، فإنّ المشترك أنّ كلتا «الحركتين» سعيتا إلى أن تقودا عملية إعادة إنتاج العمل السياسي، وواجهته، ولم تكونا تعملان في إطار التفكير بمرحلة مؤقتة، أو بالبقاء في الإطار الطلابي والشبابي. فمنذ البداية، كانت أعين الشباب الذي شكّل التجربتين (الحركتين) هو التحول إلى قيادة وإطار للعمل الوطني الفلسطيني أو القومي العربي العام. مع التنويه، هنا، إلى تردد جزء من الشباب الذي شكل تجربة رابطة طلبة فلسطين، في تشكيل إطار جديد مستقل، بسبب انتمائهم إلى جماعة الإخوان المسلمين، وهو انتماء بدأ بالتلاشي بدءاً من العام 1954.[1] وقد أسس الشباب الذين ارتبطوا بالرابطة، أو شباب قريب منهم، والذين شكلوا حركة «فتح» لاحقاً، مجموعات عدة للعمل المسلح، في قطاع غزة، غلب عليها الطابع الشبابي، وحملت أحياناً اسماً شبابياً. ومن ذلك، على سبيل المثال، «كتيبة الحق» التي أسسها خليل الوزير نحو العام 1954/1953، وضمت عشرات، أعمارهم تحت حوالي العشرين.[2] وفي الوقت ذاته، تقريباً، أسس صلاح خلف ومعه أسعد الصفطاوي وسليم الزعنون، وهم من الأعمار ذاتها، مجموعة «أسرة الفداء»، التي صار اسمها لاحقا «كتيبة الثأر»،[3] وبحسب مصادر أخرى باسم «شباب الثأر»، وهذه المجموعات كانت من شباب قرروا ترك جماعة الإخوان المسلمين، لأنها لم تستجب لتصورهم لعمل نضالي فلسطيني وطني مسلح.[4] وكان هناك، أيضاً، محاولات لتكوين مجموعات شبيهة، بتلك في غزة، مثل «جماعة أبناء فلسطين»، التي تشكلت في دمشق، وقادها أشخاص مثل محمود عباس، وعبد الله الدنان، وهدفها أيضاً تنظيم العمل الفلسطيني، والتدريب العسكري، عبر الكليات العسكرية السورية.[5]

1 معين الطاهر، «فتح» البدايات والمنطلق والمعنى»، **مجلة الدراسات الفلسطينية**، مجلد 28، العدد 110، 2017.

2 يزيد صايغ، **الكفاح المسلح والبحث عن الدولة، الحركة الوطنية الفلسطينية 1949- 1993**، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 2002، ص146.

3 Jean – Pierre Filiu, Gaza A History (London: Hurst & Company, 2015), p,84

4 صايغ، **الكفاح المسلح ...**، مصدر سبق ذكره، ص 146.

5 عصام عدوان، **حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح)، 1958- 1967**، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2010، ص 50.

وقد اندمجت هذه المجموعات وأخرى شبيهة، في بلدان عديدة، لتأسيس حركة «فتح» لاحقاً، بحيث يعتقد أنّه في العام 1962 كان قد تآلف 40 مجموعة شبيهة لتشكيل «فتح».[1]

أما في حالة التيار الآخر (القومي العربي)، فهو كما في حالة «فتح»، بل وقبل «فتح» زمنياً، بدأ من محاولات شبابية، لتأسيس إطار عمل جديد، قام عليه الشباب، ولكن لم يطرح نفسه كتحرك شبابي. ويعتبر تنظيم «كتائب الفداء العربي»، الذي تأسس في آذار (مارس) 1949، في بيروت، هو من التجليات المبكرة للتيار القومي العربي، طريقاً لتحرير فلسطين، وتشكل التنظيم من توحيد ثلاث مجموعات من الشباب، الأولى، قادها الفلسطيني جورج حبش والسوري هاني الهندي (وكلاهما مؤسسان في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين لاحقاً)، وعناصر هذه المجموعة هم طلاب نشيطون في جمعية «العروة الوثقى» في الجامعة الأميركية في بيروت، وانضمت لهم مجموعة سوريا يقودها طالب في كلية الحقوق في الجامعة السورية في دمشق، يدعى جهاد ضاحي، وأغلب أعضائها من طلبة هذه الجامعة. وكانت المجموعة الثالثة مصرية، يقودها حسين توفيق،[2] الذي كان عمره حينها 24 عاماً. وقد تبنت هذه المجموعات، عن سابق إدراك، أنماط عمل مجموعات شبابية، ألمانية وإيطالية.[3] ولاحقاً، ونحو العام 1951، جرى حل هذه الكتائب لخلافات حول أسلوب العمل، وشكّل ثمانية من الطلاب الفلسطينيين والعرب، من طلبة الجامعة الأميركية في بيروت، نواة ما سيصبح لاحقاً حركة القوميين العرب،[4] التي سينبثق عنها في 11 كانون الأول (ديسمبر) 1967، الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.[5]

إلى ذلك، استمرت الروابط والأندية الطلابية في التواجد فيما يخص مدرسة أو منطقة، مثل رابطة خريجي المدرسة الرشيدية، في القدس (1954)، ورابطة شباب الطيبة الثقافية (القدس) (1951)، ورابطة الشباب الكاثوليكي في القدس (1952)، ورابطة الطلاب العرب

1 صايغ، **الكفاح المسلح ...**، مصدر سبق ذكره، ص 150.

2 محمد جمال باروت، تلخيص وعرض لكتاب **حركة القوميين العرب (النشأة - التطور- المصائر)**، تأليف: محمد جمال باروت، (كراس صادر عن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، الدائرة الثقافية المركزية، 2007)، ص 6.

3 المصدر السابق، ص 8.

4 المصدر السابق، ص 9.

5 بسام أبو شريف، وعوزي محنايمي، **أفضل الأعداء**، دار الساقي، بيروت، 2011، ص 76.

الفلسـطينيين في دمشـق (1959)، ورابطـة الكليـة الأهليـة والثقافيـة في رام اللـه (1950)،[1] واتحـاد طلبـة الثانويـات في غـزة)1951(.[2]

ومـن المهـم ملاحظـة أنّـه في حالـة الضفـة الغربيـة، فـإن تحـول الفلسـطينيين هنـاك إلى مواطنـين أردنيـين، مـن الناحيـة القانونيـة، حـال دون بنـاء أطـر ذات هويـة فلسـطينية عامـة شـاملة، لذلـك فـإنّ الأطـر واللجـان ذات الطابـع المحـلي في المناطـق، والمعاهـد العلميـة، كانـت هـي النمـط السـائد، وفي حـال سـوريا، فـإنّ التركيـز عـلى التسـمية العربيـة أمـر أسـاسي لتمريـر تأسـيس روابـط فلسـطينية.

أمـا في السـاحة اللبنانيـة، فـكان المكتـب الثـاني اللبنـاني، (جهـاز الاسـتخبارات)، يعيـق أي عمـل سـياسي فلسـطيني يذكـر.

وفي سـاحة مثـل الولايـات المتحـدة الأميركيـة، فـإنّ العمـل في السـتينيات، كان بالدرجـة الأولى تحـت مسـمى «رابطـة الطلبـة العـرب»، التـي كانـت في الخمسـينيات وحتـى العـام 1963، تحـت سـيطرة حـزب البعـث، عندمـا فـازت قائمـة برئاسـة حركـة «فتـح» يقودهـا نبيـل شـعث، الطالـب في جامعـة بنسـلفانيا حينهـا، لتصبـح قاطـرة العمـل لأجـل فلسـطين.[3]

كان تأسـيس الفصائـل الفلسـطينية نهايـة الخمسـينيات يتـوازى مـع نضـوج فكـرة الكيـان الفلسـطيني المسـتقل، التـي سينشـأ عنهـا العـام 1964، منظمـة التحريـر الفلسـطينية، وفي هـذا السـياق، تأسـس في 29 تشريـن الثـاني (نوفمـبر) 1959، الاتحـاد العـام لطلبـة فلسـطين، بحضـور وفـود طلابيـة مـن سـوريا ولبنـان إلى القاهـرة، حيـث شـاركت الروابـط الفلسـطينية في مـصر أيضـاً، وبحضـور وفـود طلابيـة عربيـة وأجنبيـة، وكل ذلـك بتشـجيع الرئيـس المـصري جـمال عبـد النـاصر، وكانـت القضايـا التـي يتولاهـا الطـلاب حينهـا، إلى جانـب مسـاعدة الطلبـة ماليـاً واقتصاديـاً،[4] تتضمـن، أيضـاً، دعـوات إلى التسـليح والتجنيـد الإجبـاري للفلسـطينيين، وإنشـاء كيـان مسـتقل، وتمثيـل الفلسـطينيين في المحافـل الدوليـة.[5] وقـد وصـل عـدد فـروع الاتحـاد

1 غياظة، **الحركة الطلابية**، مرجع سبق ذكره، 27- 28.

2 سليم الزعنون، **السيرة والمسيرة**، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 2013، ص 33.

3 نبيل شعث، **حياتي من النكبة إلى الثورة**، دار الشروق، القاهرة، 2016، ص 165- 170.

4 الزعنون، **السيرة والمسيرة**، مرجع سبق ذكره، ص 44.

5 غياظة، **الحركة الطلابية**، مرجع سبق ذكره، ص 32.

حـول العـالم أكـثر مـن 50 فرعـاً.[1]

يشـير مـا سـلف بشـأن الحـركات والأطـر الشـبابية، بـين النكبـة والعـام 1967، إلى قضيتـين مهمتـين، تشـكلان جـزءاً مـن الإطـار النظـري لهـذا البحـث، ومـن أسـئلته لدراسـة المرحلـة بعـد العـام 2011، وهـما:

- كان العمـل الشـبابي في السـنوات التـي أعقبـت النكبـة ضمـن تصـور لتأسـيس وتـولي الحركـة السياسـية الفلسـطينية ككل، وليـس ليكـون هـذا العمـل رديفـاً أو ذراعـاً لتنظيـمات وأطـر أخـرى. أي كانـت هـذه حـركات شـبابية تتحـرك باعتبارهـا بدايـة إنشـاء حركـة سياسـية جديـدة بالكامـل.

- إنّ طريقـة التشـكيل والتطـور ذات أهميـة في تحديـد البنيـة التنظيميـة السياسـية المنبثقـة عـن التحـرك الشـبابي. ففـي حـين أن حركـة «فتـح» نشـأت مـن ائتـلاف عـشرات المجموعـات دون تدقيـق في أفكارهـا وبرامجهـا، مـا دامـت تتبنـى تحريـر فلسـطين، وهـذا انعكـس في طبيعـة تنظيـم «فتـح» الـذي رفـض فكـرة القيـادة المركزيـة، وبخاصـة فيـما يتعلـق بالنشـاط الميـداني، وكانـت المركزيـة غـير الحازمـة، تقتـصر عـلى الموقـف السـياسي في القضايـا الرئيسـية، فالحركـة أعطـت أعضاءهـا هامشـاً واسـعاً مـن تبنـي أيديولوجيـات وأنمـاط حيـاة اجتماعيـة بحسـب اختيـار الأعضـاء، وسـمحت بهامـش واسـع مـن المواقـف السياسـية والعقائديـة داخلهـا، إلا في إطـار تحديـد الموقـف السـياسي الفلسـطيني الرسـمي مـن قضايـا الـصراع الأسـاسي، مثـل الحـل السـلمي، وحـل الدولتـين. عـلى العكـس مـن هـذا، فـإنّ حركـة القوميـين العـرب، والجبهـة الشـعبية، تبنيـا المركزيـة الديمقراطيـة، التـي تعنـي تنظيـماً حزبيـاً فيـه هرياركيـة (تراتبيـة) في صنـع القـرار، ورفـض تباينـ المواقـف السياسـية والفكريـة المعلنـة للعلـن.[2]

1 المرجع السابق، ص 37.

2 أبو شريف ومحنايمي، **أفضل الأعداء**، مرجع سبق ذكره، ص 51.

3-2 مرحلة الثورة إلى أوسلو (1967-1994)

بعد أن تحقق هدف تأسيس الكيانات الأوسع (حركة فتح والجبهة الشعبية وما تفرع عنها من فصائل) إضافة إلى فصائل أخرى، وسيطرة هذه الفصائل على العمل السياسي الفلسطيني، عبر تأسيس وقيادة منظمة التحرير الفلسطينية، بات العمل الطلابي والشبابي مجرد جزء من الأطر الجديدة. وبكلمات أخرى، فيها استعارة لغوية أدبية، كانت الحركات الشبابية في سنوات الخمسينيات بمثابة «الرحم» أو «الحاضنة» التي أنشأت الحركة الوطنية. أما في نهاية الستينيات، فقد باتت الأطر الشبابية والطلابية (والقطاعية الأخرى كالمرأة، والعمال ...) أذرعاً للحركة الوطنية وفصائلها، مع استثناءات محدودة.

بعد العام 1968، صار للأطر الشبابية أهداف هي بالدرجة الأولى تعبئة الطاقات الجديدة، وتجنيد عناصر جدد يدخلون الفصيل الأكبر، دون أن يلغي هذا أنّ الطلاب والشباب كانت لهم برامج وأجندات خاصة بهم، تتعلق بحياتهم الجامعية والشبابية.

في هذه المرحلة، أصبح الاتحاد العام لطلبة فلسطين، ممثلاً لفلسطين في اتحاد الطلاب الدولي الذي تأسس في أوروبا العام 1946، حيث خلف الاتحاد العام، رابطة طلبة فلسطين (القاهرة) التي صارت عضواً في الاتحاد العام 1958. وفي العام 1962، انضم الاتحاد إلى اتحاد آخر انشق عن الأول، العام 1950، هو «المؤتمر الدولي الطلابي»، ويضم دولاً إسكندنافية وأنجلو أميركية وأوروبية غربية. وبهذا، أصبح الفلسطينيون عضواً في الاتحادين. وصار جزءاً مهماً من نشاطه فيهما، التصدي للطلبة الصهاينة الإسرائيليين، والحصولُ على تأييد الطلاب عالمياً للقضية الفلسطينية.[1]

اتسمت علاقة الاتحاد العام لطلبة فلسطين ومنظمة التحرير بين العامين 1964- 1967، بالتوتر، لرفض الاتحاد سيطرة منظمة التحرير عليه، أو التدخل في شؤونه، ولطلب الاتحاد من المنظمة توفير تمويل له، ولعل هذا التوتر هو انعكاس لحقيقة أنّ الفصائل، وبخاصة حركتي «فتح» و«القوميين العرب»، كانت تتوجس من قيادة أحمد الشقيري للمنظمة، وعمل مؤيديه على السيطرة على الاتحاد.[2]

1 غياظة، **الحركة الطلابية**، مرجع سبق ذكره، ص 38- 39.

2 المرجع السابق، ص 39- 40.

في هـذه المرحلـة، أصبحـت الفصائـل الفلسـطينية هـي المكـون الأهـم والمهيمـن عـلى العمـل الفلسـطيني، وسـيطرت عـلى منظمـة التحريـر الفلسـطينية. ومـن هنـا، عـلى الرغـم مـن زيـادة الانضـمام، مثـلاً، إلى الاتحـاد العـام لطلبـة فلسـطين، فـإنّ الاتحـاد أصبـح أقـرب إلى منظمـة التحريـر الفلسـطينية، ومواقفهـا، وخلافاتهـا أيضـاً. لقـد عقـد الاتحـاد العـام لطلبـة فلسـطين، منـذ تأسيسـه وحتـى العـام 1990، عـشرة مؤتمـرات عامـة، تجـددت فيـه قيادتـه، وكان يحظـى باهتـمام كبـير مـن قـادة الفصائـل والمنظـمات، فعـلى سـبيل المثـال، حـضر جـزء مـن مؤتمراتـه، كل مـن قـادة منظمـة التحريـر والفصائـل، مثـل يـاسر عرفـات، وجـورج حبـش، ونايـف حواتمـة، وسـليمان النجَّـاب، وخليـل الوزيـر، وصـلاح خلـف، وأمنـاء عامـين لفصائـل مختلفـة.[1] وقـد تحـول جـزء كبـير مـن الطـلاب الذيـن قـادوا الاتحـاد، إلى جـزء مـن القيـادة الفلسـطينية، أو قيـادة فصائلهـم.

كان الطـلاب ممثلـين لفصائلهـم، وصـارت التنظيـمات الطلابيـة للفصائـل هـي نـوع الأذرع في الجامعـات وبـين الشـاب، الذيـن انخرطـوا في الفصائـل، دون تمايـز حقيقـي في مواقفهـم عـن قيـادة فصائلهـم. ولعـل أحـد الاسـتثناءات هـو إطـار سـمي بالسريـة الطلابيـة، داخـل حركـة «فتـح»، التـي تأسسـت في العـام 1973، وكانـت جـزءاً أساسـياً مـن البنـاء العسـكري لحركـة «فتـح»، ولكنهـا تبنـت، أيضـاً، مسـحة فكريـة يساريـة ماويّـة، مـا لبثـت أن تحولـت لـدى جـزء مـن رموزهـا إلى الإسـلام السـياسي، بعـد العـام 1978. وقـد حـاول القائمـون عـلى السريـة تكويـن مـا يسـميه أحـد مؤسسـيها وقادتهـا، معـين الطاهـر «نظريتنـا الخاصـة للثـورة».[2] وحاولـوا أن يكونـوا تيـاراً داخـل حركـة «فتـح»، يبقـى عضـواً فيهـا، ولكـن يحفـز تغيـيراً في المسـلكية الثوريـة، وفي طبيعـة التنظيـم، وفي الموقـف السـياسي «بدرجـة مـن الاسـتقلالية والتمايـز»، وقـد جمـع التيـار طلابـاً فلسـطينيين ومعهـم عراقيـون، وتونسـيون، ومصريـون، وسـوريون، وحتـى إيرانيـون، وأتـراك، ويساريون غربيـون.[3] ولاحقـاً تحولـت هـذه السريـة، أو التنظيـم الطـلابي، إلى كتيبـة رسـمية، داخـل حركـة «فتـح»، والثـورة الفلسـطينية، أخـذت اسـم كتيبـة الجرمـق «غـير أن التنظيـم السـياسي والخـط السـياسي؛ سـواء في الجامعـات أو في المناطـق

1 المرجع السابق، ص 56- 61.

2 الياس خوري وميشال نوفل، حوار مع معين الطاهر، الكتيبة الطلابية تأملات في التجربة، ص 33.

3 المرجع السابق، ص 34.

اللبنانية المتعددة، بقيا رديفاً لهذه الوحدة».[1] والواقع أنّ هذه العلاقة هي نموذج إلى حد كبير لعلاقة الشباب والطلاب بالفصائل في السبعينيات والثمانينيات، فالتمايز غير واضح، وبخاصة في الشتات، ويمكن تسمية هذه المرحلة بمرحلة التسييس العالي للشباب والطلاب.

على صعيد سوريا، فإنّ العمل السياسي، بشكل عام، لم يكن مفتوحاً، وكان بالتالي مرتبطاً بالفصائل التي يتركز نشاطها في لبنان.

أمّا في الأردن، فمر الوجود والعمل الطلابي والشبابي في الأردن بمرحلتين مختلفتين، الأولى قبل العام 1970، حيث كان هناك عمل علني وواضح، ولكن في سياق دعم الكفاح المسلح من جهة، وفي نطاق الصراع السياسي مع النظام في الأردن. على أنّه تدريجياً أصبح التواجد الطلابي والشبابي بمثابة أذرع للفصائل الفلسطينية، تعمل في الساحة الأردنية، بوجود برامج أردنية للفصائل اليسارية، ولا سيما الجبهتين الشعبية والديمقراطية لتحرير فلسطين. وفي مرحلة الانفتاح الديمقراطي في الأردن بعد العام 1989، حدث تحول مهم، تمثل في تأسيس الفصائل الفلسطينية، أحزاباً أردنية تعمل في الشأن السياسي الأردني، وتحديداً حزب الوحدة الشعبية (امتداداً للجبهة الشعبية)، وحزب الشعب الديمقراطي (امتدادا للجبهة الديمقراطية). أما حركة «فتح»، فمرت بمرحلة من التخبط، وحاولت أجنحة فيها تأسيس جناح طلابي، وحركة سمتها «الشبيبة الطلابية – الكرامة»، وأصدرت بياناً تعلن فيه قيام الحركة في العام 1990، قبل أن تصدر توجيهات من قبل رئاسة الحركة، بحل الحركة، وعدم الاشتغال بالشأن الأردني الداخلي.[2]

كان الوضع مختلفاً نسبياً، داخل فلسطين، وزاد اختلافه بعد خروج كوادر المقاومة من لبنان في العامين 1982 و1983. ففي هذه المرحلة، تراجع دور الكفاح المسلح نسبياً، لصالح العمل على تنظيم شعبي مدني مقاوم، دون التخلي عن الكفاح المسلح.

هناك اتفاق أن الحزب الشيوعي الأردني، (الذي صار اسمه لاحقاً التنظيم الشيوعي، ثم

1 المرجع السابق، ص 48.

2 مقابلة مع أحد قيادات حركة فتح الطلابية في الجامعات الأردنية في الثمانينيات وحتى العام 1991.

الحـزب الشـيوعي الفلسـطيني، ثـم تحـول إلى حـزب الشـعب)،[1] كان الأقـدر عـلى تشـكيل أطـر طلابيـة وشـبابية، داخـل فلسـطين المحتلـة بعـد العـام 1967، وهـو لم يمـارس الكفـاح المسـلح تقريبـاً، باسـتثناء اجتهـادات فرديـة لبعـض أعضائـه. وكان لـدى الحـزب إطـار طـلابي سـمي «اتحـاد الطلبـة الفلسـطيني»، بجانـب لجـان الطلبـة الثانويـين.[2] وتغـير اسـم الكتلـة إلى «كتلـة اتحـاد الطلبـة التقدميـة»، في العـام 1982.[3] ولكـن، بشـكل عـام، طغـى الاتجـاه إلى العمـل الـسري المسـلح عـلى فصائـل منظمـة التحريـر الفلسـطينية، وعـلى الرغـم مـن تأسـيس الفصائـل كتـلاً طلابيـة خاصـة بهـا، فـكان للجبهـة الشـعبية لتحريـر فلسـطين، «اتحـاد الطلبـة الثانويـين»، بعـد العـام 1967،[4] فـإنّ التركيـز بقـي عـلى الكفـاح المسـلح الـسري، ولم يتغـير الآمـر إلا نهايـة السـبعينيات، ومطلـع الثمانينيـات، بعـد تأسـيس الجامعـات الفلسـطينية.[5] وفي البدايـة كان النضـال الطـلابي يركـز عـلى قضايـا مطلبيـة مثـل الرسـوم والمقصـف، إلى جانـب التفاعـل مـع القضايـا السياسـية، وكان طلبـة المـدراس أكـثر نشـاطاً مـن الجامعـات في هـذا الصـدد، حتـى منتصـف السـبعينيات.[6]

شـكل نشـوء الجامعـات الفلسـطينية في الداخل (الأراضي المحتلـة العـام 1967)، حاضنة للتنظيم الشـبابي والطـلابي الثـوري، المـدني، إلى حـد كبـير، بدعـم مـن منظمـة التحريـر الفلسـطينية، وهـو مـا بـدأ يتضـح نهايـة السـبعينيات، وهنـا بـدأت الفصائـل بتشـكيل كتـل طلابيـة خاصـة بهـا، مـن مثـل تأسـيس الجبهـة الديمقراطيـة لتحريـر فلسـطين العـام 1979، «كتلـة الوحـدة الطلابيـة» في جامعـة بيـت لحـم، وتأسـيس الجبهـة الشـعبية لتحريـر فلسـطين، في الجامعـة ذاتهـا والعـام ذاتـه، ميـلاد «جبهـة العمـل الطـلابي التقدميـة» التـي عممـت لاحقـاً.[7] فيـما

1 انضـم الشـيوعيون الفلسـطينيون في الضفـة الغربيـة إلى الحـزب الشـيوعي الأردني بعـد العـام 1948، وفي العـام 1982 أعلـن إطـار خـاص للشـيوعين الفلسـطينيين، تحـت اسـم الحـزب الشـيوعي الفلسـطيني، وفي العـام 1991، أعيـد تسـمية الحـزب إلى حـزب الشـعب الفلسـطيني.

2 غياظة، **الحركة الطلابية**، مصدر سبق ذكره، ص 81.

3 المرجع السابق، ص 125.

4 أحمـد قطامـش، **في التنظيـم الثـوري الـسري، الجبهـة الشـعبية لتحريـر فلسـطين في الوطـن المحتـل أنموذجـاً**، حزيـران 1967 – أوسـلو 1993، دار الأمـين، رام اللـه، 2011، ص 310.

5 المرجع السابق، 313.

6 غياظة، **الحركة الطلابية**، مصدر سبق ذكره، ص 92.

7 أحمـد عيـسى، «دور الحركـة الطلابيـة في انتفاضـة الحجـارة (1987)»، **مجلـة سياسـات**، العـدد 42. وأحمـد قطامـش، في التنظيـم الثـوري، مصـدر سـبق ذكـره، ص327.

شكلت حركة «فتح»، التي كانت حتى نهاية السبعينيات الأقل اهتماماً بالعمل الشعبي النقابي، بناء على اجتماع بين ممثلين من طلاب الحركة، من جامعات عدة في فلسطين، كتلة طلابية عرفت في البداية باسم «الاتجاه الفتحاوي»، ثم سميت نحو العام 1982 باسم «الشبيبة الطلابية» كذراع نقابية للحركة،[1] علماً أن هذه الأذرع حاولت أن تكون مرنة، فلا تقتصر عضويتها على الأحزاب والفصائل التي تتبع لها.[2] وهذا ينطبق، وإن بشكل مختلف نسبياً، مع حالة الكتلة الإسلامية، فبينما تشكلت الكتل الأخرى من فصائل، حاولت أن تتسع للآخرين، فإن الكتل الإسلامية، يبدو أنها بدأت، أيضاً، نحو العام 1979، بكتلة في جامعة بيرزيت حملت اسم «كتلة العمل الطلابي»، وكانت تَصدُر بيانات بأسماء مثل «الشباب المسلم، والأيدي المسلمة، وحركة الإصلاح الإسلامية، والكتلة الإسلامية، والحركة الطلابية الإسلامية»، قبل أن تستقر على مسمى الكتلة الإسلامية نحو العام 1983.[3] وعلى نحو مماثل، بل وسابق، لحركة الشبيبة، ولكن بأثر أقل وضوحاً، شكلت الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين، ذراعاً هي منظمة الشبيبة الديمقراطية، التي تحولت لاحقاً إلى «اتحاد الشباب الديمقراطي- أشد»، وبدأ تأسيس هذه المنظمة نحو العام 1977، ومع نهاية الثمانينيات، كانت لها فروع في لبنان، وسوريا، والأردن، والكويت، والولايات المتحدة الأميركية، وألمانيا الغربية، ودول أخرى. وإن كان جزء كبير من نشاطاتها مرتبطاً بالكفاح المسلح، وبخاصة في لبنان، فيما كانت ذراعاً شبابيةً أثناء انتفاضة العام 1987 في فلسطين.[4]

لقد شكلت مرحلة الثمانينيات مرحلة حاسمة في تطور العمل الطلابي الشبابي في الأراضي المحتلة، بدعم من قيادات الفصائل الفلسطينية في الخارج، فمع الخروج من بيروت، أصبح التركيز على المقاومة المدنية في داخل فلسطين، وعلى سبيل المثال صارت هذه الفصائل، وبخاصة حركة «فتح» تحرص على عودة الطلبة من الخارج، بعد تخرجهم، إلى فلسطين للنشاط هناك. وصارت فكرة لجان الشبيبة أساسية جداً في قيادة المرحلة.

1 أحمد عيسى، **دور الحركة الطلابية**، مصدر سبق ذكره.

2 أحمد قطامش، **في التنظيم الثوري السري**، مصدر سبق ذكره، ص 329.

3 غياظة، **الحركة الطلابية**، مصدر سبق ذكره، ص 118- 125

4 يوسف حمد، «34 عاماً على تأسيس اتحاد الشباب الديمقراطي الفلسطيني (أشد)»، **دنيا الوطن**، 29 حزيران (يونيو) 2011. https://pulpit.alwatanvoice.com/content/print/231459.html

وهـو مـا نتـج عنـه انـدلاع انتفاضـة العـام 1987.[1]

في الأراضي المحتلـة العـام 1948، كان مـن أبـرز ملامـح العمـل الشـبابي هنـاك، تشـكيل لجـان الطلبـة العـرب في الجامعـات، فتأسسـت لجنـة لهـم في جامعـة تل أبيـب العـام 1968، وفي حيفا أخـذ تشـكيل لجنـة طلابيـة عمـلاً اسـتمر بـين العامـين 1970- 1973، وفي معهـد التخنيـون في حيفـا العـام 1972، وفي بـار إيـلان في رامـات غـان العـام 1974، وفي بـن غوريـون في بـئر السـبع العـام 1975. وشـكل الطلبـة اتحـادات ولجانـاً عليـا تجمـع هـذه اللجـان. وقـد تـوزع عمـل هـذه اللجـان بـين قضايـا نقابيـة طلابيـة وموضوعـات وطنيـة، مثـل رفـض المشـاركة في حراسـة الجامعـات خوفـاً مـن العمـل الفـدائي، ومثـل عقـد النـدوات عـن القضيـة الفلسـطينية.[2]

كانـت الحركـة الطلابيـة في الأراضي المحتلـة العـام 1948، مـن حيـث علاقتهـا بالأحـزاب نوعـين؛ الأول مرتبـط بالأحـزاب، وتحديـداً بالحـزب الشـيوعي، والثـاني أنتـج أحزابـاً، فحركـة «أبنـاء البلـد» هـي امتـداد للحركـة الطلابيـة أوائـل السـبعينيات، واللافـت، أنّـه بالتزامـن مـع تأسـيس الفصائـل الفلسـطينية أذرعـاً طلابيـة كحـركات منظمـة في جامعـات ومـدن الأراضي المحتلـة العـام 1967، تأسسـت في أراضي 1948 أذرع مشـابهة، ففـي العـام 1977، تأسسـت «جبهـة الطـلاب العـرب» التـي هـي امتـداد للجبهـة الديمقراطيـة للسـلام والمسـاوة (وريثـة الحـزب الشـيوعي)، لتضـم شـيوعيين وغـير شـيوعيين. أمـا «الحركـة الوطنيـة الديمقراطيـة»، فكانـت امتـداداً لحركـة أبنـاء البلـد، وأقيمـت العـام 1979.[3] ولكـن بينـما كانـت الأذرع الطلابيـة في الضفـة وغـزة تتحـول في الثمانينيـات إلى قـوة العمـل السـياسي الأساسـية، تراجـع العمـل الطلابي في أراضي العـام 1948، وربمـا يكـون هـذا انعكاسـاً لتراجـع الحركـة السياسـية الفلسـطينية، ممثلـة بمنظمـة التحريـر الفلسـطينية وخروجهـا مـن لبنـان، وبـدء الحديـث عـن حـل الدولتـين بشـكل أكـبر، ولعـل مـا يؤكـد هـذه الفرضيـة اسـتمرار حالـة الكمـون في التسـعينيات.[4]

عـلى صعيـد السـاحات الخارجيـة، غـير العربيـة، وتحديـداً بريطانيـا والولايـات المتحـدة، فـإنّ وصـول الاتحـاد العـام لطلبـة فلسـطين، ولعبـه دوراً فاعـلاً انتظـر حتـى السـبعينيات عـلى مـا

1 أحمد جميل عزم، «استعادة «خليل الوزير» في الراهن الفلسطيني»، **جريدة الغد**، 16 نيسان (أبريل) 2009.

2 محمـد مصطفـى، «الحـراك الطـلابي والنشـاط الطـلابي الفلسـطيني في إسرائيـل»، في: **الفلسـطينيون في إسرائيـل، قـراءات في التاريـخ، والسياسـة، والمجتمـع**، مـدى الكرمـل، حيفـا، 2013، ص 29- 31.

3 المرجع السابق، ص 30- 31.

4 المرجع السابق، ص 32- 33.

يبدو.[1] وقد بدأ الاتجاه نحو إطار طلابي فلسطيني خاص ينمو بالتوازي مع الاعتراف الدولي بمنظمة التحرير الفلسطينية، ممثلا للفلسطينيين، وعضواً مراقباً في الأمم المتحدة. وكان للثورة الإيرانية، دور مهم في إنهاء اعتماد منظمة الطلبة العرب، سالفة الذكر، قاطرةً للعمل الفلسطيني، في الولايات المتحدة، إذ حدث خلاف على خلفية التأييد البعثي (السوري على ما يبدو) للثورة الإيرانية، وقرر الطلبة الفلسطينيون، الانسحاب، واعتماد الاتحاد العام لطلبة فلسطين إطاراً للعمل، فيما شكل طلبة عرب آخرون منظمة الطلبة العرب التقدمية (The Arab Democratic Student Association). أدى هذا إلى تراجع البعد العربي في النضال الطلابي/الشبابي، لأجل فلسطين، وبخاصة أنّ هذه المنظمة تلاشت لاحقاً ولم تعمر طويلاً.

شكل الاتحاد العام لطلبة فلسطين، فرع الولايات المتحدة، نوعاً من البوتقة لجمع الطلاب الفلسطينيين، الآتين للدراسة في الولايات المتحدة، فيعتقد أنه في منتصف الثمانينيات، شكل الطلبة الفلسطينيون القادمون من الكويت، المجموعة الأكبر في الاتحاد، يليهم الآتون من لبنان، ثم من الضفة الغربية، وتنافست فيه فصائل منظمة التحرير الفلسطينية.

وبرز توتر آخر داخل التجمعات الشبابية الفلسطينية، كما في حالة الولايات المتحدة، تمثل في صعود التيار الإسلامي، وإذا كان هذا التيار قد بدأ يلعب دوراً بعد الثورة الإيرانية العام 1979، فإنّ الانتفاضة الفلسطينية العام 1987 لعبت دوراً مهماً في تعزيز الأطر الإسلامية.

ربط الاتحاد العام نشاطه بالغرب بحركات التحرر العالمية، وانخرط في النضال المشترك، مع قضايا مثل السود في الولايات المتحدة، وجنوب أفريقيا. وقد كان لمجازر صبرا وشاتيلا دور في تعزيز دور الشباب الفلسطيني في الشتات، وبخاصة الاتحاد العام، وذلك بالتوازي مع بدء العالم الغربي بالحصول على معلومات مختلفة، عن السياسات الإسرائيلية، إبان حرب لبنان العام 1982 وعقبها.

ومثلما أنّ الخروج من بيروت، ساهم في تعزيز دور الحركة الشبابية والطلابية في داخل

1 هذا ما ذكره فؤاد شعث، رئيس اتحاد طلبة فلسطين في بريطانيا، في لقاء مع تلفزيون TRT، 9 شباط (فبراير) 2016، بشأن الساحة البريطانية.

فلسطين، وذلك بعد أن توقفت بيروت عن لعب دور أشبه بعاصمة النضال الفلسطيني، شهدت ساحات العالم الغربي، وبخاصة الولايات المتحدة، نشاطاً لظهور أذرع شبابية وشعبية للفصائل وللاتحادات المهنية والشعبية الفلسطينية، أخذت شكل بناء جمعيات، وحتى مؤسسات عمل عام مثل المكتبات، وتنظيم دورات لتعليم اللغة العربية، والدبكة، وجمع التبرعات لمساعدة اللاجئين في لبنان، وفتحت الفصائل مكاتب كواجهات لها. وقدر عدد أعضاء الاتحاد العام لطلبة فلسطين (في الولايات المتحدة ككل)، في العام 1987، بنحو 5800 عضو، كما يشير ناشطون في العمل الطلابي.[1]

ولكن، بشكل عام، فإنّ غالبية المنتمين إلى الاتحاد العام لطلبة فلسطين جاؤوا كطلاب للدراسة، ومهاجرين جدد، أما الفلسطينيون من أبناء المهاجرين، والجيل الثاني، فرغم نشاطهم الفلسطيني، فإنهم عملوا بشكل مستقل أو ضمن جمعيات وأطر، مثل اتحاد أبناء رام الله (American Federation of Ramallah)، وجمعية أصدقاء بيرزيت. ولعبت مثل هذه المجموعات دوراً مُهِماً بين العامين 1987- 1989، لتشجيع بلديات عدة في مدن أميركية لتعلن تأييدها لقيام دولة فلسطينية على حدود العام 1967، وحرص هؤلاء الفلسطينيون – الأميركيون (من أبناء المهاجرين الذين جاؤوا إلى الولايات المتحدة في الستينيات وما قبل ذلك)، على الانخراط في النشاطين السياسي والثقافي الأميركيين. ومثل هذه التحركات كانت بالتوازي مع نشاط الاتحاد العام لطلبة فلسطين، لحشد التأييد الشعبي للانتفاضة الفلسطينية حينها في الولايات المتحدة، بالحديث مع الصحافة والإعلام، والسياسيين، وتنظيم النشاطات العامة. وهذا انعكس بتوتر مع الجماعات اليهودية، وملاحقة أمنية أميركية أكبر. وكما يلاحظ، ويرد في الفصل الثالث، فإنّه بينما نشط الشباب الفلسطيني في الثمانينات لترويج فكرة الدولة الفلسطينية كجزء من حل الدولتين، فإنّ الحراكات الفلسطينية الجديدة، بعد العام 2011 على العكس قادت احتجاجات ضد هذا الحل، وهنا ربما يُلاحظ أمران؛ أن مجموعات ونشاطات الثمانينيات كانت مرتبطة بمنظمة التحرير وفصائلها، وبالتالي تبنت مواقفها، بعكس الحراكات الجديدة. والأمر الثاني، أن فشل اتفاقيات أوسلو، وعدم وجود حل لقضايا اللاجئين، أوجد ردة فعل ضد حل الدولتين.

1 أرشيف جامعة سان فرانسيسكو، اطلعت عليه الباحثة لبنى قطامي.

4-2 مرحلة أوسلو (1993-2000)

تتسم هذه المرحلة -إلى حد كبير- بأنها مرحلة «اللاتسييس»، للشباب،[1] فعقب بدء حرب الخليج الثانية، وغزو العراق للكويت، بدأت العملية السياسية عبر مفاوضات مؤتمر مدريد للسلام، ومن ثم توقيع اتفاقيات أوسلو، العام 1993، بين منظمة التحرير وإسرائيل، وهذه عملية تمت إلى حد كبير، كعملية ديبلوماسية، سرية، لا تتضمن فعلاً شعبياً، ما أضعف الجهد الشعبي عموماً، بما فيه الشبابي والطلابي. إضافةً إلى ذلك، فإنه بينما كان العالم يتجه بعد الحرب الباردة، وسقوط الاتحاد السوفييتي، وبدء مرحلة العولمة، إلى تقليل دور الدولة، وزيادة الفعل الفردي وغير الرسمي، كان العمل الفلسطيني في اتجاه آخر، هو بناء السلطة والدولة، وإهمال مؤسسات الشتات ومنظمة التحرير الفلسطينية، لصالح الكيان الجديد، وأسهم هذا في تقليص دور العمل الشعبي والشبابي لصالح مؤسسات السلطة الناشئة والأجهزة الأمنية الرسمية.

كان العام 1990 هو آخر عام انعقد فيه مؤتمر عام للاتحاد العام لطلبة فلسطين،[2] ودخلت فروع الاتحاد وهيئاته حالة انكماش وكمون وتلاشٍ منذ ذلك الحين. وقد انقسمت الحركة الطلابية بشدة بين معارض ومؤيد لاتفاقيات أوسلو، وأصبح الانقسام أساسياً في المشهد،[3] وبخاصة مع تزايد قوة التيار الإسلامي، بعد تأسيس حركة المقاومة الإسلامية (حماس)، كفصيل مقاومة تابع لجماعة الإخوان المسلمين العام 1987، ما عزز الكتلة الطلابية المرتبطة بالحركة. وبينما تراجع دور الجسم الطلابي التابع لفصائل منظمة التحرير الفلسطينية، بدخول قيادات وكوادر هذه الفصائل إلى فلسطين، تزايد دور العناصر الشبابية لحركة «حماس»، التي تولت مهمة التصعيد للعمل المسلح على الأرض.

لقد تلى حرب الخليج (حرب العراق- الكويت) العام 1990- 1991، نوع من الانكماش المفاجئ والسريع في العمل الشبابي والطلابي الفلسطيني، وبخاصة في الشتات، ومما أسهم في هذا عوامل أهمها، التركيز من قبل قيادة منظمة التحرير على المفاوضات، ثم بناء

1 طبر والعزة، «المقاومة الشعبية بعد الانتفاضة»، مصدر سبق ذكره، ص 132.

2 غياظة، **الحركة الطلابية**، مصدر سبق ذكره، ص 68.

3 المرجع السابق، ص 151.

الدولـة والسـلطة في فلسـطين (بعـد العـام 1993) عـلى حسـاب العمـل الشـعبي، وكذلـك، الضربـة التـي وجهـت للتواجـد الطـلابي والشـبابي في الكويـت والعـراق، وكلتاهـما كانتـا سـاحتين أساسـيتين في هـذا المجـال، والتضييـق مـن قبـل دول الخليـج عـلى العمـل الفلسـطيني، والأزمـة الماليـة التـي دخلتهـا منظمـة التحريـر بعـد توقـف الدعـم الخليجـي. وكذلـك تحـول الفصائـل اليسـارية في الأردن إلى أحـزاب أردنيـة، يضـاف إلى هـذا انهيـار الاتحـاد السـوفييتي، والمعسـكر الاشـتراكي، مـا أضعـف القـوى اليسـارية بشـكل خـاص، وأدخلهـا أزمـات ماليـة وبنيويـة. ولعـل مـا تقولـه الباحثـة لبنـى قطامـي، عـن واقـع السـاحة الأميركيـة، يجسـد واقعـاً انتـشر في أغلـب سـاحات العمـل الفلسـطيني، فهـي تقـول:

> «بـين عشـية وضحاهـا تقريبـاً، أغلقـت الأحـزاب السياسـية جـزءاً كبـيراً مـن مكاتبهـا، ومـما تبقـى مـن مشـاريعها، وألغـت برامجهـا وخدماتهـا الثقافيـة، وتسـارع حـل الاتحـادات والروابـط الفلسـطينية، وكان الأكـثر فداحـةً حـل أكـثر مـن عشريـن فرعـاً للاتحـاد العـام لطلبـة فلسـطين».[1]

في داخـل فلسـطين، أصبـح النشـاط الطـلابي والشـبابي، لـه سـمات مطلبيـة حياتيـة، فمـع تزايـد عـدد الجمعيـات والمنظـمات غـير الحكوميـة الشـبابية، التـي تضاعفـت تقريبـاً بـين العامـين 1992- 2007، لتصـل إلى 372 مؤسسـة، 82.3 بالمئـة في الضفـة الغربيـة، و17.7 بالمئـة في قطـاع غـزة،[2] فـإنّ عمـل هـذه الجمعيـات والأطـر أصبـح في مرحلـة السـلطة الفلسـطينية، وبنـاء الدولـة، موزعـاً بـين ثلاثـة همـوم، أو اهتمامـات، أولهـا، العمـل الوطنـي العـام، بمـا فيـه مـن حيـز خـاص بمقاومـة الاحتـلال. والثـاني، عمليـات بنـاء الدولـة والتنميـة، بمـا في ذلـك، أيضـاً، بنـاء مؤسسـات السـلطة/الدولة، وكذلـك المعارضـة وحقـوق الإنسـان إزاء السـلطة الموجـودة. والثالـث، الحصـول عـلى تمويـل حتـى يمكـن تمويـل برامـج العمـل، وتأمـين دخـل للقائمـين عـلى هـذه الأطـر والعاملـين فيهـا، وهـو مـا انعكـس بالتـالي، إلى حـد مـا، عـلى الهدفـين الأول والثـاني، وصـار جـزءاً مـن تحديـد أجنـدة العمـل مرتبطـاً بتوفـر التمويـل.

---

1 لبنـى قطامـي هـي الباحثـة الميدانيـة في هـذا الكتـاب فيـما يتعلـق بالولايـات المتحـدة الأميركيـة، وهـي اعتمـدت في تقريرهـا عـلى دراسـتها الأكاديميـة.

2 مجـدي المالـكي، وآخـرون، **مشـاركة الشـباب في صناعـة القـرار: فلسـطين واقـع وآفـاق**، مركـز بيسـان للبحـوث والإنمـاء، رام اللـه، 2007، ص 17.

أما الأذرع الشبابية الفصائلية، بعد أوسلو، فإنّه عدا عن دخول الأحزاب والتنظيمات السياسية الفلسطينية أزمات تنظيمية وأيديولوجية، تم نقلها بالتتابع، إلى الجسم الطلابي، وبالتالي نمت ظواهر اللامبالاة وعدم الانضباط وتعمق الانقسام والترهل بين الطلاب،[1] فإنّ وجود كوادر قيادية وحضور علني مؤسسي للفصائل، وانتقال التركيز من المواجهة الميدانية الشعبية في الشارع مع الاحتلال، إلى ممارسات ديبلوماسية وسياسة رسمية خارجية وداخلية، جعل الحاجة إلى الجامعات والشباب، أقل من ذي قبل، وجعل الحاجة إلى مبادرات شبابية مستقلة، أقل جاذبية، إن لم تعد موضع نفور ورفض من قبل الأطر الرسمية الفصائلية، والأجهزة الأمنية الناشئة.

وفي حالات مثل حركة «حماس»، فإنّ أغلب الرموز الشبابية للحركة، مثل يحيى عياش، وصالح العاروري، والأخوين عماد وعادل عوض الله، وعماد عقل، وغيرهم، كانوا في الواقع مقاتلين تبنوا العمل المسلح، مع جهد أقل وضوحاً في العمل الشبابي المدني.

تم إهمال الشتات، والأراضي المحتلة العام 1948، إلى حد كبير، ووصل الأمر إلى درجة من الفراغ، فالفصائل والاتحاد العام لطلبة فلسطين تمر بحالة انكماش تدريجي، وصار نقل الرواية الفلسطينية، والنشاط المرتبط بفلسطين، وهو غالباً على شكل نشاط تراثي فلكلوري وثقافي، عبر روابط المدن والقرى والعائلات في الشتات. فمثلاً في لبنان تأسس على سبيل المثال نادٍ سمي «النادي الثقافي الفلسطيني» العام 1993 في جامعة بيروت العربية، وفي العام 1996، أطلق المركز الثقافي الفلسطيني العربي، في الجامعة اللبنانية. ويعرف النادي نفسه بالقول «انطلق النادي على خلفية سد الفراغ والثغرة للوجود الفلسطيني الفاعل على الصعيد الجامعي بشكل خاص، وعلى صعيد العمل الطلابي الثقافي في المخيمات بشكل عام، بعد سنوات الركود والهبوط في العمل الطلابي في كل مخيمات لبنان، وتلاشي كل الأشكال التنظيمية الطلابية في المخيمات والجامعات، وبخاصة بعد العام 1990، وبعد اتفاقية أوسلو العام 1993».[2] وأطلق الناديان نشاطات تميل إلى الجانب الثقافي والفني بمضمون وطني فلسطيني تراثي، وقد انتشرا في الجامعات والمخيمات.

1 مجدي المالكي، (محرر)، **الحركة الطلابية ومهمات المرحلة**، المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية – مواطن، رام الله، 2000، ص 14.

2 لمعلومات عن الناديين، يمكن مراجعة موقع النادي الثقافي الفلسطيني على الإنترنت: www.palculturalclub.org

في الغـرب، بشـكل خـاص، أصبـح نشـاط الشـباب الفلسـطيني، بعيـداً -إلى حـد كبـير- عـن الفصائـل، وعـن منظمـة التحريـر الفلسـطينية، التـي أهملـت مؤسسـاتها الشـعبية ولم تجددها، ونقلـت كوادرهـا إلى داخـل فلسـطين، أو عـبر مؤسسـات السـلطة الفلسـطينية وسـفاراتها في الخـارج، وبالتـالي، اتجـه الشـباب الفلسـطيني (والفلسـطينيون عمومـاً) في الغـرب، إلى العمـل ضمـن منظـمات وطنيـة في مناطـق تواجدهـم، تنشـط ضـد الحـرب، وضـد العنصريـة، أو نظمـت نشـاطات تضامنيـة مـع الفلسـطينيين، بـين حـين وآخـر، كـما سـتلي تفاصيلـه لاحقـاً.

مـرت بضـع سـنوات، وتحديـداً نحـو عِقـد مـن الزمـن، قبـل أن تبـدأ حـركات جديـدة بالتبلـور، وجـاءت انتفاضـة الأقـصى العـام 2000 لتعطـي دفعـة لهـذه التحـركات، دون أن يتبلـور بالفعـل تحـرك جديـد، أو تبعـث الأطـر القديمـة.

5-2 انتفاضة الأقصى

اندلعـت انتفاضـة الأقـصى في 28 أيلـول (سـبتمبر) 2000، عقـب فشـل قمـة كامـب ديفيـد، في أيلـول (تمـوز) مـن ذلـك العـام، بـين الفلسـطينيين والإسرائيليـين، في التوصـل إلى اتفـاق ينهـي المرحلـة الانتقاليـة التـي انتهـت رسـمياً العـام 1999، وقـد كانـت شرارة الاحتجاجـات الفلسـطينية، دخـول رئيـس المعارضـة الإسرائيليـة، آنـذاك، أرئيـل شـارون، مصحوبـاً بحراسـة كبـيرة مـن الجيـش إلى الحـرم الشريـف في القـدس. وإذ بـدا أنّ هـذه هـي المرحلـة التـي يمكـن أن تشـهد نهضـة في المقاومـة الشـعبية، ومـن ضمنهـا الشـبابية، فـإنّ عسـكرة الانتفاضـة، أدت سريعـاً إلى تراجـع احتـمالات وظـروف انطلاقـة شـبابية جديـدة.

الملاحـظ في اسـتعراض نشـاطات الشـباب في الشـتات، أنـه كان هنـاك حالـة تململ واسـتعداد لإطـلاق أطـر جديـدة، حتـى قبـل انـدلاع الانتفاضـة، ولكـن مجـيء الانتفاضـة أعطـى لبعـض هـذه المحـاولات زخـماً، كـما سـيأتي إيضاحـه لاحقـاً.

في داخـل فلسـطين، أُغلِقَـت الجامعـات أثنـاء الانتفاضـة، وانتـشرت الحواجـز عـلى الطـرق، ومـع النشـاط العسـكري العنيـف جـداً للجيـش الإسرائيـلي، وقصـف المدنيـين والأجهـزة الأمنيـة الفلسـطينية بالطائـرات، لم يـبرز نشـاط مـدني كبـير، وانخـرط الشـبان الناشـطون حينهـا بالتـالي، إلى حـد كبـير، في النشـاطات المسـلحة، وسـيطرت حالـة الاجتياحـات العسـكرية

الإسرائيلية، والإغلاقات، وتراجعت المقاومة المدنية الشعبية الفلسطينية. ولكن برزت أثناء هذه الانتفاضة ظاهرة مختلفة أو جديدة، مرتبطة بفكرة النشاط الفلسطيني في الشتات، وتحديداً في الغرب، متمثلة بحملات التضامن، التي ستضع بذوراً لحراكات لاحقة، ولعل أبرزها، حركة التضامن الدولي (International Solidarity Movement- ISM)، التي سيأتي الحديث عنها لاحقاً، والاختلاف المشار إليه يتركز في اندماج الفلسطينيين في حملات تضامن، بدل أن يكونوا داخل أطر فلسطينية خاصة. لكن في داخل الضفة الغربية، بشكل خاص، كان قرار الحكومة الإسرائيلية بقيادة أرئيل شارون، بناء جدار للفصل العنصري العام 2002، في داخل الضفة الغربية، وليفصلها عن الأراضي المحتلة العام 1948، سبباً في تأسيس لجان محلية في القرى الفلسطينية التي يمر الجدار فيها، سرعان ما تطورت هذه اللجان إلى أطر عمل موقعية، ومع العام 2004، صارت هناك ظاهرة التظاهرات الأسبوعية (أيام الجمعة)، ضد الجدار، وبمشاركة واسعة من الناشطين الأجانب، وبرزت قرى مثل بلعين، وبدرس، ونعلين، وبير نبالا، وإلى حد ما في مدن بيت لحم وقلقيلية، ولكن الاحتجاجات ارتبطت، بشكل أساسي، بجدار الفصل، ومدى تقدم البناء فيه، وأحياناً انتهت الاحتجاجات بنهاية إقامة الجدار.[1] وتوضح مصادر حركة الشبيبة الفتحاوية، على سبيل المثال، أنّ كوادر الحركة انخرطوا في المقاومة الشعبية في البداية، ثم اتجهوا إلى النشاط العسكري «انخرط جيل جديد من كادر الشبيبة الفتحاوية في الدور الميداني في بداية الانتفاضة في المسيرات والمظاهرات على نقاط التماس، وبعدها أيضاً اشترك العديد من أبناء الشبيبة في العمل العسكري، وقدمت الشبيبة جزءاً من أفضل شبابها بين شهيد وأسير وجريح، ما بين العامين 2000 و2005».[2]

في المقابل، كانت تلك الانتفاضة، أيضاً، فرصة ليعيد الشباب الفلسطيني في الشتات تنظيم نفسه، وعلى سبيل المثال، نشأت في سوريا مجموعات عدة، لدعم الانتفاضة، مثل اللجنة المستقلة لدعم الانتفاضة، ولجان الأرض، ورابطة العودة، التي قامت بنشاطات مثل جمع التبرعات، والتبرع بالدم، وتنظيم اعتصامات ومظاهرات في المخيمات، والاعتصام في مبنى الأمم المتحدة في دمشق، والإضراب عن الطعام، ويعتقد أن هذا أول نشاط

1 للتفاصيل، انظر: طبر والعزة، «المقاومة الشعبية بعد الانتفاضة»، مصدر سبق ذكره، ص 120 – 123.

2 حسن فرج، منسق «الشبيبة» في حركة «فتح»، عضو المجلس الثوري للحركة، مقابلة إلكترونية صوتية مسجلة عبر ماسنجر «فيسبوك»، 27 حزيران (يونيو) 2018.

سياسي جماهيري فلسطيني، منذ العام 1983، أو على الأقل كان نشاطاً نادراً من نوعه في سوريا، منذ أن حدث الانشقاق في منظمة التحرير الفلسطينية، وحركة «فتح». وإذ تميز الحراك بمشاركة شبابية واسعة، فإنّ الشباب في هذا الحراك كانوا مستقلين دون ارتباط بالفصائل، وقد حاول الشباب تطوير خطابهم باتجاه المطالبة بحق العودة، ومعارضة اتفاقية أوسلو، إضافة إلى دعم الانتفاضة. ولكن هذه الحراكات لم تتطور إلى شيء مستمر، ولم تنمُ، بل خبت مع تراجع الانتفاضة.[1]

هناك اختلاف نسبي في الأردن، فوجود انتخابات طلابية في الجامعات، ووجود عدد كبير من الطلبة من أصول فلسطينية، بما في ذلك من مخيمات اللاجئين، في الجامعات، ووجود أندية في المخيمات، تشكل حاضنة شبابية (كانت تسمى في الماضي مراكز شباب)، أدى إلى المساعدة على أن تكون النشاطات الشبابية، التي انطلقت أو تفعّلت بالتوازي مع انتفاضة الأقصى، ذات عمر أطول.

على سبيل المثال، يوضح شاب من مخيم البقعة، كان يدرس في جامعة مؤتة في الكرك، في جنوب الأردن، كيف أسهمت تلك الانتفاضة، في تحفيز المساعي لتنشيط العمل الطلابي التضامني، وكانت النتيجة الاتصال مع حركة «فتح»، والاتفاق مع بعض مسؤوليها في القطاع الشبابي على إطلاق كتلة طلابية باسم «الانطلاقة». أما في جامعة جرش، فكما يقول من كانوا طلبة هناك، إنهم كانوا، ومنذ أشهر، سبقت الانتفاضة، يبحثون عن نافذة لإعادة إطلاق عمل فلسطيني، لدرجة إعداد ملصقات فلسطينية، ولكن دون طباعتها، وجاءت الانتفاضة فرصة لتعطي فكرتهم زخماً، ويقولون على الرغم من قرار الطلبة، ومن واقع امتداد لخبرة شخصية عائلية (انتماء أفراد في العائلة سابقاً إلى فتح، والمشاركة في مخيمات أطفال «أشبال وزهرات» في السابق)، والانتماء لحركة «فتح» كعنوان وفكرة، فإنّ أول نشط حقيقي لهم كان توزيع ملصق «بوستر» بمناسبة استشهاد القائد في حركة «حماس»، عبد العزيز الرنتيسي، كتأكيد على الوطنية الفلسطينية، العابرة للفصائل. وسرعان ما أصبح لهذه الكتل مرشحون في انتخابات جامعية، ونشاط في أندية الانتخابات، يأخذ شكل حملات التضامن مع الانتفاضة الفلسطينية، وتوزيع ملصقات بصور الشهداء الذين تقوم إسرائيل باغتيالهم في الانتفاضة، وجمع التبرعات، وبخاصة

1 رجا ديب، «الحراك الشبابي الفلسطيني في سوريا: ربيع أزهاره لم تتفتح بعد»، **جريدة حق العودة**، العدد 53.

للطلبة الآتين من فلسطين للدراسة في الأردن. واستمرت هذه النشاطات بعد تراجع الانتفاضة؛ فاستمرت النشاطات الثقافية، من معارض، واحتفالات في المناسبات الوطنية الفلسطينية؛ مثل ذكرى انطلاقة الثورة الفلسطينية، وذكرى النكبة، وما إلى ذلك، ومثل إضرابات الأسرى، وسوى ذلك، مع شيوع استضافة قادة من منظمة التحرير الفلسطينية والفصائل في هذه المناسبات، وأحياناً عبر الهاتف.[1]

أدى وجود حياة حزبية أردنية، وحقيقة أنّ غالبية اللاجئين والنازحين الفلسطينيين للأردن، باتوا مواطنين أردنيين، إلى انخراط الشباب في هذه الأحزاب، وبخاصة في حالة مثل الإخوان المسلمين، فضلاً عن الأحزاب التي تشكل امتداداً للفصائل الفلسطينية، سالفة الذكر.[2] ومن هنا كانت حركة «فتح» استثناء، باستمرار وجود مكونات واضحة للهوية الفلسطينية في نشاطاتها. ولكن، بشكل عام، لم يكن الأردن استثناء من حيث التراجع الكبير لقدرة الفصائل على استقطاب الشباب. وحتى الكتلة الطلابية التابعة لحركة «فتح» التي تبنت تسميات عدة، أهمها «كتلة الوحدة الطلابية»، والانطلاقة، والعودة، فقد استمرت في النشاط لسنوت تلك الانتفاضة، ولكن الملاحظ أنّ هذه الكتل نشأت -إلى حد كبير- بمبادرة من شباب ربطوا أنفسهم أو أوجدوا رباطاً مع حركة «فتح» بمبادرتهم. ويؤكد مؤسسو تلك التجربة/الكتلة، أنّ ما حدث هو قرار ذاتي، بإيجاد أو بعث إطار تضامني مع الانتفاضة الفلسطينية، يقوم (في البداية على الأقل)، دون ارتباط تنظيمي حقيقي مع حركة «فتح»، ولكن بالاستناد إلى إرثها التاريخي، وأفكارها، وفي هذا الصدد، بدأ إصدار، وإعادة إصدار، مطبوعات عن تاريخ حركة «فتح» بجهد وتمويل ذاتيين من الطلبة والشباب، ومعارفهم. ولم يجرِ اتصال حقيقي مع الحركة، وقيادتها داخل فلسطين، إلا في وقت لاحق بعد أن أصبح هذا الإطار قوة شبابية حقيقية، وبخاصة في الجامعات والمؤسسات التعليمة، ودون أن يكون هناك ارتباط عضوي؛ بمعنى الخضوع

1 تعتمد المعلومات عن الحالة في الأردن على شهادة شخصية لمهند الأخرس، وهو قيادي في حركة الشبيبة الطلابية، وعضو في المجلس الوطني الفلسطيني، المنعقد في رام الله في نهاية نيسان (أبريل) 2018، وقد تضمنت عملية جمع المواد عن الساحة الأردنية، مقابلات أجرى مهند الأخرس بعضها، بحضور الباحث في عمّان، خلال شهر حزيران (يونيو) 2018، فضلاً عن احتواء المقتنيات الشخصية للأخرس على عدد مهم من منشورات وإصدارات وبيانات الحركة الطلابية في الأردن بين العامين 2000-2018.

2 بقي هناك وجود تنظيمي للفصائل اليسارية، وبخاصة الجبهتين الشعبية والديمقراطية، ولكن دون نشاط جماهيري وعلني لهما، بل ربما كان هذا التواجد ينصب على التواصل مع الأرض المحتلة.

لتراتبيـة تنظيميـة.[1]

في الداخـل الفلسـطيني، سـار الشـباب في اتجاهـين متوازيـين، أولهـما إنشـاء جمعيـات غـير حزبيـة، ومنهـا، عـلى سـبيل المثـال لا الحـصر، جمعيـة «حـق» التـي تأسسـت العـام 1998، وجمعيـة «بلدنـا» التـي تأسسـت العـام 2000، وعملـت كلتاهـما عـلى إنشـاء حـراك شـبابي تابـع لهـما في المـدن والقـرى الفلسـطينية في الداخـل، وذلـك بهـدف تعزيـز الهوية الفلسـطينية، للفلسـطينيين في الأراضي المحتلـة العـام 1948، وكذلـك مناهضـة الخدمـة المدنيـة، وتنظيـم نشـاطات لإحيـاء أحـداث ومناسـبات مثـل ذكـرى النكبـة، ويـوم الأرض، فضـلاً عـن الـدورات التدريبيـة، عـلى مهـارات القيـادة، أو عقـد المؤتمـرات لطلبـة الجامعـات.[2] بالتـوازي مـع ذلـك، زادت عضويـة الشـباب في الأحـزاب الفلسـطينية في الداخـل الفلسـطيني، عـلى وقـع انتفاضـة الأقـصى، بمـا تطلبتـه مـن نشـاطات تضامنيـة، وتسـييس للشـارع.[3]

في الغـرب، وتحديـداً الـدول الأوروبيـة الرئيسـية والولايـات المتحـدة الأميركيـة، فإنّـه جـرى سريعـاً تنظيـم حمـلات تضامـن (لا تخـص الشـباب فقـط، ولكنهـم لعبـوا دوراً بـارزاً فيهـا)، عـلى وقـع الاجتياحـات الإسرائيليـة، ومشـاهد الاغتيـالات الإسرائيليـة، ولم تقلـل مـن حمـلات التضامـن، مـن لجـوء الفلسـطينيين للعمليـات الاستشـهادية.

إذا كانـت حـرب العـراق 1991، أولى الحـروب في عـصر الفضائيـات التلفزيونيـة، فـإنّ الفضائيات العربيـة نقلـت الانتفاضـة الفلسـطينية العـام 2000، والاجتيـاح الإسرائيـلي المرافـق لهـا، بمـا يشـبه البـث المبـاشر، مـا أمّـن تفاعـلاً أكـبر معهـا، والأكـثر مـن ذلـك، أنّ هـذه الانتفاضـة ترافقـت مـع ظهـور واتسـاع اسـتخدام البريـد الإلكـتروني، والصحافـة الإلكترونيـة، ومواقـع الإنترنـت، التـي ظهـرت قبـل ذلـك بأعـوام (لم تكـن وسـائل التواصـل الاجتماعـي مثـل فيسـبوك، وتويـتر، وسـكايب، قـد ظهـرت).

سـاعدت وسـائل التواصـل الإلكـتروني عـلى تعزيـز التواصـل مـع ناشـطين فلسـطينيين وغربيـين مـن حـول العـالم. وجـرى البنـاء عـلى العلاقـات مـع النشـطاء الأجانـب، التـي تراكمـت منـذ

1 المصدر السابق.

2 ربيـع عبـد، «الحـرك الشـبابي في الداخـل الفلسـطيني والأفـق المطـروح»، **عـرب 48**، 15 تشريـن الثـاني (نوفمـبر) 2011: http://bit.ly/2tYRdDy

3 محمد مصطفى، «الحراك الطلابي والنشاط الطلابي الفلسطيني في إسرائيل»، مصدر سبق ذكره، ص 34.

الانتفاضة الأولى، فلعب، على سبيل المثال، مركز «تقارب الشعوب (تقارب)» الذي أنشئ في بيت ساحور، العام 1988، دوراً لتكوين علاقات مع ناشطين فلسطينيين وعالميين، جاؤوا في الانتفاضة الأولى للتضامن مع الفلسطينيين، وبخاصة في منطقة بيت ساحور، التي تميزت بنشاط كبير على مستوى المقاومة المدنية. واستمر المركز في العمل، ولكن محدودية النشاط السياسي، في التسعينيات، كما سلف ذكره، جعلت نشاط المركز محدوداً نسبياً. ولكن مع بداية الانتفاضة الثانية، اكتسب المركز وفكرته زخماً، وتحديداً ضمن فعالية غير مخططة تقريباً، في كانون الأول (ديسمبر) 2000، تعرف باسم فعالية «عش غراب» عندما اجتمع نحو 300 ناشط فلسطيني ودولي، وتوجهوا إلى معسكر إسرائيلي، يعرف باسم «شِجما»، ويعرفه الفلسطينيون باسم «عش غراب» (وهو اسم المكان الذي أقيم فيه المعسكر الإسرائيلي)، ودخل الناشطون المعسكر، ورفعوا عليه العلم الفلسطيني، واستمرت سيطرتهم عليه 3 ساعات، وهو ما أثار ضجة كبيرة، إعلامياً، وكان للحضور الأجنبي دور في تقليص بطش الجنود الإسرائيليين.[1]

ساهم نجاح فعالية «عش غراب» في محاولة توسعة وتكرار مثل هذه الفعالية، فوجهت دعوات عبر الإنترنت، وكانت مفاجأة أن من أرسلت الدعوات لهم بدأوا بالمجيء، للقيام بدعم الفلسطينيين عبر التصدي للحواجز الإسرائيلية، ومصاحبة الطلاب إلى مدارسهم، والمزارعين إلى مزارعهم، وطرق شبيهة أخرى.[2] ولعل طريقة هذه الدعوة، هي مقدمة نمط تنظيم جديد، فلم يعد مطلوباً تجنيد الناشطين باتصال شخصي مباشر تقليدي، أو تنظيمه أو احتضانه ضمن جماعة منظمة، كانت دعوات الإنترنت بدء عصر الشبكات الفلسطينية المعولمة، وقد كان المدعوون هم، بالدرجة الأولى، ناشطون في حقوق الإنسان ومناهضة العولمة في الغرب، وكذلك برلمانيون أوروبيون.[3]

بدأت الفعاليات تجري تحت مسمى حملات التضامن الدولية (International Solidarity Campaigns)، حتى اجتمع عدد من الناشطين في هذه الحملات، في كافتيريا جامعة بيرزيت، أواسط العام 2001، وقرروا تحويل الحملات إلى «حركة»، وذلك لأنّ الأمر أصبح بحاجة إلى تنظيم أكثر؛ سواء على صعيد تأطير الأعضاء، وإرشادهم إلى النشاطات وطرق

1 يارا عبد الله، حركة التضامن الدولية مع الشعب الفلسطيني، رسالة ماجستير، جامعة بيرزيت، 2018.

2 المرجع السابق.

3 المرجع السابق.

وقواعـد النشـاط المطلوبـة، وحتـى إيجـاد منصـة إعلاميـة. وكان المجتمعـون هـم، غسـان أنضـوني، مـن بيـت سـاحور، وتحديـداً مـن مركـز «تقـارب»، وأسـتاذ الفيزيـاء أيضـاً في جامعـة بيرزيـت، وهويـدا عـراف الناشـطة الفلسـطينية التـي ولـدت وتربـت في الولايـات المتحـدة، وأرادت دائمـاً العـودة إلى فلسـطين، وعـادت قبـل انتفاضـة الأقـصى بأشـهر، وكان معهـما أيضـاً آدم شـابيرو، المحامـي اليهـودي الأمـيركي الرافـض للاحتـلال ودولتـه، وسـيتزوج هويـدا وآدم لاحقـاً، وكان معهـم أيضـاً نيتـا جـولاني، الناشـطة اليهوديـة التـي ولـدت في تـل أبيـب، وتحمـل الجنسـية الكنديـة، المتزوجـة مـن فلسـطيني والمقيمـة في نابلـس، وكذلـك كان معهـم جـورج رشـماوي، مـن مركـز تقـارب أيضـاً. ولم يكـن شـابيرو موافقـاً تمامـاً عـلى العمـل الجماعـي المشـترك، وكان يخـشى مـن سـيطرة مجموعـة عـلى العمـل، كـما يقـول أنضـوني،[1] وهـذه قضيـة سـتكون محـور نقـاش مسـتفيض في المسـتقبل؛ أي مسـألة العمـل الفـردي أم الجماعـي، إذ سـيبرز كـما سـيلي الحديـث لاحقـاً، مـن يدافـع عـن فكـرة العمـل (المقاومـة) الفرديـة، بـدل العمـل المنظـم، وهـو مـا سـيكون إحـدى نقـاط الجـدل في التنظيـم الشـبكي.

اتفـق أنضـوني، وعـراف، وجـولاني، ورشـماوي عـلى تأسـيس الحركـة، وبـدأت العمـل، وأنشـأت مكاتب/بيـوت في مناطـق مختلفـة، وأصبحـت الحركـة تسـتقبل عـشرات الطلبـات والمتطوعـين كل شـهر، وجـرى وضـع نظـام للتدريـب، وتوعيـة القادمـين بالميـدان وبعـادات المجتمـع الفلسـطيني وتقاليـده، ووضـع نظـام تمويـل يعتمـد عـلى عـدم تلقـي مسـاعدات، بـل بتكفـل الأعضـاء بتكاليـف حياتهـم ومسـاهمات لسـد نفقـات مثـل إيجـار المكاتـب[2].

كانـت الدعـوات توجـه إلى مجموعـات وشـبكات تنشـط في فعاليـات أخـرى حـول العـالم، ولكنهـا ليسـت تنظيـمات بالمعنـى التقليـدي، مـن مثـل إرسـال جـولاني دعـوات إلى الحـركات المناهضـة للعولمـة، التـي تظاهـرت العـام 1999 في سـياتل ضـد العولمـة.[3] وهنـا متغـير آخـر بحاجـة إلى توقـف، فقـد اسـتخدمت أدوات العولمـة مـن قبـل مناهـضي مناهضـة العولمـة (الرأسـمالية النيوليبراليـة والثقافـة الاسـتهلاكية النفعيـة، بحسـب وجهـة نظـر هـذه الجماعات)، وفي التشـبيك بـين أفـراد يؤمنـون بالتحـرر ضـد المؤسسـات القائمـة.

1 المرجع السابق.

2 المرجع السابق.

3 المرجع السابق.

ومـن روافـد الحركـة الأخـرى، عـلى سـبيل المثـال، مـن جمعتهـم لويـزا مورغانتينـي، النائـب السـابق لرئيـس البرلمـان الأوروبي، ومؤسـس جمعيـة السـلام الإيطاليـة، وجمعيـة سـيدات في الأسـود، التـي حشـدت العـشرات للقـدوم إلى فلسـطين،[1] وهنـا يجـدر التنويـه بـأنّ الشـباب لم يكونـوا هـم في صلـب دعـوات كالتـي وجهتهـا مورغانتينـي، ولكنهـا تكاملـت مـع العمـل الشـبابي المعـولم حينهـا.

تثـير ملابسـات التأسـيس هـذه، سـؤالاً: هـل هـذه حركـة فلسـطينية أم دوليـة؟ وفي الواقـع قبـل اسـتعراض إجابـة الحركـة عـن هـذا السـؤال يجـدر التنويـه بـأنّ انحسـار فصائـل العمـل الفلسـطيني، والمنظـمات الشـعبية الوطنيـة الفلسـطينية، مثـل الاتحـاد العـام لطلبـة فلسـطين، أشـاع، كـما سـلف سـابقاً، فكـرة انخـراط الفلسـطينيين، في الشـتات، مـع أطـر وجمعيـات وأحـزاب ترفـع شـعارات تحرريـة، وتدعـو إلى المسـاواة، وتناهـض العنصريـة، والاحتـلال، والحـرب، ويبـدو أنّ مـا حـدث في حالـة حركـة التضامـن، هـو شـبيه، ولكـن معاكـس، أي انخـراط الناشـطين الأجانـب بالنشـاط الفلسـطيني، ولكـن هـذا سـيثير لاحقـاً، سـؤالاً عـن جنسـية ومسـار وأهـداف المشـاركين في هـذا العمـل، وفي مثـل هـذه الحـركات.

تعـرف حركـة التضامـن (ISM) نفسـها عـلى موقعهـا عـلى الإنترنـت بأنهـا «حركـة نشـأت سـنة 2001 ويقودهـا فلسـطينيون». وأنهـا تقـاوم «الاضطهـاد والتشريـد»، وذلـك «باسـتخدام مبـادئ وأسـاليب عمـل مبـاشرة وغـير عنيفـة».[2] وقـد أخـذ عمـل الحركـة شـكل التواجـد مـع الفلسـطينيين في جميـع المفاصـل الممكنـة التـي قـد يتعرضـون بهـا لقمـع إسرائيـلي، أثنـاء الذهـاب إلى المـدارس، والعمـل، والمـزارع، والطـرق التـي يمـر منهـا مسـتوطنون، وكثـير مـن الأماكـن الأخـرى، فضـلاً عـن نـشر المعلومـات حـول مـا يجـري في فلسـطين.

كانـت هـذه الحركـة واسـعة مـن حيـث اسـتهدافها تأسـيس شـبكة «أعضـاء» في كل العـالم، ولكـن هدفهـا وأدواتهـا محـدودة، ومحـددة، وتتضمـن تحويـل الناشـطين الدوليـين والأجانـب إلى دروع بشريـة، ترابـط في مناطـق بـدءاً مـن سـاحة «المقاطعـة» مقـر القيـادة الفلسـطينية في رام اللـه، التـي حـوصرت ووجهـت بالدبابـات والطائـرات الإسرائيليـة، وكذلـك العمـل عـلى

1 المرجع السابق.

2 المرجع السابق.

فتح الحواجز والطرق المغلقة، أو مرافقة الفلسطينيين أثناء الوقوف على هذه الحواجز، ومخاطبة الإعلام العالمي ونشر المعلومات. كان المتخيل، أن تنجح الحملة في استقطاب ما يشبه «جيشاً مدنياً» بحسب تعابير هويدا عراف، التي تواصلت مع أصدقاء في الولايات المتحدة، متوقعة أن يأتي الآلاف، دفعة واحدة، ثم خفضت توقعاتها إلى المئات، ولكن في النهاية جاء العشرات، (نحو خمسين)، من بلدان أوروبية مختلفة، ولكن هؤلاء أصبحوا يعودون إلى بلدانهم (ويأتي غيرهم) فينقلون الرسالة إلى الخارج، ويهتم إعلام بلدانهم بنشاطهم، وبخاصة إذا تعرضوا لاعتداءات وأذى.[1] وعلى الرغم من أنّ نشطاء الحركة وشهداءها، كما سيلي لاحقاً، كانوا من الشباب، فإنّها لم تكن موجهة للشباب تحديداً.

بقيت الحركة تدار بعقلية الحملة، دون أن تصل إلى درجة التنظيم، فمثلاً لا يوجد قائد أو متحدث رسمي أو لجنة مركزية أو تنفيذية، بل يجتمع الناشطون ويتناقشون ويقررون خطواتهم، وهذا الأمر هو نمط العمل الشبابي (والحراكات بشكل عام) في مرحلة عصر الشبكات، ويبدو أنّ الخوف من فكرة القيادة وتأليهها، والخوف من التسلط، وما إلى ذلك، إضافة إلى تجنب الخلاف حول من هو القائد، تآزرت مع سهولة عملية التواصل، لتعطي فكرة أنّه لا داعي للقيادة بشكلها المركزي التقليدي، ويمكن الركون إلى قيادة مركزية. لكن هناك تفاصيل من المهم التوقف عندها، تعكس هذه الطريقة من العمل، وهي عقلية «الحملة»؛ أي توقع أنّ تتفاعل على الأرض لمدة وجيزة، ودون تعقيد مؤسسي وفكري كبيرين، مع توقع إحداث أثر متسلسل يؤدي إلى هدف، وهو ربما ما صار يعرف بالـ«حراك».

مع نهاية الانتفاضة، بدأ تراجع هذه الحركة، وكما سيلي توضيحه، ربما كان السبب الأساسي (أو هكذا يعتقد بعض المحيطين والمطلعين والمشاركين في التجربة)، هو محاولة المأسسة، أي بكلمات أخرى، عندما أرادت «الحملة» أن تتحول إلى «حركة» فعلاً، حدث التراجع.

كان متوقعاً أنّ حملة التضامن ستجد في الأطر العاملة في الولايات المتحدة والغرب عموماً ظهيراً داعماً. ولكن عاملين أساسيين أديا إلى تقليل النشاط الذي لعبته هذه الأطر،

1 المرجع السابق.

فمع مطلع القرن، وتراجع الفصائل ودعمها، وتراجع عدد أعضائها، وتراجع دعم أنظمة مثل العراق، لعبت دوراً في الماضي في تمويل النشاط العربي في الولايات المتحدة، اتجهت الأطر الثقافية العربية والفلسطينية إلى «الأنجزة»، أي أن تصبح منظمات غير حكومية (NGOs)، ما يتيح لها التقدم بطلب دعم حكومي، والحصول على تبرعات قانونية، وهذا أدى، بالتالي، في البداية، إلى وضع قيود عليها، وأن تعلن عن نفسها أنها لا تشتغل بالسياسة. والعامل الثاني، جاءت ضربات 11 أيلول (سبتمبر) 2001 الإرهابية، لتجعل أي تحرك سياسي داعم للقضايا العربية، مثل فلسطين والعراق، أكثر صعوبةً ومحاطاً بالشك. ولكن، بالتأكيد، فإنّ مثل هذه الأطر، وفر فرصة للقاء الشباب الفلسطيني، أو المهتم بفلسطين، وللربط بينهم، والربط بفلسطين، وإن بطريقة غير نظامية ورسمية،[1] وهو ما سيتطور لاحقاً إلى حراكات طلابية وشبابية طموحة في الولايات المتحدة.

كان هناك فراغ تنظيمي واضح في العمل الفلسطيني، في الولايات المتحدة، من حيث تراجع دور الفصائل وغياب الاتحاد العام لطلبة فلسطين تقريباً، وكانت هناك محاولات لتعويض الفراغ، ولكن دون نجاح في بناء حركة واسعة مستمرة ومتماسكة، فمثلاً عمل فلسطينيون، كان لليسار حضور بارز بينهم، على إطلاق «ائتلاف الحق الفلسطيني للعودة» (العودة) (Al-Awda: The Palestine Right to Return Coalition)، وقد أصبح للائتلاف دور مهم في السنوات الأولى من انتفاضة الأقصى، وبات منبراً ومساحةً للشباب، ولتوليد الوعي السياسي، وللتضامن مع القضية الفلسطينية. ويفسح الائتلاف مكاناً خاصاً للشباب في تقديمه لنفسه على موقعه على الإنترنت بأنّه ائتلاف «عريض القاعدة، ليس حزبياً، ديمقراطيا، ومنظمة خيرية تجمع الناشطين الشعبيين، والطلاب، ملتزم بنشر الوعي حول حق اللاجئين الفلسطينيين بالعودة إلى وطنهم والأراضي التي تحدروا منها، والاستعادة التامة لممتلكاتهم المصادرة والمدمرة، ...». وسيتم، لاحقاً، نقاش نشاط «الائتلاف» في الفصل الثالث، لاستمراره في العمل بعد العام 2011، ولكن من المعلومات المتوافرة يتضح أنّ التباين الفكري والسياسي، وربما أسباب أخرى كالشخصانية، أحدثت عدداً من الانشقاقات عن الائتلاف في مناطق عدة، لكن غالبية هذه الأطر التي انشقت أو استقلت، تراجعت وانتهت تقريباً مع نهاية انتفاضة الأقصى، فيما استمر الائتلاف،

1 تعتمد المعلومات في الساحة الأميركية، بالدرجة الأولى، على الباحثة لبنى قطامي، ومتابعاتها الشخصية في تلك الساحة.

محققاً حضوراً واضحاً، ولكن دون أن يعني هذا، التحول إلى حركة جامعة، على الرغم من طموح هذه الحركة البادي لذلك، فهي تسعى إلى إنشاء فروع لها، لا في الولايات المتحدة وحسب، بل أيضاً في البلدان التي يتواجد فيها لاجئون حول العالم، وتطرح أفكاراً تصلح لتكون برنامجاً سياسياً، من مثل أن من حق أي فلسطيني أن يعيش في أي مكان يريده في فلسطين.

توازت مع هذا الائتلاف محاولات أخرى لتقديم إطار للعمل الفلسطيني، واجتذاب الشباب. وعلى الصعيد الإسلامي، برزت منظمات حاولت لعب دور، ومنها الجمعية الإسلامية من أجل فلسطين (The Islamic Association for Palestine- IAP)، ومنظمة «أميركيون مسلمون من أجل القدس» (American Muslims for Jerusalem – AMJ). ولم يطل عمر هاتين المنظمتين، وقد أوقفت الأولى بعد اتهامها بالنشاط لصالح حركة «حماس»، مع العلم أن المنظمة نشأت سنة 1981، ولكنها تفعلت بعد العام 1993، وكان أحد القائمين عليها رئيس المكتب السياسي السابق لحركة «حماس» (التي تأسست العام 1987) موسى أبو مرزوق، وقد استقطبت المنظمتان مجموعات من الشبان للعمل فيهما، وبخاصة مع حالة الفراغ السياسي الفصائلي، وغياب الاتحاد العام لطلبة فلسطين أو عدم فعاليته.

كانت هناك تجربة أخرى حاولت ملء الفراغ، بدأت العام 1999، بتشكيل طلاب من جامعة كاليفورنيا- بيركلي، منظمة «طلاب من أجل العدالة في فلسطين» (Students for Justice in Palestine- SJP). وتقوم فكرة هذه المنظمة، على دمج نضال فلسطينيين وغير فلسطينيين، في إطار النضال العالمي للعدالة. وأخذت التجربة دفعة قوية من انتفاضة الأقصى، وطورت علاقة مميزة مع حملة التضامن الدولية (ISM)، وأصبحت المنظمة فاعلة في ولاية كاليفورنيا، ولكن النمو الحقيقي للمنظمة، سيكون بعد العام 2005، وبخاصة مع تراجع الاتحاد العام، وأطر أخرى (وربما تلقى الطلبة دفعة من تأسيس حركة المقاطعة لإسرائيل).

ما حدث في الولايات المتحدة يتشابه، من زاوية ما، مع ما حدث في لبنان، فالمجتمع الفلسطيني في الولايات لمتحدة صار مهتماً بالحفاظ على حقوقه ومكتسباته في إطار

السياسية الأميركية، وباعتباره قد اندمج في الحياة الأميركية، مع الحفاظ على خصوصية ما. وفي لبنان، ولأسباب مختلفة تماماً، تتعلق بسوء أوضاع المخيمات، والحرمان من الكثير من الحقوق المدنية والإنسانية، صار هناك اهتمام بتطوير أطر منظمات اجتماعية غير حكومية تقلل من المعاناة.

اختلف الوضع في بريطانيا، إلى حد كبير، عن الولايات المتحدة، فعلى الرغم من أنّ بريطانيا، ككل، شهدت فعاليات تضامنية متميزة مع انتفاضة الأقصى، والكثير من المظاهرات المناهضة للسياسات الإسرائيلية، فإنّ هناك القليل جداً من الفعاليات التي نظمت تنظيماً ذاتياً من قبل الفلسطينيين وأطرهم، واختار الفلسطينيون، إلى حد كبير، العمل ضمن أطر بريطانية، بدءاً من «حملة التضامن مع فلسطين (Palestine Solidarity Campaign)، والأحزاب العمالية والاشتراكية البريطانية، وبعض الكنائس، وبخاصة خارج إنجلترا، وجمعيات صداقة فلسطينية – بريطانية مثل «المنتدى الفلسطيني الاسكتلندي» في اسكتلندا. ولم يكن الاتحاد العام لطلبة فلسطين غائباً تماماً، فقد كان ما زال يحتفظ بعدد من الفروع، على الرغم من محدودية عدد الطلاب فيها، وكانت العضوية تأتي، بالدرجة الأولى، من الآتين من الضفة الغربية وقطاع غزة، وقد اشتركت فروع الاتحاد في تنظيم بعض النشاطات والمحاضرات، وبخاصة في بداية الانتفاضة، وكذلك كان هناك حضور للأطر الإسلامية الفلسطينية في بريطانيا، مثل «مركز العودة الفلسطيني»، الذي تأسس في لندن العام 1996، ولكن، بشكل عام، بقي الجهد الحقيقي يتركز في الأطر التضامنية البريطانية، التي اجتذبت الفلسطينيين أيضاً.[1]

6-2 ما بعد الصدمة (2005-2011)

مع تراجع الانتفاضة ونهايتها رسمياً العام 2005، بدأت مرحلة جديدة، ويمكن القول إنّ سنوات الانتفاضة الثانية (2000- 2005)، كانت سنوات صدمات، فبدايةً، عسكرة الانتفاضة، واتساع ظاهرة العمليات الاستشهادية، واجتياح المدن الفلسطينية، وحصار

1 لمزيد من المعلومات عن هذه الأطر، انظر:
Ehud Rosen, Mapping the Organizational Sources of the Global Delegitimization Campaign against Israel in the UK, (Jerusalem: Jerusalem Centre for Public Affairs, 2010). pp240 39.
Islamic Human Rights Commission, Al Quds 2018, 7 June 2018: https://bit.ly/2yI6trv

ياسر عرفات ورحيله، تآزرت مع صدمة اعتداء 11 أيلول (سبتمبر) وما تلاها، وحرب العراق وما تلاها، فضلا عن تعمق العولمة، وبِدء ظاهرة وسائل التواصل الاجتماعي (فيسبوك، وتويتر، وسواهما)، كل هذا دفع الشباب الفلسطيني بالسؤال إلى أين الآن؟

في الداخل، في الأراضي المحتلة العام 1967، كانت هناك، أولاً، تداعيات للانتفاضة، وظاهرة التسلح لدى الشباب الفلسطيني، ودخول الفصيلين الأساسيين، «فتح» و«حماس» حالة تنافس، تلت حالة الالتقاء الميداني العسكري، مع ما في هذا اللقاء من اتفاق وتنافس، في الانتفاضة، فبينما حافظت بعض الجامعات على تعددية وتعايش بين القوى الطلابية، فإنّ الحركة الطلابية ممثلة بمجالسها لم تعد ممثلة لكل الطلبة، وعلى سبيل المثال، فإنّ الكتلة الطلابية التابعة لحركة فتح المسيطرة في جامعتي الأزهر والأقصى في قطاع غزة، باتت هي القائدة والمقررة والحاكمة لكل أنشطة الجامعة الطلابية، وتمنع أي أنشطة أخرى لأحزاب أخرى. وقامت الكتلة الطلابية التابعة لحركة المقاومة الإسلامية «حماس» بالشيء ذاته في الجامعة الإسلامية، وكان من النتائج أن شهدت الجامعات (الأزهر والإسلامية) مواجهات بين شبابها، وصلت حد استخدام الأسلحة النارية، العام 2006،[1] وهو ما حدث، تقريباً، في النجاح في نابلس، وغيرها من الجامعات، في السنوات ذاتها، ما يعكس تحول التوتر إلى الداخل الفلسطيني، بدل المواجهة مع الاحتلال.

هذا الوضع قاد بدوره إلى مبادرات تهدف إلى الحد من ظواهر الصدام الداخلي، وهو أمر على إيجابيته، يعكس حالة الانقسام الداخلي والاضطرار إلى توجيه طاقات لتحقيق التماسك الداخلي. وعلى سبيل المثال، مع ظاهرة فوضى السلاح والميليشيات المسلحة وازدياد استخدام السلاح لأغراض مصلحية وشخصية، تكونت بعض الحراكات الشبابية؛ مثل حملة «لا لفوضى السلاح» التي قام بها مجموعة من الشباب، وبرعاية من «مؤسسة شارك» الشبابية، غير الحكومية، التي جابت كل قطاع غزة في حملات توعوية من خلال ورش العمل وزيارات ميدانية، تم من خلالها وضع الملصقات في الأسواق والمنازل وعلى زجاج السيارات، ضد فوضى السلاح.[2]

1 رئيس مجلس اتحاد طلبة جامعة الأزهر «محمد حلس» يكشف الحجاب عن خفايا أحداث الأزهر والإسلامية، **المجموعة الفلسطينية للإعلام**، نيسان (أبريل) 2006: https://bit.ly/2Jrshfl

2 المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان: https://bit.ly/2HiLIci 2005

وفي غـزة، أيضـاً، ظهـرت حـراكات شـبابية تريـد إنهـاء الانقسـام مـن هـذه الحـراكات، كانـت «الحملـة الشـبابية لدعـم الوفـاق الوطنـي»، التـي رفعـت شـعار «فلسـطين أكـبر منـا جميعـاً»، وبـدأت فعاليـات بانطـلاق ماراثـون ريـاضي مـن أمـام المجلـس التشريعـي بقطـاع غـزة، وانتهت بمؤتمـر صحـافي تـم إلقـاء بيـان فيـه لدعـم الوفـاق الوطنـي، إضافـة إلى العديـد مـن الوقفـات السـلمية للمنـاداة بالوحـدة.[1]

ونشـطت في ذلـك الوقـت (كانـون الأول العـام 2006)، مجموعـة شـبابية أخـرى تحـت اسـم «حمايـة»، قادتهـا ناشـطات نسـويات (مـا بـين سـن 20-35 عامـاً) مـن مؤسسـات نسـوية، إضافـة إلى العديـد مـن الشـباب والشـابات، الذيـن تحركـوا دون أن يكونـوا أعضـاء في تنظيـمات سياسـية، أو، عـلى الأقـل، دون أن يقدمـوا أنفسـهم كأعضـاء في التنظيـمات السياسـية. وتركـزت أنشـطة «حمايـة» في مدينـة غـزة، وتسـعى إلى مواجهـة تدهـور الانقسـام السـياسي إلى عنـف في الميـدان، إذ جـاءت انطلاقتهـا إثـر اغتيـال أطفـال الضابـط في أجهـزة الأمـن الفلسـطينية بهـاء بعلوشـة الثلاثـة، مـا يعتقـد أنـه جـاء في سـياق الـصراع بـين حركتـي «فتـح» و«حـماس».[2]

أيضـاً، خرجـت مسـيرة قبـل الانقسـام المسـلح الـذي حـدث في حزيـران 2007 بيـوم واحـد، حشـد لهـا الشـباب، وقادهـا مجموعـة نشـطاء شـباب، بـدأت مـن حـي الشـجاعية في غـزة، وضمـت عائـلات ومخاتـير ووجهـاء، ونـادوا بالرجـوع عـن الاقتتـال الداخـلي، وناشـدوا شـباب الأحـزاب بعـدم الانجـرار إلى إراقـة الدمـاء أكـثر.

انقسـم الشـباب الفلسـطيني، بـين مشـاركين في الـصراع، وبـين مـن حـاول وقـف الـصراع، وبالتـالي دفـع ثمنـاً باهظـاً لذلـك، فقـد خرجـت، عـلى سـبيل المثـال، حينهـا مسـيرة شـعبية سـلمية شـارك فيهـا مجموعـات مـن الشـباب ضـد ظاهـرة الفلتـان الأمنـي، وراح ضحيتهـا ثلاثـة ناشـطين شـباب، هـم: تغريـد العيلـة ناشـطة في مركـز النشـاط النسـائي بالـدرج، شـادي العجلـة المتطـوع في منتـدى شـارك الشـبابي بمدينـة غـزة، محمـد عـدس طفـل بعمـر السادسـة عـشرة

1 الحملة الشبابية لدعم الوفاق الوطني تنظم ماراثون «الوحدة والصمود»، وكالة وفا، تموز (يوليو) 2006: https://bit.ly/2JwcHz6

2 إبراهيـم الشـطلي، «الحـراك الشـبابي الفلسـطيني: الواقـع وآفـاق المسـتقبل»، في: جميـل هـلال، (محـرر)، **رؤيـة اسـتشرافية: الحـراكات الشـبابية الفلسـطينية**، المركـز الفلسـطيني لأبحـاث السياسـات والدراسـات الإسـتراتيجية - مسـارات، البـيرة، 2013. ومـما يذكـر أنـه جـرى إطـلاق نـار عـلى الأطفـال في سـيارة كانـت تقلهـم إلى المـدارس صبيحـة يـوم 11 كانـون الأول (ديسـمبر) 2006، وقـد عـم إضراب تجـاري قطـاع غـزة رفضـاً للحـادث، الـذي اعتـبر جـزءاً مـن تداعيـات الانقسـام بـين حركتـي «فتـح» و«حـماس».

مـن حـي الشـجاعية شرق مدينـة غـزة.[1] وبطبيعـة الحـال، فـإن فئـة ثالثـة رفضـت الدخـول في الـصراع، كـما لم تبـذل جهـداً لوقفـه.

بـدأت ظاهـرة اقتحـام الأجهـزة الأمنيـة للجامعـات في قطـاع غـزة، مـع سـيطرة حركـة «حماس» هنـاك، كحادثـة اقتحـام جامعـة الأزهـر، مـن قبـل الأجهـزة الأمنيـة التابعـة للحركـة، يـوم 7 تمـوز (يوليـو) 2007، ومصـادرة مـواد مـن المختـبرات، عـلى الرغـم مـن تأكيـد إدارة الجامعـة أنّ هـذه مـواد تعليميـة.[2]

تـم توظيـف الشـباب المنتمـين لحركـة حـماس لإدارة الحكـم في القطـاع في المؤسسـات الحكومية كافـة، إضافـة إلى المؤسسـات الأمنيـة، مـا خلـق حالـة شـبيهة بمـا قامـت بـه حركـة «فتـح» مـن اسـتيعاب شـبابها في المؤسسـات الحكوميـة والأمنيـة عقـب تأسـيس السـلطة الفلسـطينية العـام 1994، وهكـذا صـار جـزء كبـير ومهـم مـن شـباب الحركتـين، الفلسـطينيتين الأكـبر، موظفـين ضمـن مؤسسـات سـلطوية.

بـدأت تتشـكل مجموعـات شـبابية تسـتهدف التصـدي لثقافـة الانقسـام، منهـا، عـلى سـبيل المثـال، حركـة «اصحـى»، التـي بـدأت بالتشـكل أواخـر العـام 2009، وكان جـزءٌ كبـيرٌ مـن نشـاطاتها مضـاداً لسياسـات حركـة «حـماس» التـي تقيـد الحريـات الشـخصية في قطـاع غـزة، ففـي بيـان تأسـيسي لهـا جـاء «آثرنـا كمجموعـة شـبابية فلسـطينية، أثقلـت بتفاصيـل الواقـع، ألا نقـف مكتـوفي الأيـدي، وذلـك بـأن نسـجل رأينـا الحـر تجـاه مـا طـرأ مـن تطـورات مهمـة ومفصليـة، في غـزة، تشـكل سـابقة في المجتمـع الفلسـطيني». وعـددت الحركـة ممارسـات لحركـة «حـماس» مثـل موضـوع محاولـة التدخـل في الـزي والملابـس التـي يرتديهـا المواطنـون، وبخاصـة المواطنـات.[3] وهنـاك عـدة ملاحظـات مهمـة بشـأن مثـل هـذه الحـركات، التـي سـتتكرر في السـنوات اللاحقـة، وفي تجمعـات فلسـطينية مختلفـة، أولاهـا أنهـا سريعـة الظهـور والاختفـاء، فمثـلاً لا يبـدو أن لهـذه الحركـة نشـاط بعـد العـام 2010، وثانيتهـا أنّهـا تبنـت

1 المصدر السابق.

2 تقريـر بعنـوان «انتهـاكات حقـوق الإنسـان الفلسـطيني عـلى يـد ميليشـيا «حـماس»»، صـادر عـن المبـادرة الفلسـطينية لتعميـق الحـوار العالمـي والديمقراطيـة (مفتـاح)، 21 تمـوز (يوليـو) 2007.

3 عريضـة للدفـاع عـن الحريـات الشـخصية والاجتماعيـة في قطـاع غـزة، حركـة «اصحـى» مـن أجـل التنويـر والتغيـير، **موقـع الحـوار المتمـدن**، 2 أيلـول (سـبتمبر) 2009، وانظـر: سـما الإخباريـة – «تجمـع اصحـى الشـبابي ينـدد بممارسـات لبعـض أفـراد أمـن حكومـة غـزة»- حزيـران (يونيـو) 2010: https://bit.ly/2F5rW3x

أسـماء قصـيرة تعكـس هدفـاً محـدوداً، لا يتعلـق بخطـة وطنيـة عامـة، بـل بهـدف معـين. وسـاهم في شـيوع هـذه الظاهـرة في قطـاع غـزة انسـحاب القـوات الإسرائيليـة مـن القطـاع، منـذ العـام 2005.

لكن في هذه المرحلة، ظهر في الضفة الغربية ثلاثة أطر أساسية مهمة، هي:

أولاً. حركة مقاطعة إسرائيل وسحب الاستثمارات منها وفرض العقوبات عليها (The Boycott, Divestment, Sanctions Movement - BDS).

ثانياً. لجان مناهضة الجدار الاستيطان.

ثالثاً. السعي إلى مأسسة حركة التضامن الدولية (ISM).

لقـد جـاء إطـلاق (BDS)، في 9 تمـوز (يوليـو) 2005، عـبر بيـان أصـدره 170 منظمـة وهيئـة واتحـاداً ولجنـة وحملـة فلسـطينية، في داخـل فلسـطين بشـقيها المحتـل العـام 1948، والمحتـل العـام 1967، والشـتات، تدعـو إلى «مقاطعـة وسـحب الاسـتثمارات وفـرض العقوبـات»، عـلى إسرائيـل، وإلى تحقيـق «الحريـة، والعدالـة، والمسـاواة»، وداعيـة إلى المقاومـة اللاعنفيـة لتحقيق ثلاثـة أهـداف، هـي إنهـاء احتـلال أراضي العـام 1967، والمسـاواة للفلسـطينيين في الأراضي المحتلـة العـام 1948، وحـق اللاجئـين الفلسـطينيين بالعـودة وفقـاً للقـرار 194.[1]

وتقـول الحركـة، عـلى موقعهـا، إنّهـا بعـد 11 عامـاً عـلى تأسيسـها، باتـت تضـم «اتحـادات، وجمعيـات أكاديميـة، وكنائـس، وحـركات شـعبية، حـول العـالم». وعـلى الرغـم مـن أنّ هـذه الحركـة مـن أهـم أشـكال العمـل الفلسـطيني في سـنوات مـا بعـد انتفاضـة الأقـصى، وهـي تتبنـى أهدافـاً وطنيـة واضحـة إلى حـد كبـير، يمكـن أن تشـكل قـوام مـشروع وطنـي لحركـة التحـرر الفلسـطيني، فإنّهـا لا تدخـل في صلـب اهتـمام هـذا البحـث، لأنـه لا يمكـن اعتبارهـا حركـة شـبابية، بغـض النظـر عـن دور الشـباب الفاعـل فيهـا. ولكـن مـن المهـم، هنـا، ملاحظـة أمـور عـدة، تشـكل بعـض سـمات العمـل الفلسـطيني الجديـد. أولهـا، التركيـز عـلى شيء محـدد سـلفاً، فهـذه الحركـة، مثـلاً، تركـز عـلى أدواتهـا، وهـي المقاطعـة بأشـكالها، الاقتصاديـة، والثقافيـة، والأكاديميـة، . والأمـر الثـاني، أنّ هـذه الحركـة، عـلى الرغـم مـن أن

1 لهذه المعلومات عن الحركة، يمكن مراجعة موقعها على الإنترنت: www.bdsmovement.net

قيادتها فلسطينية، فإنّها تضم في صفوفها قوى عالمية مختلفة، ما يعكس حالة التداخل بين حركة التحرر الفلسطينية، وحركة التضامن الدولية، إلى الحد الذي يصعب التمييز بين المكونين. وهو أمر موجود في الإطارين الآخرين السابق الإشارة إليهما كأهم تجليات العمل الفلسطيني بعد انتفاضة الأقصى. وهي تعرف نفسها على أنها «حركة عالمية»، ولا يدخل في اسمها اسم فلسطين، ولكنها في تعريفها لنفسها تقول إنّها «حركة قيادتها فلسطينية للحرية، والعدالة، والمساواة».

أما مناهضة الجدار والاستيطان، فقد تشكلت حملات شعبية عدة، ولجان لهذا الغرض، أبرزها «اللجنة التنسيقية العليا لمقاومة الجدار والاستيطان»، وهي لجنة تضم لجان قرى عدة، وهي عموماً أقرب إلى حركة «فتح»، على سبيل المثال، تعتبر الوجوه البارزة في اللجنة، مثل رئيسها منذر عميرة، ومنسقها عبد الله أبو رحمة، عضوين في الحركة، وشاركا في مؤتمرها العام في العام 2016. وهي تنسق، بشكل وثيق، مع «هيئة مقاومة الجدار والاستيطان»، التابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية، ولكنها لا تشكل جزءاً فعلياً من حركة «فتح». بجانب هذه اللجنة يبرز إطار آخر هو «الحملة الشعبية لمقاومة الجدار والاستيطان»، وهذه الحملة تضم ناشطين أقرب إلى الفصائل اليسارية، ويلاحظ على كل من اللجنة والحملة، اهتمامهما الكبير بالحضور الأجنبي، وتتفوق نسبة المواد المنشورة بالإنجليزية في موقع الحملة الشعبية على اللغة العربية، ويشارك، عادة، وبانتظام، نشطاء أجانب في نشاطات الإطارين. وتضم هذه الهيئات عدداً من اللجان والمواقع في مناطق مختلفة من الريف الفلسطيني، ولكنها تسعى، أيضاً، بشكل حثيث، إلى مخاطبة الرأي العام العالمي. ولن يتم التوسع في نشاطهما، لأنهما، أيضاً، لا يشكلان أطراً شبابية صرفة، على الرغم من اعتمادهما على العناصر الشابة.

يشكل تجمع «شباب ضد الاستيطان» في مدينة الخليل، ربما حالة فريدة، من حيث إشارته، بشكل خاص، إلى الشباب كقوام لنضاله، وقد تأسس التجمع، العام 2007، والملاحظ، أيضاً، أنّ العنصر الأجنبي يشكل مكوناً أساسياً للغاية في تصور التجمع لنشاطه، فمثلاً، لا يوجد موقع باللغة العربية للتجمع، ولكن لديه موقع بالإنجليزية، ويعتمد التجمع في عمله، على ما يسمى الفعل المباشر (direct action)، أي التواجد في الميدان مباشرة، فمثلاً قام التجمع بالدخول لبيت استولى عليه المستوطنون، في منطقة تل الرميدة، في الخليل،

وهـي منطقـة أثريـة فيهـا بـؤر اسـتيطانية عـدة، بعـد أن اتفقـوا مـع مالكـه الفلسـطيني، ووقعـوا عقـود إيجـار، واحتاطـوا قانونيـاً، ويقومـون بتوفـير الحمايـة للأهـالي، بالتواجـد معهـم، وبالتصويـر المسـتمر لاعتـداءات المسـتوطنين، وحراسـة أشـجار الزيتـون، فضـلاً عـن التظاهـر، وبخاصـة بتنظيـم مسـيرة سـنوية دوليـة لفتـح شـارع الشـهداء، المغلـق في الخليـل مـن قبـل الاحتـلال، وإرسـال وفـود حـول العـالم، لـشرح قضيـة الاسـتيطان والخليـل، واسـتقبال وفـود للغـرض ذاتـه، وتأمـين مـأوى لناشـطين دوليـين يأتـون للعمـل مـع التجمـع.

الملاحـظ أن التجمـع حقـق قـدرة كبـيرة عـلى التشـبيك عالميـاً، والقيـام بتقديـم محـاضرات ومعلومـات في هيئـات الأمـم المتحـدة، وحـول العـالم، ولكـن دون التوسـع ليكـون حركـة وطنيـة شـاملة، أو حتـى حركـة مناهضـة للاسـتيطان لهـا فـروع خـارج الخليـل، عـلى الرغـم مـن أنّ هـذا كان ضمـن أهـداف التجمـع في البدايـة. ويقـول منسـق التجمـع، عيـسى عمـرو: «حاولنـا أكـثر مـن مـرة أن نعمـل حـراكاً أكـبر، لكننـا واجهنـا صعوبـات، منهـا تدخـل الأمـن الفلسـطيني مبـاشرة، حيـث لا يريـد أن تتعـزز وتكـبر هـذه الأجسـام الصغـيرة. التضامـن العالمـي جيـد، والـذي يؤثـر عليـه سـلباً غيـاب منظمـة التحريـر كحاضنـة للفعاليـات حـول العـالم وتوجيههـا بشـكل مؤثـر ضـد الاحتـلال. لا توجـد مؤسسـة فلسـطينية جامعـة لتوجـه هـذه الفعاليـات».[1] وهكـذا يشـير عمـرو إلى أن الحاضنـة الخارجيـة كانـت أكـثر ترحيبـاً مـن الداخليـة، ولكـن هـذا يعنـي، أيضـاً، أن التجمـع نجـح خارجيـاً أكـثر مـما نجـح داخليـاً.

يجـدر التوقـف عنـد عـدم تضمـين اسـم التجمـع صفتـه، فـما يسـتخدم بالإنجليزيـة هـو (Youth Against Settlements)، دون صفـة أيضـاً، وعندمـا عـرف التجمـع نفسـه عـلى موقعـه، وصـف نفسـه بأنّـه «جماعـة» (group). ولعـل وصـف جماعـة، أو تجمـع، تـشي أيضـاً بنـوع مـن التنظيـم الفضفـاض، دون هرميـة أو تراتبيـة. ويحـرص التجمـع عـلى أن يعلـن عـن نفسـه كحركـة «غـير عنفيـة»، ولكنـه يمكـن أن يصـل إلى مسـتوى «العصيـان المـدني» في دعواتـه وخطابـه. ويدافـع عيـسى عمـرو، عـن هـذا النمـط بالقـول، وبرأيـه أنّ الأصـل في الحـركات الشـعبية أن تكـون متناثـرة حيـث يصعـب اسـتهدافها مـن الاحتـلال «يجـب ألا نجلـد المجموعة الصغـيرة المكونـة مـن 4-5 مؤسسـات تعمـل ضـد الاسـتيطان والاحتـلال. كل مجموعـة اختـارت منطقـة، وتعمـل بكامـل قدرتهـا». ولكنـه لا ينكـر أنّ هـذا التنظيـم يعكـس حالـة فراغ سـياسي،

1 يارا عبد الله، (رسالة ماجستير)، اعتماداً على مقابلة مع عيسى عمرو.

ويقول «الحراك والتأثير الكبيران يمكن أن يأتيا بوجود مظلة كمنظمة التحرير، أو المجلس الوطني، ولا أحد لديه برنامج على الأرض باستثناء بعض الحركات».[1]

الملاحظ في كل هذه الأطر السابقة، بدءاً من (BDS)، مروراً بحركة التضامن الدولية، ولجان مناهضة الجدار، وصولاً إلى شباب ضد الاستيطان، أنّ التركيز من ناحية الهدف هو على المناهضة والاحتجاج والرفض، ودعم الصمود، دون القدرة على بلورة عمل منظم يتبنى مشاريع مضادة أو هيكل عمل مستمر، له مؤسساته. وقد حاول بعض هذه الهيئات، مثل تجمع شباب ضد الاستيطان، والحملة الشعبية، في مناسبات عدة، تجاوز هذه النقطة بمشاريع دعم أهالي البيوت المهددة بالاستيطان، بالعمل معهم لترميم بيوتهم، وحتى تحصينها ضد اعتداءات المستوطنين.

بشكل عام، فضّل القائمون على هذه الأطر الحرص على إعلان أنهم «لا عنفيين»، وأنهم ليسوا تنظيماً حزبياً أو شعبياً بالمعنى التقليدي، الذي يتضمن برامج سياسية، ومبادئ عقائدية، وتنظيم يقوم على خلايا ومجموعات.

وطبعاً لم يدّعِ أيٌّ منهم أنه يحمل مشروعاً لكل القضايا الفلسطينية، بل يركز على جانب معين، في سياق الصراع اليومي.

كما سلف ذكره، حاولت حركة التضامن الدولية، (ISM)، أن تنتقل في هذه المرحلة (بعد 2005) للمأسسة الفعلية، عبر وجود مقرات وقواعد عمل وتمويل لها. ولكنها لم تتبنَّ برنامجاً سياسياً واضحاً، أو تفترض نمطاً من العضوية الدائمة، التي يكرس الإنسان فيها حياته للمنظمة وأهدافها (كما في الأحزاب والفصائل). وبقيت «تجمعاً» أكثر منها حركة. ويلعب موقع الحركة على الإنترنت دوراً مهماً في توضيح كيفية الانضمام له، فالمطلوب من الراغب في الانضمام، التواجد لما قد لا يزيد على أسبوعين، في فلسطين، وعليه أن يتصل بإحدى مجموعات التضامن في فلسطين، لينسق وصوله إليها، وقيامها بتدريبه على قواعد النشاط في فلسطين، وكيفية تعامله مع المجتمع المحلي وما قد يواجهه، ونصائح بشأن الملابس والنظافة الشخصية وما شابه، وهو تدريب قد يمتد عادة لمدة يومين.[2]

1 المصدر السابق.

2 يارا عبد الله، حركة التضامن الدولية.

ويكاد الناشطون الفلسطينيون أصحاب العلاقة مع حملة التضامن، ومن واكبوا بدايتها، أن يتفقوا على أنه بعد العام 2005، صار المشاركون في الحركة أصغر سناً، وأقرب للحركات الفوضوية، وتراجع دور وحضور الأكاديميين والبرلمانيين، والمثقفين.[1]

اعتمدت الحركة في آلية اتّخاذ القرار على السعي إلى الوصول إلى الإجماع، بين أعضائها، أي دون حلقات مركزية قيادية، وهذا كان يعني، أحياناً، نقاشات لأيام ولياٍل لحسم موضوع معين، ولكن ما كان يقلل من حجم العناء في هذه الآلية، كما يقول مشاركون فيها، إنه، في العادة، يكون هناك التزام كبير بما يتم الاتفاق عليه.[2]

كان هناك تصور لدى الفلسطينيين الذين أسهموا في تأسيس الحركة، وبخاصة أنضوني وعرّاف، أنها ستتطور إلى حركة يقودها الفلسطينيون، مع دعم من حركة معولمة، ولكنهم يتفقون ومعهم آخرون أنّ الدور الفلسطيني في قيادة الحركة تراجع تدريجياً لصالح الوجود الأجنبي. والملاحظ أنّ غالبية المؤسسين تركوا الحركة.

تحدد يارا عبد الله، في دراستها حول حركة التضامن، عدداً من الأسباب لتراجع هذه الحركة (وربما يوضح جزء من هذه الأسباب لماذا ترك غالبية المؤسسين الحركة)، هي: **أولاً**، تراجع المقاومة الشعبية الفلسطينية. **ثانياً**، التباين الثقافي أحياناً بين المتضامنين والمجتمع المحلي. **ثالثاً**، بروز خلافات شخصية بعضها بسبب وجهات النظر بشأن إدارة العمل، وبعضها لأجندات شخصية، وبخاصة عندما تحولت اللجان المحلية إلى أطر عمل وحياة لبعض الناشطين الفلسطينيين. **رابعاً**، مدى تقبل المجتمع المحلي لأجنبي ليأتي ويناضل معه، ويحدد أحياناً اتجاه نضاله، والخوف من أن يكون اختراقاً إسرائيلياً. **خامساً**، التمويل، فمع إصرار الحركة على التمويل الذاتي والقبول المشروط والمحدود للتبرعات، كانت المصادر المالية محدودة، وارتبط بهذا رفض فكرة المتفرغين بأجر في الحركة، والاعتماد على التطوع، وهذا كان يعني أن العمل سيكون في وقت الفراغ، وأنّ أشخاصاً كثراً، مع تقدمهم في السن وتزايد مسؤوليتهم الأسرية والحياتية، يضطرون إلى تقليص جهودهم أو الابتعاد عن الحركة، حتى لو كانوا يرغبون في استمرار العلاقة، وهذا

1 المرجع السابق.

2 المرجع السابق.

ما حدث تقريباً مع عراف، وشابيرو، وجولاني وغيرهم. **سادساً**، الانشقاقات التي أخذت في جزء منها قيام ناشطين فلسطينيين، بتأسيس مجموعات محلية في قراهم ومدنهم، مستقلة عن حركة التضامن، وإن عملت بأساليبها، ومدت بخيوط علاقاتها إلى الخارج، ويدافع بعض الناشطين عن هذا، كما في حديث عيسى عمرو، سالف الذكر، الذي يرى التعددية، والمناطقية، وسيلة تساعد على حماية الناشطين من ضربات أمنية قد توجه بشكل جماعي لحركة، لو كانت موجودة بشكل موحد.

كما جرت محاولات للمأسسة داخل فلسطين، جرى الأمر في الشتات، ففي الأردن، استمر، بل واتسع، عمل الكتل الطلابية والشبابية، في المخيمات والجامعات، التي ترتبط ولو بشكل غير عضوي، بأفكار وإرث، مع حركة «فتح»، على الرغم من انتقال بعض قيادات هذه الكتل لتصبح عضواً في المؤتمر العام لحركة «فتح»، وفي المجلس الوطني الفلسطيني.[1] ولكن الملاحظ أنّ نشاطات هذه الكتل استمر، عدا المشاركة في الانتخابات الطلابية، على أساس تقديم مساعدة مادية ومعنوية للطلبة الفلسطينيين، وبخاصة الآتين من فلسطين، وإحياء المناسبات الوطنية، والتضامن مع الأحداث في فلسطين، ونشر المعلومات، وتوثيق التاريخ الفلسطيني المعاصر بين الأجيال الجديدة، دون وضع تصور لتغيير مجمل الوضع الفلسطيني.

عدا ذلك، نشطت في الأردن مجموعات شبابية للتضامن مع الشأن الفلسطيني، ولكنها حتى لو ضمت فلسطينيين، فهي تأتي كحركات وحراكات أردنية تنتمي إلى أحزاب أو مجموعات أردنية متفاعلة مع الحدث الفلسطيني، مثل إضرابات الأسرى، أو الحرب على قطاع غزة العام 2008.

مقابل هذا الوضع في الأردن، فإنّ الشباب الفلسطيني، في لبنان، حرص على إعلان عدم فصائليته، بل والتركيز على البعد الثقافي (النشاطات الفنية والفلكلورية والأدبية التي تمس الشأن الفلسطيني) في نشاطاته، شكلت مجموعات شبابية، في مخيمات شمال لبنان (البارد والبداوي) وبيروت (شاتيلا وبرج البراجنة) وصيدا (عين الحلوة) وصور (الرشيدية وبرج الشمالي والبص). وعدا عن الحرص على إعلان صفة «المستقلة»، فقد أعلنت هذه

1 مقابلة مع مجموعة من ناشطي الكتل (ممن أنهوا دراستهم الجامعية بالفعل)، مخيم البقعة، 24 تموز (يوليو) 2018.

الأندية عن انتمائها لما تصفه بأنّه «التيار الفلسطيني العام»، أي غالبية الناس، ولعل هذه التسمية تعكس شعوراً بأنّ الفصائل لا تعبر عن التيار العام.[1]

وبالتوازي مع السعي إلى عمل شبكة للأطر الثقافية، سعى الشباب إلى تأطير عملهم، فنشأت «الشبكة الشبابية الفلسطينية في لبنان»، تجمع أطر شبابية من المخيمات المختلفة، وقد كانت أحداث نهر البارد، العام 2007، عندما دمر المخيم في حرب بين قوى سلفية جهادية، جزء منها غير فلسطيني، والجيش اللبناني، حافزاً أساسياً ليفكر الشباب بتفعيل دورهم،[2] ولكن يبدو أنّه بقدر ما يوجد حرص على تفعيل عمل شبابي، هناك حرص على إعلان البراءة من قوى واتجاهات سياسية معينة، بإعلان عدم الفصائلية، وهذا وصل إلى التركيز على الشؤون الحياتية اليومية والثقافية، مع ابتعاد نسبي عن السياسي (وبخاصة الفصائلي)، مع صعوبة الفصل التام.

هذا الحرص على البعد الثقافي، وعلى الاستقلالية، يمكن ربطه بعدد من الظواهر، منها انتشار ظاهرة الحركات الأصولية السلفية غير الفلسطينية، وما جرته هذه الحركات من تبنٍّ للعنف وللتورط في قضايا إقليمية، لا علاقة لها بالشأن الفلسطيني، فكانت هذه الأندية الثقافية لتقدم فكراً مضاداً. فضلا عن ذلك، فإن تدهور التعليم بين الفلسطينيين في لبنان، نتيجة سوء الوضع الاقتصادي، وعدم وجود فرص عمل تحفز على الدراسة، فإن العمل الثقافي اكتسب أهمية خاصة. أما وجود تنافس أكبر بين الفصائل، وعدد أكبر للفصائل الفلسطينية التي احتفظت بسلاحها في مخيمات لبنان، ودخول جماعات مسلحة إسلامية للمخيمات، فأدى إلى ردة فعل تحرص على إعلان «الاستقلال» وعدم التبعية لهذه الفصائل.

في سوريا، حيث القبضة الأمنية شديدة ضد النشاط السياسي غير المتصل بالدولة، لا يبدو أنّ سيناريوهات الأردن أو حتى لبنان كانت متاحة حقاً. وبحسب المعلومات المتوفرة، فقد كانت المبادرات الشبابية في المجتمع الفلسطيني في سوريا، محدودة. ويبدو أن النشاط الثقافي والسياسي كان مرتبطاً بفئات أكبر سناً، وغالباً بوجود راعٍ سياسي قريب

1 أنيس محسن، «الحراكات الشبابية الفلسطينية في لبنان بين «العودة» و«تحسين مستوى المعيشة»»، **صحيفة الأنباء**، 27 آذار (مارس) 2017.

2 المصدر السابق.

مـن النظـام. فعـلى الرغـم مـن أنّ الفلسـطينيين في سـوريا، لم يعيشـوا في معـازل خاصـة، ولم تتعـرض مخيماتهـم لقبضـة أمنيـة جماعيـة كـما في لبنـان، بـل تسـاوى الفلسـطيني والسـوري في مواجهـة القيـود الأمنيـة، فـإن تقييـد حريـة التعبـير السـياسي المسـتقل في سـوريا كان أكـثر مـن لبنـان، حيـث يوجـد هامـش للعمـل في داخـل المخيـمات والجامعـات، وحيـث المنـاخ السـياسي عمومـاً تعـددي، بعكـس الحالـة السـورية.[1]

لم تكـن السـاحات البريطانيـة والأميركيـة، بمعـزل عـن دخـول العامـل الإسـلامي (بتنويعاتـه الحركيـة: الإخـوان المسـلمون، و«حـماس»، وحـزب التحريـر، والسـلفي، والسـلفي الجهـادي) للمشـهد الشـبابي الفلسـطيني، وهـو أمـر، كـما سـلف ذكـره، بـرز منـذ نهايـة السـبعينيات، ولكـن بدايـة القـرن، وبالتزامـن مـع انتفاضـة الأقـصى، حدثـت اعتـداءات 11 أيلـول (سـبتمبر) التـي أوجـدت ظاهـرة «الإرهـاب» المرتبـط بإسـلاميين، والخـوف منـه. ولكـن في دول الغـرب، كان هنـاك تبايـن في النظـرة إلى الجماعـات الإسـلامية، وقـد صـدرت سياسـات ودراسـات تـوصي بالتمييـز بـين أنـواع مـن الإسـلاميين، وتـوصي بإعطـاء بعـض التيـارات هامشـاً للعمـل.[2] وهـذا لا يعنـي بالمطلـق أن الأطـر الإسـلامية التـي تعمـل في هـذه البلـدان مرتبطـة بالسياسـات الرسـمية لهـذه الـدول بالـضرورة.

نشـأ في العـام 2006 في الولايـات المتحـدة، منظمـة سـميت «مسـلمون أميركيـون مـن أجـل فلسـطين» (American Muslims for Palestine- AMP)، لتصبـح في السـنوات التاليـة، وحتـى كتابـة هـذا البحـث، إطـاراً يجمـع الشـباب ذوي الميـول الإسـلامية المهتمـين أيضـاً بالعمـل لفلسـطين، وغالبـاً مـن غـير الراضـين عـن أداء السـلطة الفلسـطينية.

يمكـن رؤيـة هـذه الأعـوام، بعـد نهايـة انتفاضـة الأقـصى، مرحلـة الاسـتمرار في محاولـة تنظيـم العمـل الفلسـطيني، واللافـت أنّ السـعي كان دائمـاً إلى إطـار يجمـع أطـراً أخـرى، أو لا يتطلـب عضويـة حصريـة أو رئيسـية لهـذا الإطـار. فمثـلا، بعد العـام 2006، أيضـاً وبمبادرة من يسـاريين

1 انظر نبيل السهلي، «فلسطينيو سوريا وتحولات المشهد السوري»، **شؤون فلسطينية**، العدد 259، ربيع 2015.

2 مـن هـذه الدراسـات، التـي أعدتهـا شـارل بينـارد، ضمـن مركـز رانـد الأمـيركي القريـب مـن دوائـر صنـع القـرار، وقـد لاقـت هـذه الدراسـة اهتمامـاً واسـعاً عنـد صدورهـا، ويبـدو المشـهد في المملكـة المتحـدة غـير بعيـد عـن تصنيـف الإسـلاميين، ومحاولـة إيجـاد مسـاحة للتعايـش والتفاهـم مـع الدوائـر المعتدلـة بينهـم، انظـر:
Benard, Civil Democratic Islam, Partners, Resources, and Strategies, (Santa Monica, CA; Arlington, VA; Pitts- Cheryl burgh, PA: RAND Corporation, 2003).

ومستقلين، بعد سلسلة لقاءات تحضيرية، واجتماعات، تأسست شبكة الجالية الفلسطينية في الولايات المتحدة (US Palestinian Communities Network- USPCN)، وعقدت مؤتمرها الأول العام 2008، واستطاعت اجتذاب ألف مشارك. وفي مؤتمر العام 2010، أعلنت عن تأسيس «لجنة الطلاب»، وعن إقامة «مؤتمر حركة الطلاب الفلسطينيين (Palestinian Students Movement Assembly)، بحيث تصبح هناك فروع لهذه الحركة في الجامعات، وتنتخب ممثلين لها، يتصلون وينسقون ويحضرون في اجتماعات الشبكة (USPCN). ولكن هذه الشبكة، تعرضت لهزات عدة، سببها الملاحقة الأميركية الأمنية، فقبل مؤتمر العام 2010، تم اعتقال ومتابعة عدد من القياديين في الشبكة، بتهمة الانتماء للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وفي العام 2012، ووسط اهتمام إعلامي كبير، جرى اعتقال وإبعاد المناضلة رسمية عودة (العام 2014)، وهي إحدى العضوات المركزيات الفاعلات في الشبكة، وهي أسيرة محررة اعتقلت بعد مشاركتها في عملية قامت بها الجبهة الشعبية العام 1969. وساهمت هذه الأحداث، في تقليص حجم الانتشار والامتداد الذي كانت الشبكة تسعى إليه. ولا شك أنها، إلى جانب ردعها ربما لشرائح من الانضمام للشبكة خوفاً من الملاحقة الأمنية، فإنها أعطتها، ربما، صبغة فصائلية، بدل الفلسطينية العامة.

الاتحاد العام لطلبة فلسطين في الولايات المتحدة

تبدو قصّة الاتحاد العام في الولايات المتحدة، بعد العام 2000، قريبة من التجربة في الأردن، من حيث مبادرة شباب لملء الفراغ بربط أنفسهم بهياكل العمل التي كانت موجودة قبل اتفاقية أوسلو، والعمل على بعثها.

فكما سلف ذكره، أغلقت أغلب فروع الاتحاد العام لطلبة فلسطين فروعها في المدن الأميركية، عقب اتفاقيات أوسلو، وكان أحد الاستثناءات فرع جامعة ولاية سان فرانسيسكو، وهي جامعة عريقة بنضالها الطلابي لصالح حقوق الإثنيات والأقليات، وبخاصة إضرابها الشهير العام 1968، الذي دعا إلى افتتاح أقسام دراسات تتعلق بحقوق الأقليات والإثنيات، ولكن هذا الفرع أصبح يعمل تقريباً دون رابط مع فصائل منظمة التحرير أو المنظمة ذاتها. ومع العام 2002، كان الاتحاد في هذا الفرع، هو عماد العمل الشعبي ضد القتل الإسرائيلي، وضد الحرب على العراق وأفغانستان. وهذا أدى إلى

دخـول الاتحـاد في توتـر مـع الحركـة الصهيونيـة، ثـم معركـة إعلاميـة مـع إدارة الجامعـة، أدت إلى طـرد عـدد مـن الطـلاب مـن الجامعـة، وإقفـال الاتحـاد لنحـو عـام.

في العـام 2003، عندمـا جـاءت مجموعـة جديـدة مـن الطـلاب، ركـزوا عملهـم عـلى الشـأن الثقـافي، ولكـن لا يبـدو أنّ الشـأن الثقـافي ينفصـل عـن السـياسي. ففـي العـام 2006، عمـل الطـلاب عـلى تكريـم الأكاديمـي والمفكـر الفلسـطيني إدوارد سـعيد، برسـم جداريـة لـه، فـوق مخـرن الكتـب، في اتحـاد الطلبـة المسـمى اتحـاد سـيزار تشـافيز (1927- 1993)؛ عامـل الفلاحة الأمـيركي الـذي نشـط في حركـة الحقـوق المدنيـة الأميركيـة.

وأدى الأمـر إلى حملـة إعلاميـة عالميـة، حركتهـا الحركـة الصهيونيـة، مـع تركيـز عـلى معـاني رسـم حنظلـة (الطفـل الـذي يظهـر في رسـومات ناجـي العـلي، وضـد مفتـاح العـودة)، وهـو مـا أوضـح للطلبـة الفـرق بـين نضـال ضـد احتـلال في الضفـة الغربيـة وقطـاع غـزة، وبـين النضـال ضـد المـشروع الاسـتعماري ككل، الـذي كان هـو في صلـب نضـال منظمـة التحريـر قبـل العـام 2003. وقـد اسـتمر التوتـر أو الخـلاف بـين الطلبـة الفلسـطينيين ومؤيديهـم مـن جهـة، واللـوبي الإسرائيـلي في هـذه الجامعـة، مـن جهـة أخـرى، منـذ ذلـك الوقـت، كـما سيشـار إليـه في الفصـل الرابـع.[1]

حـاول الاتحـاد العـام، في العـام 2003، بالتعـاون مـع فـروع عـدة لحركـة «طـلاب مـن أجـل العدالـة في فلسـطين»، في جامعـات كاليفورنيـا التسـع، ومعهـم مـدارس خاصـة وكليـات جامعية متوسـطة (كليـات مجتمـع)، تكويـن إطـار للعمـل الطـلابي العـربي. وبالفعـل، قـاد الاتحـاد المحاولـة، وعقـد مؤتمـر حـضره المئـات مـن الطلبـة العـرب في جامعـة ولايـة سـان فرانسيسـكو، وحـدث خـلاف حـول اقـتراح إدراج بنـود ضـد الصهيونيـة، وضـد التطبيـع، في ميثـاق الائتـلاف المنشـود (Arab Student Coalition of California- ASC)، وحـدث انقسـام في المؤتمـر، ولم يتـم إدراج المـواد المقترحـة، حيـث رأى نصـف المؤتمريـن تقريبـاً أنّ الدخـول في مواضيـع شـائكة في السياسـة الدوليـة سـيقلل فـرص نجـاح العمـل الـذي تحتاجـه الجاليـة العربيـة. واجتمـع الائتـلاف العـام 2004، وتجـددت المحـاولات لإدراج البنـود المناهضـة للصهيونيـة والتطبيـع،

1 لتفاصيل هذا الخلاف في جامعة سان فرانسيسكو، انظر موقع الجامعة والمصادر التالية:

Students Present Palestinian Mural, SF State News: https://bit.ly/2SwkVLy

وانظر:

Kayla Wold, Why is San Francisco State University Celebrating Edward Said?, Algemeiner, 21 Jan 2014.

ونجحت المحاولة، لكن حجم الائتلاف تراجع كثيراً، وعندما تجدد الاجتماع العام 2005، لوضع برنامج عمل توجيهي للسنوات التالية، تضمنت القرارات إقامة أسبوع التوعية بالسياسات العنصرية الإسرائيلية (الأبارتهايد). وقد اجتمع الائتلاف العام 2006، ولكن كان عدد كبير من المؤسسين والفاعلين قد تخرّج، ولم يجتمع الائتلاف بعد ذلك.

بالتوازي مع محاولة إقامة ائتلاف عربي طلابي في كاليفورنيا، حاول الاتحاد العام لطلبة فلسطين، أو بكلمات أدق، الطلبة الذين قرروا العمل في إطاره، إحياء الاتحاد وتأسيس فروع جديدة في الولايات المتحدة، ولكن ذلك اصطدم بأمور منها، رفض شرائح طلابية الالتزام ببرنامج حل الدولتين، أو برنامج ما بعد أوسلو. وبينما تمكنت ورشة عمل طلابية العام 2008 -جرت ضمن مؤتمر شبكة الجالية الفلسطينية، سابقة الذكر، وأوصت بإعادة إطلاق الاتحاد العام- من إنشاء ثلاثة فروع جديدة، في نيو أورلينز، وشيكاغو، ونيويورك، فإن هذه المحاولة تعثرت، ومع العام 2011، كانت هذه الفروع قد أغلقت. بينما يعاني فرع الاتحاد في جامعة سان فرانسيسكو، من حملات متواصلة من الحركة الصهيونية، تستهلك طاقته.

يشكل الاتحاد العام، الشكل الوطني التقليدي للعمل الفلسطيني ربما، ولكن مع تعثر عمليات إعادة إطلاقه، وإذ ما زالت فروع له تستمر في العمل، دون رابط حقيقي مع الاتحاد العام القديم التابع لمنظمة التحرير، فإنّ حركة «طلاب من أجل العدالة في فلسطين» أخذت زخماً واضحاً.

إذا أراد الاتحاد العام أن يجد مرجعية أو جهة للتنسيق معها في فلسطين، فإنّ ذلك سيكون على الأغلب منظمة التحرير الفلسطينية، والسلطة الفلسطينية، والفصائل، ولكن جهات مثل حركة التضامن الدولية، وحملة المقاطعة وسحب الاستثمار وفرض العقوبات، بدت أكثر جاذبية وحضوراً في الوسط الشبابي الفلسطيني الأميركي، ما فتح مجالاً أوسع لحركة مثل «طلاب من أجل العدالة في فسطين»، للتفاعل.

اجتمع عدد كبير من الطلاب تحت اسم «طلاب من أجل العدالة في فلسطين»، في أوهايو، العام 2005 من أجل نقاش كيفية التجاوب مع إعلان حملة المقاطعة (BDS)، وكنتيجة، صار هناك اتصال مباشر مع (BNC). وفي العام 2007، اجتمعت مجموعات هي

الاتحاد العام، فرع سان فرانسيسكو، و«من أجل العدالة» فرع جامعة كاليفورنيا بيركلي، ومجموعة تدعى «مواجهة الأبارتهايد في إسرائيل» في ستانفورد، وجرى في الاجتماع الذي عقد في جامعة ستانفورد، بحث كيفية إجراء دراسة بشأن استثمارات إدارات الجامعات في شركات تحقق أرباحاً من الاحتلال الإسرائيلي. وبعد سلسلة من ورش العمل، ودورات التدريب، والمؤتمرات، نتج في العام 2010، أول مبادرة رئيسية لسحب الاستثمارات، أعلنت في جامعة كاليفورنيا بيركلي، بهدف سحب الاستثمارات المتعلقة بشركات تخدم الاحتلال الإسرائيلي، وعلى الرغم من عدم النجاح في ذلك العام، فإنّ حملة كاليفورنيا بيركلي أسهمت في توسع حركة «طلاب من أجل العدالة»، وصار لها فروع في أكثر من عشرين جامعة. وبالتالي، تأسست، في العام ذاته، الحركة الوطنية لطلاب من أجل العدالة في فلسطين (National Students for Justice in Palestine- NSJP)، لتكون إطاراً تنسيقياً للنشاطات المشتركة، أو المتنقلة بين الجامعات، مثل تنسيق جولات محاضرات لطلاب من فلسطين، ولتنظيم مؤتمرات وطنية عامة فيها تعليم للطلاب عن فلسطين، وكذلك تأسيس فروع جديدة، وكان القائمون على هذه «اللجنة» الوطنية حريصين في القول إنّها ليست هيئة قيادية مركزية لاتخاذ القرارات، في تأكيد على عدم المركزية.

في المملكة المتحدة، عانت الساحة الفلسطينية، وبخاصة الشبابية، حالة فراغ واضحة على صعيد وجود هيئات جامعة ومنسقة، وذلك في السنوات التي تلت الانتفاضة الثانية. فعلى سبيل المثال، كاد الاتحاد العام لطلبة فلسطين أن يختفي، العام 2007، وأغلق تقريباً.[1] وكان البديل هو اعتماد لجان موقعية في الجامعات، تنشط تقريباً في كل جامعة تحت اسم «الجمعية الفلسطينية»، أو «أصدقاء فلسطين»، وتضم فلسطينيين وغير فلسطينيين، وغالباً بمبادرة ذاتية من الطلاب دون ارتباط سياسي، ودون تنسيق بينها، ومع الدور الفاعل للطبة الآتين من فلسطين للدراسة، وكانت عمليات التنسيق تتم عبر «حملة التضامن مع فلسطين» (PSM).

في محاولة لسد الفراغ، قامت مجموعات من الطلبة الفلسطينيين من مناطق بريطانية مختلفة بالعمل على تأسيس عمل مشترك، وذلك بتأسيس شبكة سميت «العمل الفلسطيني» (Action Palestine). وقامت هذه الشبكة بالعمل على تنسيق اللجان

1 هذا ما أكده فؤاد شعث رئيس الاتحاد في لقاء تلفزيوني مع تلفزيون TRT.

والجمعيات الموقعية في أجندات مشتركة، وفي محاولة لخلق خطاب جديد بشأن من هو الفلسطيني، وما معنى تحرير فلسطين، بعيداً عن قبول العملية السياسية التي أنتجتها اتفاقيات أوسلو، بالتركيز على الطابع الاستعماري لإسرائيل، وأنها جزء من مشروع أكبر. وقد لعبت هذه الشبكة دوراً في تحريك نشاطات ضد الحرب الإسرائيلية في غزة خلال العامين 2008 و2009، وأسهمت هذه النشاطات في الربط بين الحركة الطلابية في بريطانيا وحركة المقاطعة (BDS). وكان النشاط اللافت في تلك الأعوام، ما عرف باسم موجة «احتلال الجامعات»، عندما تم بين 9 كانون الثاني (يناير) و6 آذار (مارس) 2009، قيام طلاب بالسيطرة على قاعات وأماكن في ما لا يقل عن 27 جامعة بريطانية، رئيسية، وإعلان احتلالها حتى تحقيق مطالب، تباينت من جامعة إلى أخرى، ولكنها تمحورت حول مقاطعة الشركات الداعمة للاحتلال، من مثل سحب استثمار الجامعات من شركات أسلحة تتعامل مع إسرائيل، أو مقاطعة البضائع الإسرائيلية، أو إعلان إدارات الجامعات بيانات تأييد للفلسطينيين، أو ضد الاحتلال، أو تقديم منح طلابية لأهالي قطاع غزة، أو حتى لإسرائيليين يرفضون الخدمة العسكرية، وما إلى ذلك.[1]

بطبيعة الحال، لم تكن حركة الاحتلال من قبل الطلاب الفلسطينيين وحدهم، بل هي نضال مشترك مع طلاب آخرين، ولكن اللافت أنّ شبكة (Action Palestine)، لم تستطع الاستمرار والتطور، فمع تخرج أعضائها تراجعت الشبكة، وتلاشت.

هناك نشاطات أخرى، مثل «أسبوع الأبارتهايد الإسرائيلي»، الذي انطلق في كندا العام 2005، عبر طلاب فلسطينيين، وانطلق لبلدان عديدة، منها المملكة المتحدة، في العام ذاته، فعلى الرغم من وجود لجنة مركزية، تضم فلسطينيين وغير فلسطينيين، ترعى الأسبوع حول العالم، الذي يتضمن محاضرات وفعاليات ضد السياسات العنصرية الإسرائيلية، فإنّ هذه الرعاية أشبه بتقديم النصح والتوجيهات والمساعدة في توفير المعلومات والربط بين الناشطين؛ أي أنها نوع آخر من الشبكات، ولكن الفاعلة في نشر حملات متكررة سنوياً، ويبدو حظ هذا الأسبوع، كما سيتضح في الفصل المقبل، أفضل من غيره باستمراره في الجامعات، على الرغم من مرور الوقت عليه.

1 Admin, 'University occupations over Gaza', Right to Education Campaign, Birzeit University 4 May 2009. http://right-to-edu.birzeit.edu/university-occupations-over-gaza/ See also, Alexandra Topping, 'Students angered by Gaza revive sit-ins', The Guardian, 14 February 2009.

الفصل الثالث

الحراكات والمجموعات الشبابية (2011-2018)

لعل العام 2011 في السياق الفلسطيني يرتبط بمحاولات الشباب الفلسطيني استنساخ نجاحات الشباب العربي، وتحديداً تجربة الاحتجاجات الشعبية في مصر التي بدت في البداية، كأنها على وشك إحداث تغيير سياسي كبير، وقادها، بالدرجة الأولى، مجموعات شبابية، استطاعت إسقاط الحكم في مصر.

طوال سنوات طويلة، اعتاد الفلسطينيون أن يكونوا هم محور الحدث، فيما بقية المحيط العربي يشاهدهم، وربما يتضامن البعض معهم، لكن الآن (في سنوات ثورات الربيع العربي) الوضع مختلف، هم من يقف في صف المشاهدين، وحاولوا أن يقفوا في موقف المتضامنين، مع الشباب العربي، ثم أن يستفيدوا من تجربتهم فلسطينياً.

بقراءة لاحقة لما حدث فلسطينياً، يمكن الإشارة إلى طاقة شبابية ظهرت إلى السطح، لم تتطور إلى فعل مؤثر، وذلك لأسباب عدة، منها التسرع في العمل، وعدم وجود رؤية واضحة، والانقسام على صعيدين، بين الشباب والسلطات القائمة (في الضفة الغربية وقطاع غزة)، والانقسام بين الشباب أنفسهم، ثم نجاح الثورات المضادة في الدول العربية الأخرى. لكن الأهم، عدم مغادرة عقلية «الحراك»، وعدم الرغبة، أو عدم النجاح في التحول إلى «حركة»، أو تنظيم. والواقع أنه، وكما سيتضح لاحقاً، يبدو أن الشباب بالغوا في توقعاتهم لقدراتهم، وللاستجابة الشعبية المتوقعة لحراكاتهم. ولعل هذا ما أسهم في نشوء ظاهرة جديدة إلى حد كبير، يمكن تصنيفها في مرتبة وسط بين

الحـراك والحركـة، وبـدأت في الظهـور بشـكل جـلي نحـو العامـين 2013 و2014، حيـث تنشـط مجموعـات شـبابية، لا كـرد فعـل عـلى حـدث مـا، أو لهـدف محـدود زمنيـاً، بـل تحاول تشـكيل شيء مسـتمر، ويـؤدي إلى تغيـير في البنيـة الثقافيـة والاجتماعيـة لأهـداف سياسـية، ومـن الأمثلة عـلى هـذه المجموعـات، التـي تركـزت داخـل فلسـطين، بشـكل خـاص، مجموعـات مثـل الأمـل (Hope)، وملتقـى نبـض الشـبابي، ومجموعـات أخـرى سـيدرس الفصـل حالتهـا.

تمثلـت أهـم تجليـات الحـراك الشـبابي الفلسـطيني العـام 2011، في مناسـبتين، أولاهـما الحملـة ضـد الانقسـام السـياسي الفلسـطيني، وظهـر هـذا التحـرك، بشـكل أسـاسي، في آذار (مـارس)، تلتهـا العـام 2012، مسـيرات رفعـت شـعارات مثـل مواجهـة السياسـات الاقتصاديـة والفسـاد فلسـطينيا. وثانيتهـما، محاولـة تسـيير مسـيرات عـودة كبـيرة إلى الحـدود مـن دول الطـوق، في أيـار (مايـو) 2011، والمطالبـة بانتخابـات للمجلـس الوطنـي الفلسـطيني. لم تتطـور هـذه الحـراكات، أو تنشـأ عنهـا تداعيـات هيكليـة تذكـر، ولكـن فكـرة الحـراك الشـبابي باتـت واضحـة للعيـان، ونمـت حالـة لمحاولـة إحـداث حـراكات شـبابية، بشـكل أكـبر، وهـو مـا حفـز مجموعـات فلسـطينية، حـول العـالم إلى محـاولات لتنظيـم نفسـها، وإلى القيـام بحمـلات وحـراكات مختلفـة، وبعـض الحـراكات العالميـة كان نوعـاً مـن التضامـن مـع الحـراكات داخـل فلسـطين، كـما سـيتضح لاحقـاً، مـع أهميـة الإشـارة إلى أنّ الحـراكات الفلسـطينية خـارج فلسـطين لم تلـقَ الاهتـمام الإعلامـي أو السـياسي، ربمـا لأنّ الإعـلام، وبخاصـة الإعـلام العـربي، باتـت لـه أوليـات أخـرى سـوى القضيـة الفلسـطينية، أو لأنّ جـزءاً كبـيراً مـن هـذه الحـركات أعطـى الأولويـة للتضامـن مـع الفلسـطينيين في فلسـطين، ومناهضـة الأبارتهايـد الإسرائيـلي، أكـثر مـن العمـل عـلى تكويـن حركـة عامـة للفلسـطينيين.

سيسـتخدم هـذا الفصـل التقسـيم الجغـرافي في اسـتعراض الحـراكات والمجموعـات الفلسـطينية الشـبابية الأساسـية بـين العامـين (2011- 2018)، أي، بحسـب مـكان حدوثهـا.

1-3 الضفة الغربية وقطاع غزة - حراكات ومجموعات

كما سلف ذكره يجدر التمييز بين نوعين من أطر العمل الشبابي برزت منذ الأعوام الأولى هي الحراكات، والثانية المجموعات.

1-3 - أ الحركات الشبابية في الضفة الغربية (2011-2014)

حراكات الربيع العربي (إنهاء الانقسام)

يعتبر تاريخ 15 آذار (مارس) 2011، هو التاريخ الأشهر في الحراك الشبابي الفلسطيني، ولكن الحقيقة أن الحراك الشبابي بدأ فعلياً في شباط (فبراير) من ذلك العام، وكان متوقعاً أن يصل ذروته أو أن يدخل مرحلة جديدة مميزة في 15 آذار، إلا أن ذلك لم يحصل. لقد شهدت تلك الأشهر بداية تحرك شبابي نوعي، تحت مسمى «الشعب يريد إنهاء الانقسام»، بدأ من رام الله، ثم انتشر في جهات أخرى، وكان متوقعاً أو مأمولاً أن يغير من الخريطة السياسية.

إثر الثورة في تونس، بدأت محاولات للتعبير عن التأييد والتفاعل مع الحدث، وهنا برز ما سيعرف لاحقاً باسم «مجموعة 15 آذار».

توضح مجموعة من مؤسسي هذا الحراك، نقطة يعتبرونها البداية الفعلية للحراك، أو جذور الحراك، وتتمثل في مسيرة جمعت حوالي 50 شخصاً سعت إلى المشاركة يوم 25 أيلول (سبتمبر) 2010، وبمناسبة يوم السلام العالمي، في مسيرة في قرية النبي صالح، شمال غرب رام الله، والمحاطة والمستهدفة بالاستيطان، ويومها، وبسبب إغلاق الطريق من قبل جيش الاحتلال، حوصر الشباب في الأحراش المحيطة بالقرية، وبدأ الجيش باستهدافهم، ثم قام أهالي القرية بمسيرة من نحو 100 شخص، شتتت الانتباه وفكت الحصار عن المجموعة. وأوجدت هذه المناسبة فعلياً نواة من عشرات الشباب والشابات، جزء كبير منهم يعمل في منظمات غير حكومية (NGOs)، وعدا عن معرفة الشباب لبعضهم بشكل أفضل بسبب مسيرة النبي صالح، فإنهم بدأوا يفكرون في نشاط مشترك، وتطوير

عملهم، وبخاصة بعد أن شعروا بما اعتقدوا أنّه احتضان شعبي.[1]

يقول بعض هؤلاء الشبان إنهم كانوا يفكرون بثلاثة اتجاهات أساسية؛ هي: أولاً، حملة تثقيفية تركز على إيضاح النتائج السلبية للمفاوضات واتفاقيات أوسلو، بعد قرابة عشرين عاماً على انطلاقها. ثانياً، تنظيم فعاليات جماهيرية تعتمد على طلبة الجامعات، وبشكل منفصل عن الفصائل. ثالثاً، تكثيف المواجهة مع الاحتلال على نقاط التماس، مثل قرى النبي صالح، ونعلين، وبلعين، وغيرها.[2]

هناك ملاحظتان أساسيتان هنا، أولاهما أنّ هذه المجموعة لم تكن توجد لديها الوسائل والأدوات والخطط للوصول إلى الشباب لحشدهم وتحريكهم بغض النظر عن مضمون ما يطرحونه.[3] وثانيتهما أن محور هذه النقاط المطروحة لا تتضمن خطة عمل وطنية شاملة، أو حتى تصوراً لتطور تنظيمي، وكل ما تتضمنه هذه النقاط تصورات لرفض الواقع، وتحديداً العملية التفاوضية، والاحتلال، ولكن ضمن فعاليات احتجاجية أكثر منها ضمن تصور وطني عام، ناهيك عن أن البنود المقترحة ليست جديدة، فهناك بالفعل حراك معارض لأوسلو، ولطالما تحرك شباب الجامعات، وكانت مظاهرات ولجان مناهضة الجدار موجودة منذ سنوات، وليس واضحاً لماذا اعتقد هؤلاء الشباب أنهم يمكن أن يقوموا بدور قيادي مختلف في هذه المجالات.

جاءت الثورة التونسية في نهاية العام 2010، فرصة لهذه النواة، أو محفزاً لها للحراك، فبدأت فعاليات تضامنية مع الشعب التونسي، وهذا ربما ما كان جديداً في الساحة الفلسطينية، وينتظر من يبادر إليه، بعكس «الخطة الثلاثية» سالفة الذكر.

لقد كان الحدث التونسي مفاجأة للكل، سواء على المستوى الرسمي الفلسطيني أو الشعبي. وأدت الفعاليات التضامنية من هذه المجموعات الشبابية إلى حماسة قطاعات شعبية، ولكن، أيضاً، إلى تخوف رسمي فلسطيني. ويوضح اثنان من الذين قاموا بالحراك، أنّ الأجهزة الأمنية الفلسطينية قابلت التحركات التي تلت خروج زين العابدين بن علي

1 طارق خميس، في الإجابة عن سؤال ما الذي حدث للربيع العربي؟ الحراك الشبابي الفلسطيني في الضفة الغربية، في: جميل هلال، (محرر)، **الحراكات الشبابية الفلسطينية، رؤية نقدية استشرافية**، 2013، ص 80.

2 المصدر السابق.

3 المصدر السابق.

بـ«القمع والتحقيق مع بعض المنظمين»،[1] فردت فعاليات شعبية ومُنظَّمات مجتمع مدني بتنظيم مظاهرة استقطبت الآلاف يوم 5 شباط (فبراير) 2011، وقد انطلقت المسيرة، دون شعارات أو مطالب محددة، سوى إبداء التعاطف مع الشعبين التونسي والمصري، ولكن تبيّن أثناء الهتافات أنّ المطلب والشعار الأكثر أهمية، وجاذبية، هو «الشعب يريد إنهاء الانقسام»، فقرر «الشباب» تبنيه، وظهر بعد ذلك العديد من الصفحات على «فيسبوك»، واجتمع عدد من أصحابها في رام الله، ونسّقوا مع مجموعة في غزة كانت مصرّة على رفع شعار «إنهاء الانقسام»، وعلى اختيار الخامس عشر من آذار تاريخاً للتحرك».[2] وقد أضاف الشباب المحرك للتظاهرات، أو ممن التحق بهم لاحقاً، هدفاً آخر هو إجراء انتخابات للمجلس الوطني.[3]

تعكس مسيرة 5 شباط، وما نجم عنها من شعارات، بعض معالم ديناميات فكرة «حراك الشارع» في مرحلة الربيع العربي، من حيث وجود شعور مُلِح بضرورة التغيير، لكن مع وجود افتقار لتصور واضح متسلسل لما هو مطلوب ولخطة عمل، وهذا يؤدي إلى ظاهرة تطور وتغير المطالب في الشارع، وأثناء أيام الحراك. والديناميةالثانية، أن الشارع قد يفاجئ من ينزل إليه، إيجابياً بتجاوبه، وهو ما يرتب على الشباب أعباءً ومهامَّ قد لا يكون مستعداً لها، كما قد يفاجئه سلبياً بعدم التجاوب فيجعل النشاط الشبابي أشبه بالفقاعة التي تنتهي سريعاً، وهناك ديناميات أخرى، ستبرز لاحقاً، يمكن الإشارة إليها تِباعاً.

مع منتصف شهر شباط (فبراير) 2011، أمكن رصد ما لا يقل عن 118 صفحة فلسطينية على فيسبوك، منها 112 صفحة تحمل عنواناً صريحاً هو «الشعب يريد إنهاء الانقسام»، والأخرى بالمعنى ذاته، فضلاً عن مواقع أخرى تحمل هذا الشعار بكلمات أخرى. وبلغ عدد المسجلين في الصفحات الـ112، حينها، 34791 شخصاً. مع ملاحظة أن أكثر الصفحات

1 حازم أبو هلال وزيد الشعيبي، «تجربة الحراك الشبابي في الضفة الغربية»، في: **وقائع ورشة «الشباب يتحدثون»**، (مشروع التواصل الشبابي الفلسطيني)، المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات والدراسات الإستراتيجية - مسارات، البيرة، 2011، ص31.

2 أكد هذه التفاصيل مشاركون في ندوة عمل نظمها مركز «مسارات» ممن بدأوا ذلك الحراك، ووثقها أيضاً الباحث طارق خميس نقلاً عن شباب الحراك: طارق خميس، في الإجابة عن سؤال، ص 82- 83.

3 حازم أبو هلال وزيد الشعيبي، «تجربة الحراك الشبابي»، مصدر سبق ذكره، ص 31.

سـجّلت 4070 شـخصاً، وأقلّهـا شـخص واحـد.[1] وهـذا يعكـس الأثـر المتداعـي المنتـشر لمـا حـدث عـلى دوار المنـارة (وسـط رام اللـه)، إذ قـام «فيسـبوك» بـدور مكـبر الصـوت الـذي نقـل الرسالة.

في الواقـع أنّ كـثرة عـدد تلـك الصفحـات، بقـدر مـا كانـت تعكـس شـعبية الشـعار والالتفـاف حولـه، بقـدر مـا كانـت تعكـس، أيضـاً، الانقسـام بـين القائمـين عـلى التحـرك، مـا يعكـس دينامية أخـرى لحـراك مجتمـع الشـبكات، وهـو أن الكـثرة قـد لا تعنـي زخـماً وتوحـداً، بقـدر مـا تعنـي انقسـاماً، فسـهولة استنسـاخ الأفـكار والمطالـب في «فيسـبوك»، تحولـه إلى مجـال للتنافـس والجـدل، غـير الجديـين والعبثيـين، أحيانـاً.

لم يحـدث تحـرك ضخـم كـما كان متوقعـاً يـوم 15 آذار لأسـباب منهـا ضعـف ماكينـة الحشـد الشـبابي، وأنّ قـوى أخـرى «متـضررة» مـن تغـير قـوى المبـادرة للفعـل، وتحديـداً الفصائـل، دخلـت إلى المشـهد، ولعبـت دوراً في إدارة دفـة الأحـداث، وبالتـالي اسـتطاعت التحكـم في زخـم واتجاهـات الحـدث.[2] وهـذا يعكـس دينامية ثالثـة لحركـة الشـارع، فضـلاً عـما ذكـر أعـلاه، هو أنّ أحـد طـرق احتـواء حركـة الشـارع هـي المشـاركة فيهـا وتبنيهـا، ثـم التحكـم بإيقاعهـا، فضـلاً عـن أنّ الشـعارات الفضفاضـة غـير المحـددة لا تسـتقطب حركـة دائبـة جماهيريـاً. فشـتان بـين مطلـب «إسـقاط النظـام» الواضـح في مـصر، و«إنهـاء الانقسـام» الفضفـاض فلسـطينياً، الـذي تتبنـاه كل القـوى، بمـا فيهـا المنقسـمون أنفسـهم، ولكـن دون جديـة.

لقـد فوجـئ الشـباب إيجابيـاً، عندمـا كان تحركهـم غـير مخطـط وغـير مـدروس، بالتجـاوب الشـعبي معهـم، ولكـن فوجئـوا سـلبياً، عندمـا انتقلـوا إلى التخطيـط وإلى التبلـور تحـت اسـم محـدد، بأنّـه جـرى التصـدي لهـم، وإفـراغ حراكهـم مـن محتـواه، بتنفـير الشـارع مـن حراكهـم، أو تقديـم بدائـل لـه.

اسـتمرت فعاليـات مختلفـة لمـا صـار يعـرف بالحـراك الشـبابي، بمـا في ذلـك بنـاء خيـام والبقـاء

1 أحمـد جميـل عـزم، «118 صفحـة «فيسـبوك» تريـد إنهـاء الانقسـام»، **الغـد**، 16 شـباط (فبرايـر) 2011. والواقـع أن بعـض هـذه الصفحـات مـا زال متاحـاً عـلى موقـع فيسـبوك، حتـى تمـوز (يوليـو) 2018، عـلى الأقـل، وبلـغ عـدد المسـجلين عـلى إحداهـا قرابـة العشريـن ألـف مشـترك، ويتضـح أنّ القائمـين عليهـا يفعّلونهـا مـن حـين إلى آخـر لقضايـا مثـل التفاعـل مـع الأسرى، أو الاحتجـاج عـلى إجـراءات السـلطة الفلسـطينية في قطـاع غـزة، (وقـف الرواتـب).

2 حازم أبو هلال وزيد الشعيبي، «تجربة الحراك الشبابي»، مصدر سبق ذكره، ص 32.

فيها في ميادين المدن الأساسية كنوع من الاعتصام المستمر، الذي كان ربما يتوقع أن يديم حركة الشارع، ويوسعها، ولكن ما حدث فعلاً هو تحول الخيام إلى جزء جانبي من مشهد الحياة شبه العادية في الشارع. وجاءت مسيرة العودة في 15 أيار (مايو) من ذلك العام. وهنا برزت دينامية رابعة، هي أنّ قضية وهدفاً آخر يبدو مكملاً ومتكاملاً مع هدف آخر للشارع، قد يؤدي عملياً إلى ارتباك وعدم تحديد الهدف. فمسيرات العودة في ذلك العام كانت حدثاً تاريخياً فارقاً، كما سيلي إيضاحه، ولكنها لعبت دوراً مهماً في تنويع القوى التي تقود الشارع، والشعور بعدم تحديد الهدف، وتشتته. وهذا اتضح، بشكل أكبر، في حراك ذكرى النكسة، (حزيران 2011)، فهنا تم ترك الحدث للفصائل التي «وَعدَت»، كما يقول بعض محركي حراك 15 آذار، بالحشد ولم تفعل.[1]

وهنا بدت مسيرات الضفة الغربية (وغزة) هزيلة مقارنة بمسيرات الشتات، كما سيتضح لاحقاً. ولعل هناك حادثة أخرى تكشف كيف أنّ قضية نبيلة قد تبرُز صدفةً، أو بتخطيط، أو باستثمار قوة لها، لإفراغ حراك من محتواه. وهذا ما حدث في 19 كانون الثاني (يناير) 2011، عندما كان الشبان يستعدون للتوسع في فعاليات التضامن مع الثورة التونسية، واتصل مسؤولون أمنيون بالشباب، يشيرون إلى خطورة فعالياتهم، من حيث أنها أولاً تتعارض مع أن زين العابدين كان صديقاً للفلسطينيين، وأنّ تونس استضافت في عهده منظمة التحرير الفلسطينية، بعد الخروج من بيروت، ثم إنّ هذا يعد تدخلاً في شؤون دول عربية أخرى، وقد يؤدي إلى نتائج وخيمة كما حدث في حالة حرب الكويت 1991/1990. ولم يقتنع الشبان، ولكن سبق يوم الفعالية التضامنية مع الثورة التونسية بيوم، حدث آخر؛ هو خروج عائلة الأسير هيثم صالحية، المعتقل في سجون الاحتلال، وهنا اشترك بعض شباب الحراك في المسيرة التي سارت باتجاه مقر القيادة الفلسطينية (المقاطعة)، وهناك تصدى لها الأمن.

وبعد تهديد ومنع لإقامة المسيرات، فوجئ «شباب الحراك»، كما يقولون، هم وأسرة صالحية، بموافقة السلطة على خروج مسيرة تدعم الأسير، شريطة أن تكون على دوار المنارة، وحددت ساعة لها، هي ذات ساعة فعالية التضامن المحددة مع تونس. وقرر الشبان تجميد فعاليتهم لصالح قضية الأسير، ولكن في ساعة الحدث، فوجئوا أن السلطة

1 المرجع السابق، ص 33.

وحركة «فتح»، وفرت إمكانيات للمظاهرة (مكبرات صوت)، بحيث توحد الهتافات لصالح صالحية، وعندما حاول شاب رفع علم تونس، أوقفته عناصر الأجهزة الأمنية بالقوة، واتهموه بتشتيت الجهود.[1] وبعد محاولات لتنظيم اعتصامات أمام السفارة المصرية، ضغطت الأجهزة الأمنية، لوقفها، وتواصلت عناصر في الحكومة وحركة «فتح» مع الشبان في محاولة لتهدئة الأمور. وقد حاولت عناصر قيادية في حركة «فتح» تنظيم اجتماعات بين الشباب وقادة في الأجهزة الأمنية، تجسيداً لقناعتهم أنّه يمكن التوفيق بين حركة «الشباب» والمستوى السياسي، دون توتر، وهنا ربما كانت قدرة الأجهزة الأمنية على التعامل مع وسائل التواصل الاجتماعي كانت حينها ما زالت محدودة.

تُظهر حادثة الأسير صالحية هشاشة أن يكون «الحراك» يدور حول حدث معين، فتتوجه كل الطاقات له، بدل أن يكون هناك تنظيم لديه برنامج متكامل، لا تقوم دينامية عمله على الحشد لحدث بعينه.

مع فشل حراك 15 آذار بتحريك جماهير كثيرة، لجأ الشباب إلى إضرابات عن الطعام، وكان ذلك جزءاً من بداية بروز فكرة النضال الفردي.[2] استمر أحد الإضرابات 6 أيام، ثم 14 يوماً، واعتصامات استمرت في رام الله 51 يوماً، مع توجيه رسائل إلى إسماعيل هنية رئيس حكومة حماس» في غزة، والرئيس الفلسطيني لإنهاء الانقسام.[3] وإذ شعر الشبان بتضامن بعض المحيطين بالاعتصام، من مثل محلات تجارية أرسلت لهم معجنات وماء، وشعروا بتشجيع ربما من بعض المارة، فإنّ لجوء مكتب الرئيس محمود عباس إلى إرسال وجبات طعام للمعتصمين، أثار خلافاً بينهم، بشأن الموقف المطلوب من هذه الخطوة، فبينما رفضها بعضهم، لم يكن ممكناً إجبار الكل على موقف موحد، بما في ذلك من يرى الشبان والشابات، أنّهم أفراد أجهزة أمنية انتشروا بينهم وباتوا معهم، بملابس مدنية، على أنهم منهم.[4] وهو شاهد آخر على صعوبة بلورة حراك جماهيري موحد ومنسق دون قيادة مركزية. كما أنّه شاهد، على أنّ إمكانية الاختراق لحراكات جماهيرية بلا

1 طارق خميس، «في الإجابة عن سؤال»، مصدر سبق ذكره، ص 81.

2 في الواقع أنّه بعد انحسار التوقعات من نجاعة «الحراكات»، ومع بقاء محدودية التوقعات من الفصائل ومن السلطة الرسمية، ظهرت موجة من النضالات الفردية، وبخاصة إضرابات الأسرى عن الطعام، التي أطلقها الشيخ خضر عدنان، وتلاه أسرى آخرون كثر، قبل أن تنتشر، أيضاً، موجة عمليات فدائية فردية؛ سواء باستخدام السكاكين أو أسلحة نارية.

3 المصدر السابق، ص 82.

4 المصدر السابق.

عضوية أو هيكلية واضحة، أمرٌ ممكن وأسهل من عملية اختراق تنظيم واضح المعالم، لا بد لمن يخترقه أن يصبح عضواً فيه، بل عضو قيادي، حتى يصبح جزءاً من صناعة القرار واتّخاذه، بعكس الحراك.

التقى الرئيس الفلسطيني محمود عباس المجموعة أكثر من مرة، فيما كان مبادرة من قيادات من حركة فتح، لا ترى في الحراك ظاهرة تستدعي القلق، بل يمكن أن تكون لصالح المشروع الوطني.[1] ولكن، في المقابل، واجه حراك 15 آذار اتهامات وصعوبات من جهات مناهضة، وتحديداً قريبة من الأجهزة الأمنية الفلسطينية. وتقول إحدى المُنظِمات للحراك للإعلام «لقد هتفوا ضدنا قائلين «سي آي إيه برّا برّا» في محاولة لاتهامنا بتلقي دعم خارجي، وأنّ حراكنا بدعم من «أن جي أوز» ويُمول خارجيّاً، وهذا ليس صحيحاً.[2]

إذا كان حراك 15 آذار مَثّلَ مُحاولة تشكيل ائتلاف من قوى غير مؤدلجة، وغير حزبية، فإنّ مجموعة أخرى ظهرت أثناء الحراك، أو حتى قبله بقليل، شكلت ظاهرة محاولة الفصائل والأحزاب أو شبابهم، القيام بدور شبيه، أو استخدام أطر وسبل شبيهة، من حيث تقديم أهداف جزئية آنية، ودون مركزية تنظيمية، مع ادّعاء استقلالية، قد تكون صحيحة نسبياً. وهذا ينطبق تحديداً على مجموعة سمَّت نفسها 5 حزيران (إشارة إلى نكسة العام 1967)، أي وضعت لنفسها موعداً سيأتي بعد أشهر، ممنيةً النفسَ أن يتحول اليوم إلى نقطة فاصلة. وهذه المجموعة يسارية، أقرب إلى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، أعادت تسمية نفسها لاحقاً بأنها «الحراك الشبابي المستقل». وتدعو هذه التسمية إلى التنبه إلى مدى شعور الشباب بأنّ بِناء حراك حول بنية فصائلية أمر صعب، وغير جذّاب جماهيرياً، وبالتالي تتبنى صفة الاستقلالية. وتصر المجموعة على أنّه لا طابع حزبي للمجموعة، ولكن لا ينكرون عضوية جزء مهم منهم في الجبهة الشعبية، وأن خبرتهم الحزبية برأيهم أدت إلى امتلاكهم مقومات لاستمرارهم،[3] ورفعت هذه المجموعة أهدافاً ثلاثة رئيسية، هي إنهاء الانقسام، والأسرى، وموضوعات التطبيع

1 هذا ما قاله صبري صيدم، نائب رئيس المجلس الثوري في حركة «فتح»، آنذاك، للباحث.

2 طارق خميس والحارث ريان، «القصة الكاملة للحراكات الشبابية»، الجزء الأول، **عرب 48**، نقلا عن «زمن برس»، 3 نيسان (أبريل) 2012.

3 المصدر السابق.

والتمويل الأجنبي.[1] وهذه الأهداف لا يمكن، أيضاً، أن تشكل بحد ذاتها برنامجاً وطنياً متكاملاً، ولكنها تعكس محاولة بلورة برنامج ما، والبحث عن قضية تجمع حولها جمهوراً مؤثراً.

حاولت مجموعتا 15 آذار و5 حزيران الالتقاء والتنسيق، ويكشف فادي قرعان أحد أبرز وجوه حراك آذار، أنّه كان في خيمة الاعتصام أشخاص يعتقد أنهم من الأجهزة الأمنية، دأبوا على تحريضهم ضد شباب حزيران، على اعتبار أنهم من الجبهة الشعبية ويريدون القيام بانقلاب، وعلى الرغم من أن شباب آذار لم يأخذوا هذا الحديث على محمل الجد، فإنّه تولدت لديهم قناعة بأنّ مرجعية الشباب في الجبهة الشعبية كانت صحيحة، وأنّهم كانوا يغيرون مواقفهم وما اتفقوا عليه بعد مشاورة القيادية البارزة في الجبهة خالدة جرار.[2]

حدثت خلافات بين المجموعتين سريعاً، وترى 15 آذار أنّ 5 حزيران أخذت اسم «الحرك الشبابي المستقل»، ورفعت شعارات 15 آذار، كأنها الحراك ذاته، وأنّ الأمر كان لا يزال في طور التشاور للاندماج، بينما يؤكد شباب 5 حزيران أن الاتفاق كان قد تم.[3]

كان هدف «إنهاء الانقسام» يبدو كأنه سيكون الإنجاز، أو العتبة، التي سيغير تجاوزها، المشهد السياسي، وليس هو الهدف النهائي، وهو هدف موازٍ لهدف تغيير النظام في الحالات المصرية والتونسية، الذي يفترض أنّه مقدمة لواقع جديد. ومع تراجع هذا الهدف بدأ الحديث عن هدف آخر، مثل تركيز مجموعة الحراك الشبابي المستقل على عودة المجلس الوطني. ثم انتقل التركيز على الأهداف الثلاثة أعلاه. وصارت المجموعات تركز على محاربة أي حفل أو مؤتمر أو نشاط فيه تطبيع. ومن ذلك، مثلاً، الضغط لإلغاء حفل غنائي، (حفل رأس السنة) في نهاية العام 2011، يشارك فيه فنان عربي، من الأراضي المحتلة العام 1948، ولكنه مشهور بالاشتراك في حفلات إسرائيلية، بما في ذلك حفلات للجيش والجنود الإسرائيليين. وقد ألغي الحفل، ويعتقد أنّ مجموعات مثل الحراك المستقل، ومجموعة أخرى تسمى «شباب بنحب البلد»، لعبت دوراً في التصدي

1 طارق خميس، «في الإجابة عن سؤال»، مصدر سبق ذكره، ص 83

2 خميس وريان، «القصة الكاملة للحراكات الشبابية»، مصدر سبق ذكره.

3 المرجع السابق.

لهذه المجموعة، وفي السطور التالية متابعة لما آلت إليه هذه المجموعات. ولكن من المهم رؤية كيف تراجع الهدف من تغيير المشهد السياسي، إلى مقاومة مظاهر معينة في الشارع، والواقع أنّه في الحالتين (إنهاء الانقسام، ومناهضة النشاط التطبيعي)، بدا الشباب كمن يبحث عن هدف يحتشدون خلفه، ليصبحوا عنصراً فاعلاً في المجتمع والمشهد السياسي، أكثر من انطلاقهم من رؤية مسبقة متكاملة بشأن هذا المجتمع والمشهد السياسي، بدوا كمن يبحثون عن هدف في الشارع.

فلسطينيون من أجل الكرامة

هناك مناسبة أخرى برز فيها العمل الشبابي، في العامين 2012 و2013، كما لو كان لا يزال قادراً على التعبير عن نفسه، وإثبات وجوده، ولكن أيضاً، في هذه المناسبة، بدا الأمر كرد فعل لحدث يصادف أو يواجه الشباب، فقد كانت زيارة كانت مقررة لنائب رئيس الوزراء الإسرائيلي إلى رام الله، شاؤول موفاز، في شهر تموز (يوليو) 2012، سبباً لبروز ما وصف بأنّه «الحراك الشبابي» مرة أخرى، وإن أخذ هذه المرة اسم «فلسطينيون من أجل الكرامة»، وقد تعرض عشرات من الشبان والشابات للضرب من الأجهزة الأمنية، أثناء مظاهرات ترفض الزيارة في رام الله، بعد أن كان قد تم إعلان إلغائها فعلاً، ما أثار ضجة إعلامية، وأعلن وزير الداخلية الفلسطيني، حينها، سعيد أبو علي، فتح تحقيق فيما جرى، مشيراً إلى «شجار» بين أفرد الشرطة والمتظاهرين أدى إلى إصابات في الجهتين، كما خرجت مسيرات تحتج على القمع.[4]

واستمرت هذه المجموعة التي انضوت في إطارها مجموعات من الحراكات الشبابية السابقة، وشباب جدد، وتحركت تحت الاسم ذاته بمناسبات أخرى، مثل مسيرة برفع الأحذية اعتراضاً على زيارة الرئيس الأميركي، آنذاك، باراك أوباما، في آذار (مارس) 2013.[5]

أعقبت هذا الحراك مظاهرات احتجاجية، منها ما جرى في آب (أغسطس) 2013، ضد نهج المفاوضات ككل، وبرز شباب وشابات عدة في سياق المظاهرات، وغطيت إعلامياً

4 **دنيا الوطن**، «فلسطينيون من أجل الكرامة يطالبون بإقالة مسؤولي شرطة رام الله على خلفية أحداث عنف»، 2 تموز (يوليو) 2012: https://bit.ly/2Q6oINX

5 **شبكة قدس الإخبارية**، «متظاهرون برام الله: أحذيتنا ستكون في استقبال أوباما»، 19 آذار (مارس) 2013: https://bit.ly/2DeEAez

بشكل واسع، وأكد الشباب أنهم تعرضوا لقمع كبير، وأكدت الفتيات، بشكل خاص، تعرضهم لتشويه وتحرشات جنسية أثناء المسيرة، وتشهير بعد المسيرة، مقابل اتهامات لهن ولهم بالتعدي على الشرطة، وتوجيه شتائم واتهامات بالخيانة، للأجهزة الأمنية. أحد هؤلاء هو باسل الأعرج، الذي جرح أثناء المظاهرة، وتعكس حلقة تلفزيونية على تلفزيون الفلسطينية، بمشاركة لواء من الأجهزة الأمنية، هو عدنان الضميري، الذي اعتبر الادّعاءات بشأن التحرش، والإصابات والجرح المصاب به الأعرج «كذباً»، وتحدى المذيع ماهر شلبي، الأعرج بأن «يلعن أبوه اللي ماسكم تضربو قنابل و(صواريخ) أربجيهات على المستوطنات»، وهو ما سينفذه الأعرج لاحقاً، كما سيلي توضيحه، واتّهم الشبان والشابات بأنهم يتحركون في سياق يخدم إضعاف السلطة، ودعوة «حماس» قلب نظام الحكم.[1]

وكان الشباب يتحركون في مناسبات مختلفة، أحياناً بدون اسم، وبالاعتماد على الدعوة على وسائل التواصل الاجتماعي، ومن هذه المناسبات، على سبيل المثال، الاحتجاج على السياسة الرسمية من مجريات الأحداث إزاء اللاجئين الفلسطينيين، في سوريا، وبخاصة مخيم اليرموك.[2]

شباب بنحب البلد والتحول نحو المجموعات

كانت ليلة رأس السنة الميلادية (نهاية العام 2011)، كأنها علامة فارقة وخاتمة لسنة الحراك الشبابي، فعندما تصدى الشباب لحفلة المطرب العربي، المعروف باسم «شريف»، ويقدم نفسه على أنّه جسر بين الطرفين (الإسرائيلي والفلسطيني)، وأنه «فنان يريد الغناء أمام كل الجماهير»، وأنّه «رجل سلام، وليس سياسياً. ويريد إحضار موسيقاه

1 «برنامج حكي عَ المكشوف»، **تلفزيون الفلسطينية**، 31 آب (أغسطس) 2013.

2 من ضمن فعاليات الاحتجاج حينها مظاهرات أمام مقر منظمة التحرير الفلسطينية في رام الله، ولقاء صاخب وغاضب مع عضو اللجنة التنفيذية في المنظمة أحمد مجدلاني، في جامعة بيرزيت، راجت فيديوهات اللقاء، بشكل كبير، عبر وسائل التواصل الاجتماعي. على سبيل المثال:
مهاجمة الوزير مجدلاني في جامعة بيرزيت بسبب مخيم اليرموك، وكالة سما الإخبارية، 22 كانون الثاني (يناير) 2014.
http://bit.ly/2N2CJyb
اعتصام يطالب منظمة التحرير بالتدخل لإنقاذ اللاجئين في مخيم اليرموك، راديو بيت لحم، 4 كانون الثاني (يناير) 2014.
http://bit.ly/2PYujpV

لـكل المعجبـين»،[1] قـرر الشـباب تنظيـم حفـل بديـل «ملتـزم»، وتبنـت الفكـرة مجموعـة سـمَّت نفسـها «شـباب بنحـب البلـد». والواقـع أنّ المجموعـة ولـدت بعـد أنّ رأى أفـراد ملصقـات الترويـج للحفـل عـلى الجـدران بجانـب صـور الشـهداء والأسرى. ويقـول عـلي عبيـدات، وهـو شـاب صحـافي مقـدسي، ومنسـق ومؤسـس للمجموعـة «تجمعنـا بشـكل تلقـائي عندمـا رأينـا صـور المغنـي شريـف الـدرزي علقـت في شـوارع رام اللـه فـوق صـور الشـهداء، وذلـك لإحيـاء ليلـة رأس السـنة، هـذا الأمـر اسـتفز مجموعـة مـن الشـباب الواعـي مـن مختلـف الفئـات، ليضـع كل جهـده للحـد مـن الترويـج لمثـل هـذا التطبيـع»، وقـال «نحـن لم نـروج ضـد شريـف الـدرزي لأنـه درزي الأصـل، بـل لأنـه غنـى للجنـود الإسرائيليـين وبسـبب مواقفـه المعاديـة لنـا».[2]

هـذا التحـرك مثـال آخـر كيـف تـأتي بدايـة التحـرك مـن حـدث في الشـارع، فتنشـط حولـه مجموعـات مـن الشـباب، ويبـدو كأنهـا سـتكون مؤثـرة.

عـادت تحـركات الشـباب (آذار) بأسـماء مختلفـة كـما جـرى توضيحـه أعـلاه، ولكـن فكـرة التحـرك المسـتمر اختفـت، ولعـل حركـة «شـباب بنحـب البلـد»، تعكـس مرحلـة انتقاليـة في العمـل الشـبابي.

لاقـت «شـباب بنحـب البلـد»، تغطيـة إعلاميـة وانتشـاراً في زمـن قيـاسي، في مـدن مختلفـة، ولعـل مـما سـاهم في ذلـك ردة الفعـل الإسرائيليـة الحـادة عـلى نجـاح جهـود إلغـاء الحفـل الـذي اتّهـم بالتطبيـع، وتنظيـم حفـل بديـل، في وسـط رام اللـه، غنـى للحيـاة والكفـاح المسـلح. فقـد قـال مسـؤولون إسرائيليـون أن مـا جـرى مـن مقاطعـة لهـذه الحفلـة، وعـدة لقـاءات للحـوار الإسرائيـلي الفلسـطيني، كانـت مقـرة في القـدس، هـي جـزء مـن نشـاط هدفـه «نـزع شرعيـة» إسرائيـل، وإلغـاء حقهـا في الوجـود.[3]

بـدت المجموعـة، أو صـوّرت، كأنهـا حـراك وطنـي كبـير، فعـلى سـبيل المثـال لا الحـصر، نـشر موقـع شـبكة رايـة الإعلاميـة، وهـي شـبكة مـن ضمنهـا إذاعـة ذات حضـور قـوي في فلسـطين،

1 Associated Press, Palestinians Block New Year's Eve Show by Druze Israeli Singer, Haaretz, 4 Jan 2012.

2 رزان النجـار، «مجموعـة شـباب (بنحـب البلـد): نسـعى لتوجيـه الشـباب الفلسـطيني في مقاومـة الاحتـلال»، **موقـع الفجـر**، 10 كانـون الثـاني (ينايـر) 2012.

3 Associated Press, 4 Jan 2012.

تقريـراً عـن المجموعـة جـاء فيـه «مـن أم الـرشراش جنوبـاً، إلى رأس الناقـورة في أقـصى الشـمال، تجمعـوا مـن فلسـطين التاريخيـة، واختـاروا لأنفسـهم اسـماً يباهـي بعشـقها، وصـاروا يـذودون عَنهـا بالقَلـم والريشـة والأغنيـة، ويوقعـون بــ «شـباب بنحـب البلـد».

بطبيعـة الحـال، لا يمكـن أن يكـون التصـدي لحفـل أساسـاً لمجموعـة مسـتمرة، ومـن هنـا حـدد عـلي عبيـدات هـدف المجموعـة بالقـول «الهـدف الأسـاسي لــ «شـباب بنحـب البلـد»، هـو رفع سـقف المطالـب الفلسـطينية، وترميـم الحـس الوطنـي الفلسـطيني، وإعـادة الـروح للشـارع الفلسـطيني، التـي أنهكتهـا سـنوات طويلـة مـن التدجـين».[1] وقـال عبيـدات إنّ المجموعـة تسـعى لتكـون منتـشرة في مخيـمات الشـتات. بطبيعـة الحـال، فـإنّ هـذه الشـعارات عـلى أهميتهـا لا ترقـى إلى أن تكـون برنامجـاً واضحـاً.

لقـد كان حضـور المجموعـة الأولي، وكذلـك الحملـة، ضـد الحفـل الغنـائي التطبيعـي، عـبر «فيسـبوك» وقـد أوضـح الناطـق الرسـمي باسـم الأجهـزة الأمنيـة الفلسـطينية، أن هـذه الحملة والتوتـر الـذي صحبهـا أدى إلى قـرار إلغـاء الحفـل.[2]

لم تسـتطع المجموعـة الاسـتمرار في الزخـم الـذي كانـت تتوقعـه، كـما أنّ مسـألة العضويـة الفضفاضـة، هـي سـلاح ذو حديـن. إذ يقـول محمـود حريبـات، أحـد قيـادات المجموعـة، ضاربـاً مثـالاً عـلى طريقـة عملهـم، «لقـد اتّصـل علينـا أحـد شـباب الحركـة الطّلابيـة في جامعـة خضـوري يشـكو مـن تقصيرنـا في دعـم حراكهـم داخـل خضـوري (طولكـرم)، فقلنـا لـه أنـت ممثّـل «شـباب بنحـب البلـد». وأضـاف «بإمـكان أي أحـد إذا اتّفـق إلى مـا ندعـو إليـه أنْ ينضـمّ ويعمـل معنـا وباسـمنا».[3] وهـذه حالـة أخـرى كالتـي شـكا منهـا شـباب 15 آذار مـن دخـول مـن شـاء بينهـم في الاعتصامـات، ليصبـح بالتـالي جـزءاً مـن المجموعـة، ومـن عمليـة صناعـة القـرار.

قامـت مجموعـات تحمـل اسـم «شـباب بنحـب البلـد» العـام 2013، في مدينة طولكرم، بنشـاط رمضـاني يتمثـل في توزيـع وجبـات طعـام عـلى الصائمـين، وقـد حصلـت المجموعـة عـلى دعـم

1 **شبكة راية الإعلامية**، «شباب بنحب البلد»: في الطريق الصحيح إلى البلاد، 16 كانون الثاني (يناير) 2012.

2 Associated Press, 4 Jan 2012.

3 خميس وريان، «القصة الكاملة للحراكات الشبابية»، مصدر سبق ذكره.

كبير ومشاركة مباشرة من أجهزة أمنية فلسطينية، وتحديداً جهاز الأمن الوطني، كما يظهر من فيديوهات تلفزيونية متوافرة على موقع «يوتيوب»، وتتضمن أغاني تتحدث عن اهتمام «شباب بنحب البلد» بالفقراء، والجوعى، والتعمير، والخير.

لقد كان بروز مجموعات تتشارك بالاسم دون تنسيق كامل أو رؤية واضحة لمشاريع العمل ظاهرة واضحة. فإذا كان شباب 15 آذار و5 حزيران، اختلفا على من يملك شعارات معينة، ومن يملك اسم «الحراك الشبابي»، فإنّ نشاط 2013 في طولكرم، الذي حمل اسم «شباب بنحب البلد»، رافقه غياب نشاط المجموعة في أماكن أخرى، وبخاصة ذات الطابع السياسي المباشر، في إشارة إلى ظاهرة هُلاميّة العضوية، وغياب الرؤية السياسية الموحدة، وبدت مجموعة طولكرم قريبة جداً من السلطة الفلسطينية والأجهزة الأمنية، بعكس ما توحي به بدايات المجموعة. في الواقع، إنّ ملابسات نشوء مجموعة «شباب بنحب البلد» كحراك، ثم بروز مجموعة مثل مجموعة طولكرم، جاءت في وقت بدأت فكرة «الحراك»، باعتبارها إطاراً جامعاً للشباب بهدف تحقيق هدف عاجل، بالتراجع لصالح مبادرات ومجموعات شبابية تتبنى هدفاً أكثر استمرارية، وإلى اهتمام أكبر بانتظام ومأسسة العمل، لكن دون الوصول إلى مرحلة التنظيم التقليدي (الحركة)، وهو ما سيتم توضيحه في صفحات تالية، ولكن لا بد من التوقف قبل ذلك عند التفاعل الشبابي مع حرب غزة العام 2014.

حرب العام 2014 ومسيرة 48 ألفاً

عندما اندلعت الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة (8 تموز (يوليو) – 26 آب (أغسطس) 2014)، شهدت الضفة الغربية، خمسة أنواع من النشاطات، هي جمع التبرعات وإرسال المواد الإغاثية، وكذلك مظاهرات ومسيرات احتجاج محلية، داخل المدن والقرى، وحملات مقاطعة للسلع الإسرائيلية، ومواجهات قرب المستوطنات والطرق التي يمر بها مستوطنون وجنود ومحاولة استهدافهم، وكان النشاط الخامس وربما المميز، محاولة تسيير، مسيرات مركزيّة كبرى تسعى إلى حراكات جماهيريّة على غرار احتجاجات الرّبيع العربيّ.

كان هناك شبه اتفاق في الرأي بين الشبان والسياسيين على أنّ الفصائل فشلت في استلام

زمام المبادرة، فمثلاً قال حينها منسق مجموعة شباب ضد الاستيطان، في الخليل، عيسى عمرو «هناك وضع متفجّر، ولكن اتّساع الانتفاضة واستمرارها متعذّران لأسباب أهمّها أنّ حركة فتح وقياداتها الضعيفة غير قادرة على اتّخاذ قرار بتبني مشروع مقاوم. كما أنّ السبب الثاني هو التنسيق الأمنيّ، إذ إنّ الأجهزة الأمنيّة تتابع وتعيق كلّ المجموعات الصغيرة التي تتشكل. أمّا السبب الثالث، فهو أنّ مجموعة كبيرة من التّجار هم من المستفيدين من الاحتلال. وبالنّسبة إلى السبب الرّابع هو ردّة الفعل العنيفة من الاحتلال على النشاطات الشعبيّة».

بادر شبان لاستلام زمام المبادرة، دون قرار فصائلي، ولكن كما لاحظ الناشط في المقاومة الشعبية، في الخليل، بديع دويك، حينها «يفتقد الشبّان المشاركون، وبخاصة من الجيل الجديد إلى تصوّر ورؤية بعيدة المدى لما يمكن أن تكون عليه تحرّكاتهم. وإنّ الفصائل وأعضاءها موجودان في التحرّكات، ولكن من دون قرارات مركزيّة وخطط واضحة الأهداف والسياسات».

في الواقع أنه برز حينها رأي شبابي يرفض عن سبق إصرار فكرة النشاط المركزي، والتصورات الموحدة بعيدة المدى.

ربما أدت تجارب الحراك الشبابي في العامين 2011 و2012، إلى هذه القناعة، والدعوة إلى المقاومة الفردية، دون إطار مركزي (تنظيم أو قيادة موحدة). فأثناء الحرب فكّر مجموعة شباب، جلهم ينتمون إلى حركة «فتح» بتسيير مسيرة كبرى دعماً لقطاع غزة، وبعد حوار قرروا أن تكون المسيرة في ليلة القدر، في شهر رمضان، باتجاه معبر قلنديا، تحت شعار الصلاة هناك، وسميت مسيرة 48 ألفاً لتشير إلى أمرين؛ النكبة العام 1948، والعدد المستهدف مشاركته.

تميزت تلك المسيرة بأنها، أولاً، نظمت بمعزل عن الفصائل الفلسطينية،[1] وثانياً، استخدام

1 ذكرت مقالة نشرت في مجلة **فورين أفيرز** الأميركية، الصادرة عن مجلس العلاقات الخارجية الأميركي، أنّ المسيرة نظمت من قبل حركة «فتح»، وبهدف احتواء الشارع وتنفيسه، وأنّ ضابط مخابرات فلسطيني قال هذا لكاتب المقال. وعلى الرغم من أنّ هذا ينسجم مع طروحات باسل الأعرج، فإنّه غير دقيق، بالنظر لاستقلالية من قرروا المسيرة، وقرروا عدم تطويرها إلى حراك أوسع. لمقال الـ **فورين أفيرز**، انظر:
https://fam.ag/2zfejIE Neri Zilber, The Missing Intifada, Foreign Affairs, 2 September 2015:

وسائل التواصل الاجتماعي في الدعوة إليها بجانب إعلانات الشوارع والحديث للإعلام والاتصال الشخصي. وقد كانت دعوات التواصل الاجتماعي، أيضاً، مبتكرة، فقد تم تسجيل عشرات أو مئات الفيديوهات لأشخاص مؤثرين اجتماعياً من مختلف القطاعات، مثل سياسيين، وأكاديميين، وفنانين، وأهالي أسرى، وبثها ضمن شبكات هؤلاء الخاصة على وسائل التواصل الاجتماعي، فضلاً عن عمل مسيرات تمهيدية أصغر في الأيام السابقة، كان يعلن فيها عن المسيرة.

استطاعت المسيرة فعلا أن تحشد أكبر حشد تشهده رام الله منذ سنوات طويلة.

قبل المسيرة انتقد أشخاص فكرتها، ومن هؤلاء باسل الأعرج، الناشط حينها، الذي سيصبح بعد ذلك في العام 2017، أيقونة نضالية بعد استشهاده برصاص الاحتلال في مدينة البيرة. وكانت وجهة نظر الأعرج، أنّ مسيرة موحدة بهذا الشكل، تمهد لتوحيد حركة الشارع، والمقاومة، ووضعها بيد قيادة «برجوازية صغيرة»، تقوم عادة بالتراجع والتنازل في لحظات الحسم الحرجة، في إطار عملية تفاوضية.[1] بغض النظر عن أنّ هذا التصور لم يكن دقيقاً، فإنّ الأعرج كان يعكس، خوفاً مبرراً، في سياق التجارب الشبابية السابقة، حيث تقوم السلطة بالمشاركة بالفعالية الشعبية لتستطيع توجيهها. لقد كان خوف باسل مبرراً في ضوء تجارب مثل دخول السلطة حراك 15 آذار وتوجيهه باتجاه آخر، وحالات شبيهة أخرى.

في المقابل، فإنّ ما حدث حقاً أنّ الشُبّان الذين نَظّموا المسيرة، قرروا عدم تطويرها إلى شيء آخر، بعد أن كان هناك سؤال ملح، ماذا بعد هذا التحرك؟ الذي وصف بأنه يوازي مليونيات الربيع العربي؟[2] وعند سؤالهم عن سبب هذا القرار، أشاروا إلى ثلاث نقاط متصلة ببعضها البعض: الأولى، أنّ المسيرة شهدت سقوط شهداء ومئات الجرحى، ولا يريد الشبان تحمل مسؤولية تقديم الضحايا دون تصور متكامل للخطوة اللاحقة. الثانية، أنّه يصعب تكوين تصور متكامل والاستمرار دون صدام مع السلطة. الثالثة، أن الفصائل الفلسطينية رفضت بوضوح تبني المسيرة أو البناء عليها، على الرغم من مناشدة المنظمين

1 جرى جدال بين الباحث وباسل الأعرج حول هذه النقطة عبر وسائل التواصل الاجتماعي.

2 هذا ما جاء على سبيل المثال في مقال الـ **فورين أفيرز** سالف الذكر.

لهـذه الفصائـل بفعـل ذلـك، بـل وحتـى مناشـدتهم «ادّعـاء» أنهـا مـن فعلهـم.[1]

اللافـت أن الشـباب الذيـن قامـوا بتنظيـم المسـيرة، تراجعـوا عـن تطويرهـا بسـبب عـدم وجـود رغبـة ومـشروع مـن قبـل الفصائـل والسـلطة لتبنـي مثـل هـذا المـشروع، وأنّ مـن عارضهـا فقـد عارضهـا خوفـاً مـن تبنيهـا مـن السـلطة والفصائـل بهـدف السـيطرة وتفريـغ الحركـة الشـعبية مـن مضمونهـا. وبالتـالي تخـلى هـؤلاء الشـباب ضمنيـاً عـن محاولـة بعـث حركـة شـعبية مـن جديـد.

لقـد أوضحـت المسـيرة عـدم قـدرة أو عـدم رغبـة الفصائـل واسـتعدادها لأن تقـوم بـدور في تحريـك الشـارع، وبالمثـل فـإنّ شـباب حـراك2011، لم يسـتطيعوا أن يكونـوا في الواجهـة، واتضـح كذلـك أن قـدرة مجموعـات الشـباب، وإن بـدت كبـيرة عـلى صعيـد الحشـد، فإنّهـا بـدت محـدودة عـلى صعيـد القـدرة عـلى تطويـر رؤى وإسـتراتيجيات طويلـة الأمـد، ومتسـعة جماهيريـاً، فهـي تعمـل بأسـلوب اللجـان المؤقتـة الخاصـة لغـرض محـدد (ad hoc)، كـما كل الحـراكات. وهنـا ربمـا يمكـن أيضـاً القـول إن الجمهـور فاجـأ منظمـو مسـيرة 48 ألفـاً إيجابيـاً بخروجهـم بأعـداد فاقـت التوقعـات، ولكـن يصبـح السـؤال الـذي لا توجـد لـه إجابـة، مـاذا لـو اسـتمر الشـباب؟ هـل كانـوا سـيُفاجؤون سـلبياً، كـما حـدث مـع شـباب حـراك آذار 2011، وكان الجمهـور سـينفض، وبخاصـة بعـد نهايـة حـرب غـزة؟

3-1- ب المجموعات الشبابية في الضفة الغربية (2013-2018)

نشـأت مجموعـات عـدة بـين العامـين 2012-2014 تسـتخدم فيسـبوك للتنظيـم والحشـد، وتطـرح نفسـها كشـبكة وطنيـة، ولكـن مـع أهـداف محـددة، أقـل حتـى مـن أهـداف 15 آذار و5 حزيـران، مـع أنهـا ذات طمـوح يفـوق الجمعيـات الخيريـة، وإن كان لا يصـل إلى مرحلـة التسـجيل الرسـمي لمنظمـة غـير حكوميـة أو هيئـة مـن أي نـوع. ستسـتعرض الصفحـات التاليـة، تحليليـاً، نموذجـين، أحدهـما ظهـر وانتهـى، مـن هـذه المجموعـات مجموعـة نشـطت تحـت اسـم الأمـل أو (Hope)، والآخـر مـا زال ناشـطاً حتـى إعـداد هـذا الكتـاب، وينتقـل نحـو المأسسـة، هـو مجموعـة نبـض.

1 كان هذا ما أوضحه منظمون للمسيرة للباحث، وقد استخدم جزءاً من هذا الحديث في تقرير نشر في حينها، انظر:
أحمـد جميـل عـزم، «إرهاصـات الانتفاضـة تصطـدم بمنطـق السـلطة»، **موقـع الكاتـب أحمـد جميـل عـزم**، نقـلاً عـن **المونيتـور**، 7 آب (أغسـطس) 2014: https://bit.ly/2ACnvsA

مجموعة الأمل (Hope)

عرفت هذه المجموعة باسمها بالإنجليزي أكثر منه بالعربي، وتسمى (Hope)، أو «الأمل».[1] ويقول جهاد نمورة، المؤسس الأساسي والقائد للمجموعة المركزية، الذي كان طالباً جامعياً عند البدء، إنّ الفكرة، بدايةً، كانت صفحة باسم «الأمل لأطفال فلسطين»، بدأها شاب على «فيسبوك»، وكان «ينشر عبارات وصور عن أطفال فلسطين، والعمل التطوعي، وإمكانيات خلق مستقبل أفضل مليء بالأمل للأطفال في فلسطين كباقي أطفال العالم». ثم بدأ المتفاعلون على الصفحة يفكرون بضرورة النزول إلى الشارع، وعدم الاكتفاء بالكلام، وقاد الأمر إلى تبني نشاط في شهر رمضان 2013، عنوانه «مش رح أفطر وغيري جوعان»، وبدأ الحديث على فيسبوك لتكوين مجموعات في مدن مثل رام الله، وطولكرم، ونابلس، والخليل، وبيت لحم. ويقول نمورة، كان عادة 15-20 شخصاً يؤكدون أنهم سيشاركون في الاجتماع، ثم لا يأتي سوى شخصين أو ثلاثة. ولكن استمرت المحاولات وتأسست، فعلاً، مجموعات في رام الله، والخليل، وبيت لحم، ونابلس، وطولكرم، وثلاث مجموعات في غزة. وفعلاً تم جمع طرود غذائية من الأهل والمعارف وأصحاب مطاعم، ثم ملابس وألعاب للعيد، قبيل رمضان. ومع افتتاح العام الدراسي، بدأت حملة اسمها «قاوم بالعلم»، وهنا يلاحظ بدء الانتقال من الخيري إلى الوطني. وتكررت الحملة العام 2014، ولكن بتغيير اسمه «الخير ديلفري» وفكرته إيصال وجبات ساخنة للعائلات المحتاجة، ويقدر عدد الوجبات التي تم تأمينها بنحو 1200، كل واحدة تكفي لعائلة، وكان يجري إعدادها في بيوت المتطوعين، أو تبرعات من مطاعم.

اعتمدت عضوية المجموعة على شباب، كان جزء منهم منتمياً للفصائل «من أقصى اليمين إلى اليسار، بما في ذلك فتح وحماس»، ويكشف نمورة أنّ الإحباط من الفصائل سبب اجتماع وعمل هؤلاء الشباب معاً، ويقول «برأيي أحزابنا عندها أجندات أقدم من القضية الفلسطينية ذاتها»، في إشارة إلى عدم وجود برامج جديدة، وهي «لا تعمل سواء للتحرير أو لبناء المجتمع»، وما تقوله هو مجرد «كليشيهات».

1 تعتمد المعلومات عن Hope، على مقابلة إلكترونية عبر «ماسنجر فيسبوك» مع جهاد نمورة، يوم 12 تموز (يوليو) 2018.

وعـن المحتـوى السـياسي لهـذا التحـرك، يقـول كان الحديـث عـن المقاومـة بالعلـم والتركيـز عـلى المخيـمات جـزء مـن المضمـون الوطنـي. ويقـول إنّـه في جلسـات حـوار جانبيـة، وفي رأسـه ورؤوس آخريـن، كان هنـاك أمـل في التطـور، ويقـول إنّ الشـباب عمومـاً بـات يخـاف أن يتجـه مبـاشرة إلى نشـاط سـياسي، لذلـك كنـت أرى مـا نفعلـه «تدريبـاً وتجسـيراً للشـباب للعمـل عـلى حلـول مسـتدامة لمشـاكلنا؛ سـواء مـع الحكومـة أو المجتمـع عـلى المسـتوى الداخـلي، أو الاحتـلال والمجتمـع الـدولي عـلى المسـتوى الخارجـي». وتشـير هـذه الفكـرة مـن البـدء مـن غـير السـياسي إلى ظاهـرة جـرى التعـرض إليهـا سـابقاً، وسـيجري نقاشـها لاحقـاً، فحتـى الجمعيـات غـير الحكوميـة، التـي لا تتبنـى مضمونـاً سياسـياً، توفـر عمليـاً منصـة للقـاء والتفكـير بـين الشـباب، والانتقـال، ولـو بأطـر جديـدة، إلى السـياسي، مـع أنّ هـذا يتعـثر في الغالـب، كـما سـيلاحظ لاحقـاً.

بـدأ «انهيـار» المجموعـة (Hope)، بحسـب تعبـير نمـورة، العـام 2015، وانتهـت العـام 2016، وبالطبـع كان مـما حـدث أن المشـاركين مـن طلبـة الجامعات تخرجوا (لأن الشـباب هـي مرحلة عابـرة). ولكـن نمـورة يشـخص عـدم اسـتمرار المجموعـة لأسـباب، منهـا أولاً، «سـوء التنظيـم الهيـكلي والاعتـماد عـلى الفرديـة للمنسـقين وقدراتهـم، وعـدم وضـع هيكليـة سـليمة وتوزيـع مهـام بشـكل صحيـح تجعـل المجموعـة موجـودة بنظامهـا وليـس بأشـخاصها»، والواقـع أنّ مـا يشـير إليـه نمـورة هـو تشـخيص مهـم لمجمـل الحـراكات الشـبابية التـي تتحـرك بـلا هيكليـة.

السـبب الثـاني، للانهيـار، هـو الشـخصانية؛ كان التنافـس بـين المنسـقين، ومحاولـة تكويـن مجموعـات مرتبطـة بهـم شـخصياً. والسـبب الثالـث، هـو تشـكل مجموعـات جديـدة تسـتقطب المشـاركين. والسـبب الرابـع، كـما يقـول نمـورة، هـو تفـاوت ردة الفعـل الحكوميـة والرسـمية، فمثـلاً في رام اللـه، قامـت المحافظـة، بتوفـير غرفـة للعمـل وسـيارة للمجموعـة لتنفيـذ حملـة شـهر رمضـان، بينـما فشـلت كل الجهـود في محافظـات أخـرى لمجـرد الحصـول عـلى موافقـة عـلى العمـل.

في الواقـع، أنّ فكـرة المجموعـات مثـل (Hope)، هـي نمـط آخـر مـن النشـاط الشـبابي، التـي تطـورت لاحقـاً، لتكـون شـيئاً وسـيطاً بـين الحركـة والحـراك، فهـي ليسـت حركـة بالمعنـى التقليـدي، الـذي يشـمل بنـى سياسـية وتنظيميـة محـددة، ولكنهـا ليسـت حـراكاً، بمعنـى أنهـا تنشـأ كـرد فعـل عـلى حـدث معـين، أو لهـدف محـدد محـدود.

نبض ومجموعات التوعية

برز في مدن الضفة الغربية منذ العام 2014، اسم مجموعة نبض الشبابية (تستخدم المجموعات أحياناً اسم ملتقى بدل مجموعة)، التي باتت لها فروع في مدن وقرى مختلفة، وتعرف هذه المجموعة عن نفسها على صفحتها المركزية على فيسبوك أنها «مبادرة شبابية لمحاولة فك المعقد وإعادة المهمش من العقل، بطرح قضايا حوارية وأنشطة في قضايا تعني المجتمع الفلسطيني». وهذا التعريف يشير فعلاً إلى طبيعة نشاطات المجموعات، فهي ترتكز بالدرجة الأولى على الحوار والتفكير، ونشر الوعي، وهذا واضح من نشاطات المجموعات، التي تأخذ شكل تقديم محاضرات عامة، وأفلام، ولقاءات أفراد المجموعات الحوارية مع خبراء وأصحاب رأي.

يسجل لهذه المجموعة أنها استطاعت الاستمرار والتوسع على مدى سنوات، وقد بدأ الملتقى، من خلال سعي شباب إلى عمل تطوعي صحي، جرى فعلاً في قرية كفر مالك، شرق رام الله، ثم بدأت بعض النشاطات التطوعية، الطبية بدرجة أولى، قبل البدء بلقاءات نقاشية حول الشأن العام، ويجري الاتفاق على تطوير العمل.[1] «وكانت المبادرة على صعيد الجامعات -إلى حد كبير- مبادرة شبابية في جامعة بيرزيت، تعمل على طرح قضايا حوارية وأنشطة تعنى بالمجتمع الفلسطيني، سياسياً وثقافياً، ثم تواجدت في أماكن مختلفة، منها رام الله والقدس وبيت لحم، وعدد من المخيمات».[2]

تقول داليا أبو الليل عضو مجموعة نبض «بدأت فكرة نبض في الجامعة (بيرزيت)، بشعور الطلبة بحاجتهم إلى تعبئة أوقات الفراغ، واستهلاك طاقتهم بشكل إيجابي يخدم الطالب في الجامعة، والوقوف يد بيد حول قرار واحد، في بعض الأمور التي تخص الطالب في الجامعة، كالمطالبة بما ينقص الطلبة في الجامعة، والمطالبة بحقوقهم».[3]

وأضافت أبو الليل أن نبض بدأت نشاطاتها بشكل بسيط، بدءاً بالندوات الثقافية في برامج تستمر أسبوعين، من ثم تنظيم الأعمال التطوعية، وتشكيل نوادي قراءة، لتنمية وتشجيع الطالب على القراءة.

1 مقابلة هاتفية أجرتها عائدة الحجار، مع جنين مرعي، منسقة إطار نبض الشباب، 22 أيلول (سبتمبر) 2018.

2 أسيل ناصر الدين، «مجموعات شبابية تعم زوايا جامعة بيرزيت»، 2018/4/18، **بيرزيت أو نلاين** (موقع طلبة دائرة الإعلام في بيرزيت): https://bit.ly/2LLBTCd

3 المرجع السابق.

وأشارت إلى أنّ «نبض حاضنة مفتوحة لجميع الطلبة، لا تستهدف الطالب بناءً على انتمائه السياسي أو سنته الدراسية، وتضم كل من لديه اقتراح أو فكرة بمبادرة سياسية أو اجتماعية أو ثقافية، لتنفيذها سواء أكانت داخل حدود الجامعة أم خارجها، ولها الأثر الإيجابي».[1]

على الرغم من إشارة شباب «نبض» كما في حديث الطالبة أبو الليل، أعلاه، إلى أنها لجميع الطلبة، وعلى الرغم من قول المنسقة في الملتقى، جنين مرعي، إنهم لا يعتبرون أنفسهم ملتقى يسارياً، فإنّ خطاب الملتقى، يتضمن مضموناً يسارياً واضحاً، وهذا بات أكثر وضوحاً مع صدور صحيفة ورقية وإلكترونية، للمجموعة، باسم «اتجاه»، كما سيلي توضيحه.

أول الاستنتاجات التي تنتج من استعراض عمل هذا الملتقى، أنّ المجموعة سارت في الاتجاه الشبابي السائد ذاته؛ من اختيار اسم قصير يعبر عن شيء رمزي أكثر مما يعبر عن هدف محدد، فكلمة نبض، تعبر عن لحظة، وعن رغبة في الاستمرار، والوجود، وأخذ موقف، أكثر مما تعبر عن فكر أو برنامج، وهذا على عكس مسميات الأطر الشبابية قديماً، التي جرى استعراضها في الأجزاء السابقة من هذا الكتاب، وتتضمن تعريفات ومفردات مثل الاشتراكي، والعربي، والتعاوني، والفلسطيني، وسمات مثل اتّحاد، ولجان، ومؤتمر، . وعلى سبيل المثال، نشر موقع بيرزيت أون لاين، الذي يحرره طلبة الإعلام في بيرزيت، تحقيقاً في شهر نيسان (أبريل) 2018، بعنوان «مجموعات شبابية تعم زوايا جامعة بيرزيت»، واللافت على صعيد هذه الأسماء أنها تضم «نبض»، و«متراس» التي انبثقت من شباب كانوا في نبض، وتركز على رسم الجداريات التي يشارك مجموعات في تنفيذها، للشخصيات والرموز الوطنية، ومجموعة «نحت» التي تأسست العام 2016، والتي تتضمن نشاطات قريبة من نشاطات «نبض»، ولكن كما يدل تعريف المجموعة لنفسها أقل ميلاً للخطاب اليساري. وهناك كذلك شبكة «صامدون» التي أسسها طلاب أسرى محررون، وتعنى بقضايا الأسرى.[2] ويمكن الاستنتاج أنّ هذه الأسماء والأهداف، هي تعبير عن شعور الشباب بالحاجة للحظة تحول. وإذا كانت فكرة الحراكات، كما

1 المرجع السابق.

2 أسيل ناصر الدين، «مجموعات شبابية»، مصدر سبق ذكره.

سلف توضيحها، وكما سيشار لاحقاً، أيضاً، في حالة الساحات المختلفة موضوع الدراسة، تهدف إلى إحداث تغيير على أمل أن يؤدي هذا إلى بناء جديد أفضل، فإنّ الفرق بين هذه المجموعات وتلك الحراكات، أنّ الشباب، هنا، يشعرون كما في الحراكات، أنّ الأطر القائمة من فصائل وسوى ذلك، تترك فراغاً ثقافياً وسياسياً يجب ملؤه، فإنهم يريدون خلق بنية تحتية وحالة حيوية (كما تدل الأسماء) وصولاً إلى تلمس طريقة التغيير، وهذا تعكسه نشاطات مجموعة نبض، التي تتضمن محاضرات في موضوعات مثل «علاقة الحزب السياسي بالحركة الاجتماعية»، «الاقتصاد المنزلي المستدام: توطئة نظرية وعملية»، و«نظام التعليم الفلسطيني وإعادة إنتاج آليات السيطرة»، و«الجامعة الفلسطينية: تقنيات العصى والعصيان»، وأنواع التنظيم السياسي، والفرق بين الحراك والحركات الاجتماعية، و«جوهر الماركسية وتطبيقاتها»، و«أهمية التعاونيات»، و«المسرح الوطني الفلسطيني: النشأة والتطور؛ فرقة بلالين .. نموذجاً»، و«السياسات الاقتصادية النيوليبرالية للسلطة الفلسطينية».[1]

هذه العناوين المنتقاة تعكس التوق إلى البحث عن آليات عمل ملائمة شعبياً في إطار التحرر والاستقلال ومعارضة السلطة القائمة، مع نزعة يسارية، وتعكس، بشكل أو بآخر، عملية تأهيل للتفكير والتخطيط في قضايا وطنية واسعة وشاملة.

استعراض الصحيفة الورقية (المنشورة إلكترونياً كذلك)، يؤدي، أيضاً، إلى مزيد من الاستنتاجات، حول البنية التنظيمية والفكرية للملتقى.

تأسست صحيفة الملتقى (اتجاه)، العام 2016، وهذا بحد ذاته دلالة استمرارية للملتقى، وكذلك علامة على اتجاه للمأسسة.

تحت عنوان «من نحن؟» يُعرف القائمون على الصحيفة أنفسهم، واللافت أنّ هؤلاء الشباب لم يخرجوا كثيراً عن حرص الشباب الدائم في الحراكات الشبابية، على الانطلاق من نفي تبعيتهم لأي إطار، أو جهة، أو شخص، وبكلمات أخرى، يعرفون أنفسهم عبر نفي الانتماء (لجهة ما)، أكثر مما يوضحون أي جهة هم، ربما لأنه لا يوجد تعريف

1 تم جمع هذه العناوين من رسائل البريد الإلكتروني التي يرسلها الملتقى للجمهور للدعوة لنشاطاتهم، والتي تسلمها الباحث كواحد من المدرجة عناوينهم على اللائحة البريدية.

واضح لديهم حقاً. وبالتالي، جاء في التعريف، «اتجاه لا يتبع أحداً، ولا، لا نحاول أن نقول إنّنا نقف على الحياد، فالحياد أسطورة ساذجة وانهزاميّة، ولكنّنا نقف ضد التبعيّة ونسير طواعية، نحو إعلامٍ تحرري تقدّميّ مستقلّ يناقش السياسة والاقتصاد والمعتقدات والمجتمع، ويُعنى بفلسطين بشكلٍ خاصّ، دون عزلها عن موقعها في العالم والتاريخ وسياقها التحرّري من الاستعمار كيفما وأينما كان». في الواقع، قبل تقديم هذا التعريف، تأتي فقرة أخرى، استباقية، تقول «بما أنّكما وصلتما إلى هذه الصفحة عزيزيّ المتصفّح والمتصفّحة، فأنتما ربّما تتوقّعان قراءة نصّ طويل لتستشّفا وتستنتجا وتمحّصا وتفحصا إجابة عن سؤال «لمن يتبع اتجاه، وإلى أين يتّجه؟». ويضيف القائمون على الموقع/الصحيفة «نأسف لإعلامكما بأنّكما لن تشعرا بالارتياح بعد السطر الأوّل قائلَيْن: «آه، هذول من جماعة فلان يا زلمة/امرأة».

وتوضح الصحيفة «اتجاه هو جزء من مسؤوليّات اللجنة الإعلاميّة في ملتقى نبض الشبابيّ»، ثم يجري التأكيد مجدداً أن نبض لا تتبع أحداً.

في الواقع، إن شكل الموقع الإلكتروني ذاته «اتجاه» يستحق التأمل، فقد جاء أقرب إلى صورة وإخراج صحيفة ورقية قديمة، من حيث وجود «ترويسة» تتضمن اسم الصحيفة وتحتها شعار (لا تشترى ولا تباع)، وصندوقين إلى يسار ويمين اسم الصحيفة، وحتى الخط المستخدم، يوحي بالقدم على غرار الصحف القديمة. وهو ما يعكس ربما حنيناً للأنماط القديمة من العمل.

تتشابه طريقة كتابة عنوان الجريدة الورقية، مع الشعار الشهير للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، الذي ينتهي بسهم متجهة نحو اليسار. ولعل هذه الطريقة من شأنها تعزيز صورة قرب الملتقى من الجبهة، على الرغم من النفي الضمني لذلك في افتتاحية العدد التجريبي. كذلك يكتب في المجلة كتابٌ من المعروفين تاريخياً بالانتماء للجبهة، وليسوا في جيل الشباب.[1]

افتتاحية العدد التجريبي، تنوه إلى حال الفراغ الإعلامي «ليس ثمة وسيلة إعلامية نقدية تحليلية في الوطن، وهذا يستدعي وجوباً التحرك لملء بعض الفراغ».[2] ثم يعود كاتبو

1 على سبيل المثال، أحمد قطامش، ووسام رفيدي.

2 اتجاه، العدد التجريبي، آب (أغسطس) 2016.

الافتتاحية إلى منهجية التعريف عبر النفي، بالقول «اتجاه ليست صحيفة أيديولوجية أو بلون سياسي أحادي. فهي مرنة وتسعى إلى أن تكون مساحة للحوار والتعددية». ولكن المفردات ذات النزعة اليسارية تعود إلى البروز بالقول عن الصحيفة «أما انحيازها، فهو للخندق المناهض للهيمنة والعنصرية والتفريط بالحقوق الوطنية والقوى الظلامية التكفيرية ومختلف أشكال الاستلاب». وتصبح هذه النزعة اليسارية أوضح بالإشارة إلى أنه «لا شيء يجفف الروح أكثر من اختزال الإنسان واختزال مطالبه، الأمر الذي تتفنن فيه نظريات «الشمال»؛ سواء في عهد الكولونيالية أو التبعية أو العولمة المتوحشة، فهي تتناسل من الليبرالية الجديدة، وصولاً إلى تسويغ نهب «الجنوب»، وتذويت الاستشراق، بعضها بعضاً والسيادة. وكأن «الجنوب» بلا إرادة أو كرامة أو قدرة أو تطلع للحرية» وهذه المفردات جميعها تقريبا جزء من خطاب الماركسية الجديدة ونظريات التبعية.

في الصفحة الأخيرة من العدد التجريبي لاتجاه، تعريف بملتقى نبض، وهو يلتقي بتعريف الصحيفة، وجاء أن هدف الملتقى «خلق قوة شبابية فاعلة ومؤثرة تشكل قوة ضغط وتغيير في الحياة الاجتماعية»، ويشير التعريف إلى إيمان الشباب والشابات «بقيم الحرية والعدالة والاستقلال في المجتمع الفلسطيني». واللافت في هذا التعريف عدم ذكر الاحتلال الإسرائيلي بنص مباشر وواضح، على الرغم من أن موضوعات المجلة تتركز بشكل أساسي على رفض الاحتلال والتطبيع، ولكن يتم وضع نشاط المجموعات ضمن «مناهضة العولمة، والليبرالية الجديدة والعنصرية والنظام الأبوي».

وقد بات التوجه أن يكون للملتقى ثلاثة مستويات من العمل؛ نبض المدارس، ونبض الجامعات، ونبض الشباب، مع لجان مختلفة، إعلامية، ومسرحية، وعمل تطوعي، . ولكل لجنة منسق، ولكل مستوى سكرتاريا لها منسق، ويعقد هؤلاء اجتماعات لمناقشة القضايا المختلفة. ولكن كما توضح مرعي، حتى شهر أيلول (سبتمبر) 2018 على الأقل، ما زالت هذه البنية غير متكاملة، فمثلاً سكرتاريا المدارس ما زالت غير منفصلة، وما زالت عملية التعارف والعمل على التناغم والتفاهم جارية، وأن النشطاء الأساسيين، في كل مجال أو مستوى، عادة ما يختارون منسقهم.[1]

1 جنين مرعي، مقابلة.

يستمر الملتقى في نشاطاته السالفة، مستخدماً أدوات عديدة تتضمن، المحاضرات، والندوات، والفرق المسرحية، وعرض الأفلام، والمخيمات الصيفية، والمساقات الأكاديمية (دورات)، وإذاعة تبث عبر الإنترنت، وزيارة عائلات الأسرى، والمصابين، مع الاهتمام بالأطفال، بما في ذلك جمع تبرعات أحياناً للمحتاجين منهم من المصابين والمعتقلين من قبل الاحتلال. وكذلك تشكيل لجان في مناطق مختلفة، سواء على مستوى المدارس أو الجامعات أو الشباب عموماً.[1] ويتبع وجود هذه العضوية، قدر من المركزية في الموقف السياسي، وهو ما يلاحظ أن جريدة اتجاه تقوم به، ببلورة مواقف تكتب في الافتتاحيات، أو ضمن موضوع خاص موقّع باسم «هيئة التحرير»، من مثل ما جاء في عدد تموز (يوليو) 2018 بشأن موقف السلطة الفلسطينية من العمل النقابي.

مما مضى يمكن الإشارة إلى أن مجموعة نبض، ومجموعات شبيهة أقل نشاطاً،[2] باعتبارها نمطاً من العمل في مرتبة وسطى بين الحركة التقليدية والحراك الشبابي الذي ظهر العام 2011 تقريباً. وفيما يلي مجموعة من السمات العامة لهذه المجموعات الشبابية، التي توضح جوانب الاختلاف والتشابه، مع الحركات والحراكات:

- السعي إلى نفي الارتباط الأيديولوجي أو التنظيمي بقوى قائمة تقليدية، وفي هذا اشتراك مع الحراكات في البعد المُعلن عن التنظيمات التقليدية، ولكن لا يوجد موقف سلبي من الأطر القائمة، وهناك انفتاح على القوى القائمة.

- العمل على البنية التحتية المعرفية والثقافية بعيدة المدى التي تمهد لتبلور تنظيمي لاحقاً، مع موقف سياسي ومنطلقات محددة سلفاً، بعيداً عن هلامية منطلقات الحراكات، مع اقتراب من البنى الحزبية والتنظيمية التقليدية.

1 **الاتجاه**، العدد الثاني، أيلول (سبتمبر) 2016، ومقابلة جنين مرعي.

2 نشط في المرحلة الزمنية ذاتها تقريباً في الضفة الغربية ما يعرف باسم دائرة سليمان الحلبي للدراسات الاستعمارية والتحرر المعرفي، وتنشط في مجال التوعية، وتعرف نفسها في منافذها على الإنترنت أنها «مجموعة تطوّعيّة مستقلّة للبحث والتعليم المجتمعي، تأسست في القدس في العام 2011، وتسمّت باسم الشهيد سليمان الحلبي الذي قام باغتيال الجنرال «كليبر» قائد الحملة الفرنسية على مصر في العام 1800م، حيث ترى الدائرة في سيرة الحلبي الممتدّة ما بين حلب وغزة والقاهرة والقدس تعبيراً عن وحدة مصائر الشعوب، ومقاومة الاستعمار الأوروبي، ورأس حربته المشروع الصهيوني في فلسطين. تتمحور نشاطات الدائرة حول دراسة الاستعمار ومنظوماته، والثقافة الوطنية والمقاومة، والتعليم المجتمعي عبر مشروع «الجامعة الشعبية-فلسطين». تتحدد رؤية وموقف الدائرة بالاستناد إلى «مركزية القضية الفلسطينية». ولكن بطبيعة الحال، هذه مجموعة عامة لا تنطبق عليها صفة الشبابية، التي يعتمدها هذا الكتاب لاختيار موضوع دراسته.

- وجـود شـبكة مـن الأعضـاء والفـروع واللجـان التـي لا تصـل مرتبـة التنظيـم السـياسي، ولكنهـا أكـثر تبلـوراً ووضوحـاً مـن فكـرة الحـراك والعضويـة الهلاميـة فيـه، فهـي في هـذا في مرتبـة وسـط بـين الحـزب والحركـة مـن جهـة، والحـراك مـن جهـة أخـرى.

- وجـود موقـف سـياسي شـبه مركـزي مـن قبـل المنسـقين الأساسـيين، والمسـؤولين عـن المنابـر الإعلاميـة.

- المزاوجـة بـين الفضاءيـن الإلكـتروني والواقعـي في النشـاط، فيجـري جمـع الموقـع الإلكتروني مـع العـروض المسرحيـة التقليديـة، وهـو مـا ينسـحب عـلى مجـالات مختلفـة مـن العمـل.

مثـل هـذه المجموعـات بقيـت، حتـى وقـت إعـداد هـذا البحـث، عـلى الأقـل، في إطـار العمـل عـلى تشـكيل الفكـر، أو بكلـمات أدق تهيئـة الظـروف لمـلء الفـراغ بتوفـير أفنيـة للحـوار والنقـاش والتعليـم والنشـاط التطوعـي والفنـي، ولكـن بعيـداً عـن العمـل السـياسي المبـاشر، وهـذا مـا يتضـح في لحظـات المواجهـة مـع الاحتـلال، والتصعيـد السـياسي، فتتسـم الأمـور حينهـا بالمبـادرات الفرديـة وغـير المنسـقة، أو المنسـقة بشـكل محـدد يرتبـط بنشـاط بعينـه، كـما حـدث في مسـيرة 48 ألفـاً سـالفة الذكـر، أو كـما حـدث في هبـة 2016/2015.

هبة 2016/2015

في تشريـن الأول (أكتوبـر) 2015، بـدأت موجـة احتجاجـات في أنحـاء الضفـة الغربيـة والقـدس، وغلـب عليهـا المسـاهمة الشـبابية، وأخـذت تحديـداً شـكلين أساسـيين، الأول طعـن بالسـكاكين والدهـس ضـد الجنـود والمسـتوطنين (دون غـض النظـر عـن حـالات متكـررة ادّعـى فيهـا الإسرائيليـون أنّ شـباناً وشـابات كانـوا ينـوون القيـام بالطعـن لتبريـر قتلهـم دون سـبب)، والثـاني تظاهـرات في نقـاط التـماس والحواجـز الاحتلاليـة.

لم تـأتِ الفعاليـات والعمليـات التـي ظهـرت حينهـا باعتبارهـا حـراكاً شـبابياً، بالمعنـى التقليدي، لكـن مسـاهمة الشـباب فيهـا، كانـت أيضـاً مكثّفـة نسـبيّاً، ودون قيـادة أو إسـناد، مـن قيـادات سياسـية أو فصائل.

هناك ثلاث قضايا تستحق التوقف في هذه الهبة،[1] من زاوية الحراك الشبابي. أولاها، أنّ جيلاً جديداً قد ظهر فجأة تقريباً دون اتصال يذكر مع الحراكات الشبابية السابقة. ثانيتهما، أنّه بعد سنوات (نحو خمس سنوات)، من التركيز على السياسة الداخلية الفلسطينية، من قبل الحراكات الشبابية، (حتى وإن كانت القضايا المطروحة تتعلق بالصراع مع الاحتلال وعلاقة السلطة بالاحتلال)، عاد زمام المبادرة الشعبية إلى المواجهة المباشرة والواسعة نسبياً، مع الاحتلال، مع بعض النشاطات التضامنية والمساندة، كجمع التبرعات لإعادة بناء بيوت عائلات الشهداء التي هدمها الاحتلال.[2] والقضية الثالثة، أنّ هذه الهبة أخذت شكل الحراك، أيضاً، دون التطور لرؤية شاملة لكيفية خوض الصراع، أو تحقيق الأهداف الوطنية.

في ندوة جرت في جامعة بيرزيت، أثناء الهبة، وبمشاركة شباب وطلاب قريبين من الهبة، وأخذت شكل الحوار المفتوح حول بعض الأسئلة،[3] اتضح بعض التشابه مع نمط الحراكات الشبابية السابقة. ومن ذلك، مثلاً، أنّه عند سؤال الشباب والشابات، هل هناك إستراتيجية واضحة لتطوير الهبة؟ كانت الإجابة أنّه لا يوجد، وأنّ الشبان تحركوا لأنّ واقع الاحتلال لا يمكن السكوت عليه، وبخاصة مع تعطل العملية السياسية، وأنّه لا يمكن الانتظار لتطوير إستراتيجية، وأنّ المؤمل أن تطور التجربة الميدانية هذه الإستراتيجية. وبالتالي، لم يكن هناك في هذه الهبة تخطيط، أو تقسيم عمل، أو برنامج سياسي محدد، وهي كما الحراكات الأخرى إعلان رفض الواقع أكثر من تحديد هدف محدد مطلوب. وكان وجه التشابه الثاني، هو غياب الفصائل، على الرغم من إقرار الطلاب المجتمعين أن غالبيتهم ينتمون إلى فصائل بعينها أو قريبون منها. واتضح عنصر ثالث في إجابات الشباب هو شعورهم بالتهميش وعدم الاكتراث بهم من قبل المنظومة السياسية القائمة.

في الواقع كان تحرك الشباب[4] نوعاً من الاحتجاج الغاضب على أربع قوى أساسية (إضافة

1 ظلت تسمية ما حدث في العام 2016/2015 موضع جدل بين من أراد تسميتها انتفاضة أو هبة أو سوى ذلك، فافتقاد الفعاليات وعمليات المقاومة والاحتجاج لإطار تنظيمي، وعدم وجود شمولية شعبية في الاحتجاج، جعل مختلف التسميات تبدو غير دقيقة، ولكنها شكلت «موجة» مرتفعة من المقاومة، ويعتمد هذا البحث وصف هبة مع الإقرار بغموض المصطلح، في هذه الحالة.

2 انظر، مثلاً، تقرير **وكالة أنباء معاً**، بعنوان إطلاق حملة إعادة بناء منزل الشهيد الحلبي، 10 كانون الثاني (يناير) 2016.

3 شارك الباحث في هذه الندوة وهو الذي حدد الأسئلة التي جرى النقاش حولها.

4 هناك حاجة إلى تحليل نوع الشباب أو من هم الذين شاركوا في تلك «الهبة»، فباستعراض سريع للشهداء والأسرى في تلك

إلى الاحتلال – الهدف الأساسي)، أولاها، هي السلطة الفلسطينية؛ ربما ليس بشخوصها وفصائلها، ولكن بتركيبتها ووظيفتها، بكونها مؤسسة بيروقراطية توظف الكوادر الشبابية والسياسية، وتقدم لهم فرص عمل، ولكن ضمن ضوابط أمنية وسياسية، ناجمة عن الاتفاقات السياسية. وما حدث في تلك الهبة هو رسالة بأنّ ميكانيزمات «السلطة» ومؤسساتها لم تعد تحرك وتضبط حركة الشارع وتسيطر عليه، ولم تعد تجسد مشروع دولة أو استقلالاً مُرضين للشارع وطنياً، ولم تعد هناك قناعة بأدوات ووسائل عملها، ولا تشكل عامل جذب شخصي للشبان الجدد. وأوضحت الهبة تَعمُّق أزمة منظمة التحرير الفلسطينية، وحقيقة أنّها تعاني من عدم التجدد وضم الأجيال الجديدة، ومن الغياب شبه التام في حياة الشباب.

القوة الثانية التي تعارضت حركة شباب الهبة معها، هي بُنى ما بعد «أوسلو» الاقتصادية والاجتماعية؛ خارج بيروقراطية السلطة، من مشاريع اقتصادية وشركات، وحتى، أو ربما بالأخص المنظمات غير الحكومية (NGOs)، فهذه التي يفترض، بحسب تفكير وتخطيط المانحين والمستثمرين، أن ترسم معالم المستقبل وتحدده، فقدت تدريجياً دورها.

القوة الثالثة، هي الحراكات الشبابية، ذاتها، التي برزت للواجهة نحو العام 2011، لكنها سرعان ما وقعت في أمراض الفصائل ذاتها؛ من انقسام وخلافات وتشوش، وعدم قدرة على تطوير برامج، وشخصانية، وتنافس. وبحسب مشاركين قياديين في تلك الحراكات، فقد كانوا قد أعلنوا حينها، أنها انتهت الآن ولم تعد موجودة بشكل منظم وحقيقي، وبدلا منها تبرز من حين إلى آخر نشاطات شبابية، أي مجموعات تقوم بنشاط لمرة واحدة، أو تتفاعل مع أحداث معينة، من دون طموح بأن تتحول إلى قوة سياسية حقيقية وفعلية.

أما القوة الرابعة، فهي لجان المقاومة الشعبية، وبخاصة التي عملت في الريف الفلسطيني، لمناهضة الجدار والاستيطان. وهذه اللجان أسهمت كثيراً في سد فراغ معين

الهبة، يتضح أنهم خليط من الشباب الجامعي أو المثقف، (مثل مهند الحلبي، أول من نفذ عمليات طعن في تلك الهبة، أو بهاء عليان الذي كان ينشط في تشجيع القراءة في القدس)، أو حتى طلاب مدارس-أطفال مثل هديل ونورهان عواد من مخيم قلنديا (القدس)، وأشرقت قطناني (نابلس)، وأحمد مناصرة (القدس)، وشباب عاطل عن العمل أو يعمل أعمالاً بسيطة مثل بائع الفراولة المتجول سليمان شاهين (البيرة). ولكن، بشكل عام، يمكن القول إنّ الشباب الجامعي لعب دوراً مميزاً في هذه الهبة، ولعل دراسة مفصلة لشهداء تلك الهبة، يمكن أن تكشف بعض التفاصيل المهمة حول الواقع الشبابي.

في العمل الوطني، وقامت بإنجازات مهمة، وتحملت عبئاً مهماً في المرحلة السابقة. لكنها عانت من عدم الاحتضان الشعبي لها، ومن عدم تمكنها من تحريك الجمهور خلفها. ولعلها نجحت في مد خيوط دولية وعالمية، أكثر مما نجحت في مد خيوط وطنية، تجعل لها قيادةً موحدةً، أو على الأقل، إطاراً تنسيقياً، وبالتالي دون إستراتيجيات عمل متكاملة، ذات أهداف واضحة ومحددة. وتعرضت هذه اللجان لمحاولات وعمليات احتواء من الفصائل والسلطة الفلسطينية. وبدا، مؤخراً، أنها فقدت كثيراً من زخمها، على الرغم من الاحترام الشعبي لها، ولكنه احترام سلبي لم يصل إلى درجة التفاعل الإيجابي، والانخراط معها.

بوجود جيل جديد، وهبات ومقاومة من الشكل القديم الذي يقوم على المواجهة والانتفاض، بدا أن هذه القوى والمجموعات الأربع بدت مدعوة إلى مراجعة حساباتها وطريقة عملها، ولكنها عملياً لم تتفاعل مع الحدث، كما أنّ الشباب لم يطوروا إطار عمل مستمر، وعملت الأجهزة الأمنية الفلسطينية على احتواء الحراك الجديد، وعلى سبيل المثال منعت الأجهزة الأمنية التظاهر في أماكن معينة ونقاط تماس محددة، مثل منطقة البالوع في البيرة، وتحديداً قرب مستوطنة بيت إيل مقر القيادة العسكرية الإسرائيلية، وحاجز الـ (DCO)، الشهير، فقام رجال أمن فلسطينيون يرتدون ملابس رياضية مدنية، في نهاية العام 2015، مثلاً بمنع التظاهر هناك بالقوة، دون توضيح رسمي لسبب منع التظاهر.[1]

الانتخابات الطلابية

يوجد في الضفة الغربية **33** مؤسسة تعليم عالٍ موزعة كالتالي: 9 جامعات تقليدية (اثنتان حكوميتان، وست عامة، وواحدة خاصة) و12 كلية جامعية (أربع حكومية، وخمس خاصة، واثنتان عامتان، وواحدة تحت إشراف وكالة غوث وتشغيل اللاجئين)، و12 كلية مجتمع متوسطة (واحدة حكومية، وست عامة، وأربع خاصة، وواحدة تحت إشراف وكالة غوث وتشغيل اللاجئين).[2]

1 منع المتظاهرين من الوصول إلى مدخل البيرة الشمالي، **وكالة معاً**، 25 كانون الأول (ديسمبر) 2015: https://bit.ly/2yG198g

2 موقع وزارة التربية والتعليم العالي، حقائق وأرقام 2017/2016: https://bit.ly/2Hrp3WC

تجري الانتخابات الطلابية في أغلب الجامعات في الضفة الغربية (بعكس قطاع غزة كما سيلي لاحقاً)، وأبرزها: جامعة بيرزيت، جامعة النجاح، الجامعة العربية الأميركية، جامعة القدس المفتوحة، جامعة الخليل، جامعة بيت لحم، جامعة فلسطين التقنية خضوري، جامعة الاستقلال، جامعة البوليتكنك فلسطين.

وتجري الانتخابات، بشكل منتظم، في جامعة بيرزيت، وتتنافس الكتل الطلابية المختلفة على مقاعد المجلس، وغالباً ما تكون نتائج التصويت لكتلتين؛ الأولى تابعة لحركة «فتح»، والثانية لحركة «حماس»، متقاربة، مع وجود كتلة يسارية ثالثة قريبة من الجبهة الشعبية، ولكنها لا تحظى بالثقل التصويتي ذاته. ففي الانتخابات العام 2019/2018، على سبيل المثال، فازت كتلة الوفاء الإسلامية «الذراع الطلابية لحركة حماس» في انتخابات مؤتمر مجلس طلبة بيرزيت بـ 24 مقعداً بمجموع 3784 صوتاً، متقدمة على كتلة الشهيد ياسر عرفات «الذراع الطلابية لحركة فتح» التي حصلت على 23 مقعداً بمجموع 3615 صوتاً. وجاء القطب الطلابي الديمقراطي التقدمي «الذراع الطلابية للجبهة الشعبية» في المرتبة الثالثة حاصلاً على 4 مقاعد، بمجموع 705 أصوات، فيما لم تحصل كتلة الوحدة الطلابية الذراع الطلابية للجبهة الديمقراطية على أي مقاعد.[1]

كذلك فازت كتلة الوفاء الإسلامية في انتخابات مؤتمر مجلس طلبة جامعة بيرزيت للعام 2017/2016 بـ 25 مقعداً، فيما حصلت كتلة الشهيد ياسر عرفات على 21 مقعداً بمجموع 3035 صوتاً. وجاء القطب الطلابي الديمقراطي التقدمي «الذراع الطلابية للجبهة الشعبية» في المرتبة الثالثة حاصلاً على 5 مقاعد بمجموع 668 صوتاً.

بالعودة إلى نتائج الانتخابات منذ العام 1995 وحتى العام 2018، يظهر تفوق الكتلة الإسلامية، على كتلة «فتح»، حيث فازت الوفاء 8 مرات في أعوام

(1996، 1998، 1999، 2000، 2004، 2006، 2007، 2015)، مقابل 7 مرات للشبيبة في أعوام (1997، 2005، 2008، 2009، 2012، 2013، 2014) مع استثناء سنوات الانتفاضة 2001-2003 [2] التي لم تعقد فيها الانتخابات، والعامين 2010 و2011 اللذين قاطعت فيهما الكتلة الإسلامية

1 موقع جامعة بيرزيت، 9/5/2018: https://bit.ly/2xPWSRu

2 «نتائج انتخابات جامعة بيرزيت خلال 20 عاماً الماضية ... من فاز أكثر الكتلة أم الشبيبة؟»، **الحدث**، 24/4/2016: https://bit.ly/2Hrhyiq

الانتخابات. وعادة تكون نسب التصويت عالية، بنحو 75 بالمئة من أصحاب حق الاقتراع.[1]

الواقع في جامعات أخرى مختلف، فمثلاً لا تجري الانتخابات في جامعة النجاح، بشكل غير منتظم، فمثلا انقطعت الانتخابات بين العامين 2006 و2013، وبين 2013 و2017. ويوضح الجدول التالي نتائج الانتخابات في «النجاح».[2]

*تحالف حماس والجهاد الإسلامي.

السنة	المقاعد	
	فتح	حماس
1996	36	39
*1998	35	*42
*1999	34	*42
*2000	35	*42
*2001	28	*48
2004	38	36
2005	34	40
2006	38	38
2013	43	33
2017	41	34

وتعتبر نسب التصويت متدنية في النجاح (أكبر جامعات الضفة الغربية من حيث عدد الطلاب)، مقارنة بجامعات أخرى، وصلت نسبة مشاركة الطلاب العام 2017 إلى نحو 50 %.[3]

في جامعة الخليل، تجري الانتخابات مع بعض الانقطاع، فمثلاً في العام 2015/2014، شارك 66.7 بالمئة من الطلبة في الانتخابات، وفازت كتلة الشهيد ياسر عرفات بـ 21 مقعداً، والكتلة الإسلامية بـ 19 مقعداً، وكتلة الخليل اليسارية بمقعد واحد. وفي انتخابات

1 **موقع جامعة بيرزيت**، 9/5/2018: https://bit.ly/2xPWSRu

2 صلاح عقل، «نتائج انتخابات مجلس طلبة جامعة النجاح: من الانخراط في التنظيمات السياسية إلى انعدام الثقة بها»، **وكالة وطن**، 29/4/2017: https://bit.ly/2M4O8Kl

3 نسبة التصويت لطلبة النجاح بلغت 50 %، **موقع النجاح الإخباري**، 18 نيسان (أبريل) 2017.

2014/2013، فـارت كتلـة الشـهيد يـاسر عرفـات بــ 23 مقعـداً، والكتلـة الإسـلامية بــ 17 مقعـداً، وكتلـة الخليـل اليسـارية بمقعـد واحـد، بينـما لم تحصـل كتلـة فلسـطين للجميـع عـلى مقاعـد، وبلغـت نسـبة المشـاركة فيهـا 69 %.[1] وبخصـوص الانتخابـات السـابقة التـي جـرت في 2012/2011، فقـد فـازت كتلـة الشـهيد يـاسر عرفـات بــ 30 مقعـداً، وكتلـة التغـير الطـلابي الـذراع الطلابيـة للمبـادرة بــ 6 مقاعـد، وفـازت كتـل صغـيرة، يبـدو أنهـا أخـذت فرصـة مـن غيـاب الكتلـة الإسـلامية، مثـل كتلـة «التجمـع الطـلابي لإنهـاء الانقسـام»، (الجبهتـان الشـعبية والديمقراطيـة) بمقعديـن، وكتلـة نضـال الطلبـة (جبهـة النضـال الشـعبي) بمقعديـن، وكتلـة الطليعـة الطلابيـة (حـزب الشـعب) بمقعـد واحـد، وبلغـت نسـبة المشـاركة فيهـا 46 %.[2]

أمـا في انتخابـات مجلـس الطلبـة في الجامعـة الأميركيـة في جنـين، العـام 2018، فحصلـت كتلـة الشـهيد يـاسر عرفـات عـلى 24 مقعـداً، وكتلـة تجمـع المبـادرة الطلابيـة عـلى 6 مقاعـد، وكتلـة الشـهيد أحمـد الكيـلاني وهـي تحالـف بـين كتلتـي الوحـدة الطلابيـة والاسـتقلال عـلى 3 مقاعـد. وبلـغ عـدد الطلبـة المقترعـين 4618 طالبـاً؛ أي مـا نسـبته 45.9 % مـن عـدد الطلبـة الذيـن يحـق لهـم الاقـتراع.[3] والملاحـظ عـدم دخـول حركـة «حـماس» الانتخابـات في عـدد مـن الجامعـات، فيـما يعتقـد أنّ هـذا ناتـج لحسـابات الفـوز والخسـارة في هـذه الجامعـات، أو للتخـوف مـن الملاحقـات الأمنيـة، ومـا تسـميه الحركـة القمـع والإقصـاء والاعتقـال والتعذيـب.[4] وتقاطـع الحركـة الانتخابـات أحيانـاً، كـما جـرى في جامعـة القـدس العـام 2018، التـي فـازت بهـا كتلـة الشـهيد يـاسر عرفـات،[5] مـع نسـبة مشـاركة نحـو 37 %.[6]

كذلك لا تشترك «حماس» في انتخابات جامعة بيت لحم، حيث تفوز كتلة حركة «فتح» عادة، بنحو ثلثي مقاعد المجلس الـ31 (20) مقعداً، بينما تحصل الكتل اليسارية على الثلث.[7]

1 موقع جامعة الخليل، 2018/9/3: https://bit.ly/2wMSyPp

2 موقع جامعة الخليل، 2018/5/9: https://bit.ly/2LrIGA2

3 موقع الجامعة العربية الأميركية، 13/5/2018: https://bit.ly/2sEFgms

4 انظـر عـلى سـبيل المثـال تبريـر مقاطعـة جامعـة النجـاح، بعـد سـت سـنوات مـن المقاطعـة .. «حـماس» تقـرر خـوض انتخابـات جامعـة النجـاح، موقـع فلسـطين اليـوم، 20/4/2013: http://bit.ly/2xzAJo2

5 موقع جامعة القدس، 29/4/2018: https://bit.ly/2Jg4IsW

6 الصفحة الرسمية لشبكة القدس الإخبارية على فيسبوك: https://bit.ly/2JFVzcq

7 موقع جامعة بيت لحم، 9/5/2018: https://bit.ly/2JqIIaK

هنـاك ملاحظـات يمكـن اسـتنتاجها مـما سـبق، أهمهـا أن إدارات الجامعـات تلعـب دوراً في مـدى إتاحتهـا العمليـة الانتخابيـة، وأن الحركـة الطلابيـة لا تبـدي، في كثـير من المواقع، تشـبثاً في العمليـة الديمقراطيـة، ولكـن هـذا لا يلغـي أهميـة العمليـة الانتخابيـة التـي تجـري. وتتفـاوت طبيعـة العلاقـات الطلابيـة في داخـل الجامعـات، فمثـلاً في بيرزيـت، هنـاك توافـق عـلى أن تمثـل كل الكتـل الفائـزة في إدارة مجلـس الطلبـة، حتـى لـو تمكنـت كتلـة منفـردة أو بالتحالـف مـع كتلـة أخـرى تشـكيل المجلـس، وهـو مـا يعـد نوعـاً مـن التعـاون الطـلابي المتقـدم.

الملاحـظ، أيضـاً، أن التسـييس في عمـل مجالـس الطلبـة محـدود نسـبياً لصالـح الخدمـات الطلابيـة والعمـل النقـابي، وبخاصـة رفـض رفـع الأقسـاط الطلابيـة، فتتكـرر الإضرابـات في جامعـات مثـل بيرزيـت، والقـدس، والأميركيـة، لأسـباب لهـا علاقـة بالأقسـاط. وعـلى الرغـم مـن ذلـك، فـإن هـذه الجامعـات تشـهد حـالات صـدام متكـرر مـع الاحتـلال، وهنـا يجـدر الالتفـات، مثـلاً، إلى أهميـة موقـع الجامعـة في مسـألة الاصطـدام مـع الاحتـلال، فمثـلاً يـؤدي قـرب جامعـة القـدس في قريـة أبـو ديـس مـن جـدار الفصـل ومـن القـدس، إلى صدامـات دائمة مـع جنـود الاحتـلال، ولا تغيـب أنبـاء الصدامـات وإلقـاء قنابـل الغـاز والرصـاص مـن قبـل الجنـود عـن أي فصـل مـن فصـول الدراسـة الجامعيـة، ويخـرج مـن الجامعـة (ربمـا بسـبب مثـل هـذه الأجـواء) عـدد أكـبر نسـبياً مـن الشـهداء والمشـاركين في المواجهـات مـع الاحتـلال في مواقـع سـكنهم. فعـلى سـبيل المثـال لا الحـصر، لا توجـد بيانـات أو إحصـاءات عـن أعـداد الشـهداء أو الأسرى والمعتقلـين مـن الجامعـات، ولكـن في جامعـة القـدس، عـلى سـبيل المثـال، في العـام 2015، استشـهد الطالـب ضيـاء تلاحمـة مـن الجامعـة، في 21 أيلـول (سـبتمبر) 2015 الـذي كان ناشـطاً في العمـل الوطنـي في الجامعـة، وجـاء استشـهاده في منطقتـه في محافظـة الخليـل، جنـوب الضفـة الغربيـة، فقـام زميلـه في الجامعـة مهنـد حلبـي (مـن قريـة سردا في محافظـة رام اللـه والبـيرة شـمال وسـط الضفـة) بعمليـة طعـن إسرائيليـين في القـدس، يـوم 3 تشريـن الأول (أكتوبـر)، فيـما يبـدو أنـه رد عـلى العمليـة، قَتَـل فيهـا إسرائيليـين واستشـهد الحلبـي، واندلعـت عـلى إثرهـا انتفاضـة شـبابية، كان مـن شـهدائها طالـب الإعـلام في الجامعـة، مـن مخيـم قلنديـا، إيـاد سـجدية، واستشـهد في المخيـم أثنـاء صدامـات مـع قـوات الاحتـلال التـي جـاءت لاقتحـام المخيـم.

ولكـن حتـى الجامعـات غـير الملاصقـة لنقـاط التـماس والحواجـز، فـإن طلبتهـا، مـن جهـة،

يذهبون إلى نقاط التماس للتظاهر والاحتجاج، كدأب طلبة بيرزيت الذهاب إلى حاجزي عطارة وبيت إيل للاحتجاج، أو إلى محيط سجن عوفر. وتقوم قوات الاحتلال بعمليات اقتحام متكررة للجامعات، من مثل الاقتحام مرات عدة لجامعة خضوري في طولكرم، خلال العامين 2015 و2016، واقتحام بيرزيت مراراً ليلاً، ومنها دخول وحدة مستعربين (جنود متخفين بملابس مدنية) واعتقال رئيس مجلس الطلبة، عمر الكسواني، في آذار (مارس) 2018.

يتضح من واقع جامعات الضفة الغربية أن الفصائل ما زالت هي القوة المنظمة الأساسية بين الطلاب في الجامعات، وهذا ما تعكسه الانتخابات، ولكن، أيضاً، جزءاً كبيراً من الجهد الوطني يجري بقرارات فردية وشخصية للطلبة بمعزل عن الفصائل، وهو ما أوضحه، أيضاً، طلبة في معرض حديثهم عن هبة 2016/2015 كما ورد سابقاً. ويرتبط بهذا، أيضاً، أن انتقال ثقل الفصائل الفلسطينية، وبخاصة فصائل منظمة التحرير الفلسطينية، إلى داخل فلسطين، ونشوء الأجهزة الأمنية الفلسطينية التي باتت تلعب دوراً كبيراً في إدارة وتوجيه نشاط حركة «فتح» الشعبي، أدى إلى تقليص دور الجامعات في إنشاء قادة جدد، بين الشباب، يقومون هم بالمبادرة والقيادة، فبعد نشوء السلطة الفلسطينية، وانتقال الفصائل إلى الداخل، أصبح شائعاً أن تأتي تعليمات للطلبة من فصائلهم والأجهزة الأمنية.

إلى ذلك، يتضح، أيضاً، استعصاء توحيد الحركة الطلابية في إطار موحد، وبخاصة مع استعصاء إحياء الاتحاد العام لطلبة فلسطين، إذ يشير منسق حركة «الشبيبة»/فتح، حسن فرج أنّ هناك 10 فروع عاملة حول العالم من أصل 49 كانت سابقاً، (عدا وحدات ومجموعات تابعة للفروع). ويشير إلى العديد من الاجتماعات مع رؤساء مجالس الطلبة لتفعيل الاتحاد العام لطلبة فلسطين (بين العامين 2016 و2018)، وتم التواصل مع الاتحادات الشعبية في حركة فتح ومنظمة التحرير من أجل عقد المؤتمر العام الحادي عشر. ويقول فرج إنّ هناك موافقة ودعماً من الرئيس الفلسطيني محمود عباس لأجل ذلك، «لكن المعيق هو النظام الداخلي للاتحاد الذي يركز على فروع الخارج، لذلك لا بد من العمل على توحيد العمل الطلابي ما بين جامعات الداخل والخارج»، ويقول «هناك قرار في حركة فتح لتشكيل لجنة تحضيرية للاتحاد بالتواصل مع فصائل منظمة التحرير، من أجل ضمان عقد المؤتمر بأسرع ما يمكن، وتفعيل الاتحاد». ويضيف

«كان هناك تواصل ما بين الشبيبة ورؤساء مجالس الطلبة هنا في الضفة الغربية، مع بعض فروع الاتحاد العام الفاعلة، وعقدت سلسلة اجتماعات بين شبيبة فصائل منظمة التحرير في الضفة وغزة، التي دعت إلى تفعيل الاتحاد العام».[1]

2-3 القدس

أسهمت اتفاقيات أوسلو أولاً، وبناء جدار الفصل الإسرائيلي، ومنع أهالي الضفة الغربية وقطاع غزة من دخول القدس ثانياً، في أن يصبح للقدس واقع مختلف عن باقي الضفة الغربية. فمن جهة، لا توجد أجهزة أمنية أو بيروقراطية فلسطينية تعمل علانية وفعلياً في المدينة، وبالتالي فالآثار السياسية والاقتصادية والاجتماعية لعمل هذه المؤسسات مختلف في القدس عنه في باقي الأراضي المحتلة العام 1967. كذلك أصبح التواصل بين المدينة والضفة صعباً، وبخاصة من حيث دخول فلسطينيي الضفة لها. وهذا أفرز واقعاً جديداً، وحراكات شبابية مختلفة، غير منفصلة تماماً عن باقي الضفة، ولكنها ليست متطابقة أو متواصلة تماماً.

ويمكن الإشارة إلى مجموعات عدة نشأت بعد العام 2011، ولكن اللافت عدم تشابهها مع ما كان يجري في الضفة الغربية، إذ كانت تبدو أقل تسييساً، ومن أسباب ذلك، ربما، عدم وجود سلطة لإعلان معارضتها، حتى وصل الأمر، العام 2017، إلى هبة بوابات القدس التي مثلت ظاهرة مختلفة.

تعتبر مجموعة «شباب من أجل القدس» من أوائل وأبرز المجموعات الشبابية التي شكلت حالة «الحراك الشبابي الفلسطيني» في القدس، وقد ظهرت نحو 2011، وكان محور ظهورها شبيهاً بحراك 15 آذار في الضفة وغزة، هو الثورات العربية، وتحديداً عقب سقوط حكم محمد حسني مبارك في مصر، وكانت بداية تجلياتها، تغيير صورة «بروفايل» فيسبوك لعدد كبير من الأشخاص في المدينة، إلى صورة تحمل عبارة «شباب من أجل القدس».[2]

1 حسن فرج، مقابلة، (الواقع أن مسألة النظام الأساسي للاتحاد هي ذريعة تنسحب على باقي الاتحادات الشعبية والمهنية، وأن نظامها يحتاج إلى تغيير، وإلى حل التعارض مع النقابات والاتحادات الأخرى العاملة في فلسطين، وهو أمر بلا شك يمكن تجاوزه لو وجدت إرادة سياسية لذلك).

2 هنادي قواسمي، «مراجعة أولية لتجربة الحراك الشبابي الفلسطيني في القدس»، في: **الحراكات الشبابية الفلسطينية**، مصدر سبق ذكره، ص 64.

اشتركت المجموعة مع الحراكات الأخرى بأنّها تألفت من خليط من الشباب الفصائليين والمستقلين، ولكن غير الراضين في الحالتين عن بطء وضعف أداء الفصائل. ثانياً، عدم وجود نظام للعضوية، وهيكلية، ولكن يلاحظ مراقبون ومشاركون بالحراك، أنّه بينما كان يمكن لأي شخص أن يشارك في فعاليات المجموعة، فإنّ «الصفّ الأول» أو النواة المحركة، وعددها نحو عشرة أشخاص لم يكن مفتوحاً فعلياً، وأن كثيراً من الأمور تعد سلفاً بحوارات شخصية قبل أن تصل إلى وسائل التواصل الاجتماعي لأغراض الإعلان، وليس التشاور.[1]

السمة الثالثة المهمة، في عمل هذه المجموعة، أنّها اهتمت، كما حراك 15 آذار، أكثر بالشأن الداخلي، ولكن خصوصية الوضع في القدس من حيث غياب السلطة، جعل الاهتمام الطاغي بقضايا اجتماعية، فوضعت المجموعة في تعريفها لنفسها على فيسبوك: «شباب من أجل القدس: نحن مجموعة شباب من القدس لا يوجد لنا أي انتماء حزبي أو سياسي، نعاني يومياً من الممارسات الخاطئة في القدس، ونعلن رفضنا لما يلي: معاكسات البنات في الشوارع، وعلى أبواب المدارس؛ تعاطي المخدرات وانتشارها بشكل كبير في صفوف الشباب المقدسي؛ أن يكون الشباب بلا هدف أو رؤية؛ هدفنا أن تكون القدس رمزاً للثقافة والكرامة والحرية. إذا كنتم تؤيدون هذه الأفكار فكونوا من المشاركين والفاعلين في هذه المجموعة، وتذكروا أن كل بداية صعبة نهايتها وطن حر كريم».[2]

قامت المجموعة بنشاطات عدة غالبيتها ذات شكل اجتماعي ثقافي، مثل زيارة المرضى، وحملات النظافة، والوقوف أمام مدارس البنات لمنع المعاكسات. ويبدو أن هذا الطابع الاجتماعي لم يرضِ جميع المشاركين، فانبثقت من المجموعة جماعة أخرى حملت اسم «هنا القدس»، التي تبنت نشاطات ضد التطبيع، ومساندة الأسرى ذات طابع وطني عام، كما برزت مجموعات ذات طابع اجتماعي خيري، على غرار الضفة الغربية، دون أن يكون هناك تجاهل تام للشأن الوطني، مثل مجموعة «كنعانيون على الخير اجتمعنا»، أو مجموعات تعنى بالتصوير والثقافة والوعي بهوية وتاريخ المدينة، كمجموعة «صور وانت ماشي» ومجموعة «نبض القدس».[3]

1 المرجع السابق، ص 66- 67

2 المرجع السابق، ص 65.

3 المرجع السابق، ص 68- 72.

وكـما حـدث في الضفـة الغربيـة، بـات التركيـز لاحقـاً عـلى نشـاط بعينـه، بغـض النظـر عـن مـن ينظمـه ويديـره، فصـارت تعبـيرات مثـل الحـراك الشـبابي في القـدس، و«أصبحـت السـمة الأساسـية في أي فعاليـة هـو وجـود عنـصر الشـباب كمحـرك ومنظـم لهـا، دون الانتظـام تحـت اسـم مجموعـة معينـة».[1]

هـذا النشـاط الاجتماعـي الثقـافي لا يعنـي أنـه ليـس ذا شـق سـياسي، أو أنـه لـن يتطـور إلى شـق سـياسي، فدعـم العائـلات الفقـيرة، أو النظافـة، هـو دعـم للصمـود، ولكـن الأهـم هـو أنّ اجتـماع الشـباب ونشـاطهم يمهـد لدرجـة أعـلى مـن الانخـراط في الهـم العـام، ومنـه السـياسي.

كمثـال عـلى التحـول مـن الاجتماعـي والثقـافي إلى السـياسي، تـم في آذار (مـارس) 2014، بمبـادرة مجموعـة تسـمى «شـباب البلـد»، التـي تشـكلت في منطقـة جبـل المكـبر في القـدس، العـام 2012، مـن نحـو عـشرة شـباب،[2] تنظيـم أطـول سلسـلة قـراءة حـول أسـوار القـدس، سـميت بسلسـلة للقـراءة والصمـود، في إشـارة لالتصـاق الثقـافي بالوطنـي.[3] لاحقـاً، نفّـذ بهـاء عليـان صاحـب المبـادرة التـي جمعـت الآلاف في السلسـلة عمليـة مقاومـة استشـهد عـلى إثرهـا، وهـذا زاد الاهتـمام بمبادرتـه الثقافيـة، فصـار تنظيـم سلاسـل القـراءة البشريـة ظاهـرة متكـررة في جامعـات ومـدن فلسـطينية مختلفـة، بـدءاً مـن جامعـات بيرزيـت[4] والقـدس[5] والخليـل[6] والنجـاح[7] وفي العاصمـة الأردنيـة عـمّان،[8] وفي مسـيرات العـودة مـن رفـح وغـزة إلى الحـدود العـام 2018.[9]

1 المرجع السابق، ص 69.

2 محمود السعدي، «مبادرات شبابية لخدمة المجتمع الفلسطيني وبقائه في القدس»، **العربي الجديد**، 2016/10/30: https://bit.ly/2IZF0ZC

3 «أطول لسلسة بشرية حول سور القدس للقراءة والصمود»، **شبكة القدس الإخبارية**، 2014/3/16: https://bit.ly/2Rw9ken

4 انظر: «جامعة الشهداء تحتضن سلسلة «بهاء الشهداء»»، **موقع جامعة بيرزيت**، 20 شباط (فبراير) 2016: http://bit.ly/2LOSGTL

5 محمود السعدي، «جامعة القدس الفلسطينية تحيي سلسلة بهاء الشهداء»، **العربي الجديد**، 13 شباط (فبراير) 2016.

6 «تنظيم أطول سلسلة قراءة جامعية في جامعة الخليل»، **القدس**، 1 شباط (فبراير) 2016: https://bit.ly/2SyHxez

7 الحارث الحصني، «بهاء عليان في نابلس»، **وكالة وفا**، 18 آذار (مارس) 2016.

8 مصعب الأشقر، «سلسلة «بهاء عليان» القرائية تستمر في عمان»، **موقع البوصلة**، 1 أيار (مايو) 2016: http://bit.ly/2Cal82L

9 «أطول سلسلة قراءة بمخيمات العودة برفح وغزة»، **المركز الفلسطيني للإعلام**، 4 نيسان (أبريل) 2018: http://bit.ly/2LPJq1y

هبة البوابات

في تمـوز (يوليـو) 2017، اندلعـت في القـدس موجـة احتجاجـات مدنيـة غـير مسـبوقة، تمثلـت في المرابطـة والصـلاة في الشـوارع، احتجاجـاً عـلى تركيـب بوابـات إلكترونيـة في القـدس، بعـد تنفيـذ ثلاثـة شـبان، مـن مدينـة أم الفحـم، عمليـة مسـلحة في الحـرم الشريـف، وقـد توجـت أيـام الانتفاضـة المقدسـية بتراجـع الاحتـلال عـن قـراره.[1] وإذا كانـت هـذه الانتفاضـة لا تصنـف ضمـن الحـراكات الشـبابية لأنهـا شـهدت مشـاركة شـاملة لأهـالي القـدس، فـإنّ دور الشـباب لا يمكـن تجاهلـه، أو تجاهـل أن نشـاطاتهم السـالفة أسـهمت في حالـة الوعـي العـام والاسـتعداد الجماعـي للنشـاط دون فصائـل ودون توجيـه.

3-3 قطاع غزة

كـما حـدث في كل مـن الضفـة والقـدس، أدى الربيـع العـربي إلى حماسـة شـبابية في قطـاع غـزة، لذلـك بـدأ في الوقـت ذاتـه تقريبـاً (مطلـع شـباط (فبرايـر))، 2011)، حـراك في القطـاع، وأيضـاً أخـذ أسـماء شـبيهة بمـا جـرى في الضفـة، مثـل 15 آذار، و5 حزيـران، إضافة إلى مجموعة تسـمى «غـزة نحـو التغيـير»، حرصـت عـلى التفاعـل مـع المجتمـع الخارجـي عـبر صفحـات «فيسـبوك» بالإنجليزيـة. كانـت مجموعـة 5 حزيـران تريـد تطويـر رؤيـة واضحـة بعيـدة المـدى، ورفضـت مجموعـة آذار ذلـك عـلى اعتبـار أن هـذا يحـول النشـاط إلى حـزب. وجـرى نقـاش للاسـم هـل هـو هبّـة أم حملـة، أم حـراك، واتفـق عـلى اسـم «الحـراك الشـعبي لإنهـاء الانقسـام»، وجـرى التنسـيق مـع مجموعـة الضفـة الغربيـة». ووضـع لجـان إعلاميـة ولوجسـتية مختلفـة.[2]

تراكمـت نشـاطات صغـيرة تمهيـداً للحـدث الكبـير (مسـيرة 15 آذار)، وفعـلاً اكتسـب الحـراك زخـماً دفـع الحكومـة المقالـة، آنـذاك، لإعـلان دعمهـا التحـرك، وبخاصـة بعـد مؤتمـر صحـافي يـوم 14 آذار، وبـدء الاحتشـاد في سـاحة الجنـدي المجهـول في غـزة، وباتـوا هنـاك اسـتعداداً لليـوم التـالي.[3] عـلى الأرض، تـم قمـع المسـيرة، بدايـة بمحاولـة احتوائهـا (عـلى غـرار مـا جـرى في الضفـة الغربيـة) بإرسـال أشـخاص للمشـاركة فيهـا واحتوائهـا وتوجيههـا، فجـاء عنـاصر

1 «أهم محطات معركة البوابات الإلكترونية في الأقصى»، **موسوعة الجزيرة**:https://bit.ly/2KEshsv

2 سامر أبو رحمة، «الحراك الشبابي من أين وإلى أين؟»، **مجلة الدراسات الفلسطينية**، العدد 90، ربيع 2012.

3 الشطلي، «الحراك الشباب الفلسطيني في قطاع غزة»، مرجع سبق ذكره.

«حـماس» إلى سـاحة الجنـدي المجهـول، وحاولـوا تركيـب مـسرح وأجهـزة صـوت ليسـيطروا عـلى مـا يقـال، وليبـدو الحـدث تأييـداً للحركـة، ضـد الحكومـة والرئاسـة في رام اللـه، فقـرر الشـباب نقلهـا إلى سـاحة الكتيبـة، وبعـد سـاعات احتشـد فيهـا الآلاف قامـت «حـماس» بقمـع المسـيرة هنـاك بالقـوة.[1] وكذلـك قمعـت «حـماس» فعاليـات جـرت أيـام 28 آذار (مـارس)، وقمعـت مسـيرة انطلقـت مـن جامعـة الأزهـر يـوم 30 آذار (مـارس)، واعتقـل عـدد مـن المنظمـين، وكانـت عمليـات القمـع قـد أدت إلى تراجـع المشـاركة الجماهيريـة.[2]

شـكل طـلاب الجامعـات، وبعيـداً عـن الانتـماء الحـزبي، عصـب الحـراك في غـزة.[3] ولكـن لم تتمكـن الحركـة مـن الاسـتمرار طويـلاً، فعـدا عـن قمـع «حـماس» للحـراك، تغـيرت الأجنـدة مـع العـدوان الإسرائيـلي عـلى قطـاع غـزة في تشريـن الثـاني (نوفمـبر) 2012.

بعـد حـرب 2012، يبـدو أن العـودة إلى الاحتجاجـات الداخليـة وضـد الانقسـام، لم تعـد ممكنـةً، فجـرى التوجـه مـن مجموعـات شـبابية إلى تبنـي مقاومـة الاحتـلال بإعـلان تأسـيس «ائتـلاف شـباب الانتفاضـة»، في العـام 2013، للاشـتباك مـع قـوات الاحتـلال في نقـاط التـماس الحدوديـة، وبخاصـة في ذكـرى المناسـبات الوطنيـة، مثـل النكسـة والنكبـة ووعـد بلفـور، عـلى أسـاس تجمـع غـير حـزبي لا ينتمـي إلى قـوة سياسـية محـددة، وقـد لاقـى هـذا التحـرك دعـماً، كـما يقـول أصحابـه، مـن كل مـن الرئيـس محمـود عبـاس، ورئيـس الـوزراء في غـزة حينهـا إسـماعيل هنيـة.[4] واسـتمر الحـراك حتـى العـام 2016، حيـث دعـا إلى فعاليـات في ذكـرى النكبـة، تشـمل العـودة إلى الحـدود،[5] قبـل أن يتراجـع ويتـلاشى.

نشـأت مجموعـات شـبابية عـدة في غـزة حاولـت أن تطـرح قضايـا إنهـاء الانقسـام وبعـض المواضيـع المطلبيـة، وعـلى الرغـم مـن أنهـا كانـت تطـرح مطالـب مـن حكومـة التوافـق في رام اللـه، فـإنّ «حـماس» كانـت تواجههـا غالبـاً بسـيناريو متكـرر؛ هـو محاولـة احتـواء الحـراك

1 المرجع السابق.

2 سامر أبو رحمة، «الحراك الشبابي من أين وإلى أين؟»، مرجع سبق ذكره.

3 أحمـد إبراهيـم حـماد، «الحـراك الشـبابي الفلسـطيني «نظـرة أخـرى»»، **دنيـا الوطـن**، كانـون الثـاني (ينايـر) 2017: https://bit.ly/2ACofxS

4 «ائتلاف شباب الانتفاضة» .. أمل يبزغ من ثورة الشباب»، **المركز الفلسطيني للإعلام**، كانون الأول (ديسمبر) 2013: https://bit.ly/2PtTVhg

5 «ائتلاف شباب الانتفاضة: 15 أيار (مايو) يوم زحف ضد الاحتلال»، **الحرية**، أيار (مايو) 2016: https://bit.ly/2Q4UOd3

بإرسال عناصرها ليقودوا الفعاليات، لتصبح ضد الرئاسة والحكومة في رام الله، ثم تفض التظاهرات التي لا تلتزم بالقيادة الحمساوية لها، ثم يعتقل أفراد قاموا عليها. هذا ما حدث، مثلاً، مع حراك 29 نيسان (أبريل) الشبابي العام 2015.[1] ومع «الحراك الشبابي الشعبي» الذي انطلق العام 2017، وتبنى قضايا حياتية؛ مثل الكهرباء، وكان، كما أعلن أحد منظميه، محمد التلولي، في بيان ألقاه مسجلاً عبر الفيديو، «أن الحراك لا يتبع لأي فصيل أو تنظيم، وأن أبناء التنظيمات الذين خرجوا، خرجوا بوازع انتمائهم لشعبهم وليس لتنظيماتهم».[2] وعانى هذا الحراك بشكل مزدوج من ملاحقة «حماس» لعناصره ولمؤيديهم، واعتقالهم، ومن محاولة أطراف فيه تسييسه بالفعل، كما حدث، أيضاً، في تحرك 29 نيسان، وتحديداً من قبل عناصر قريبة من حركة «فتح». وفي كانون الثاني (يناير) 2018، حاول الحراك إطلاق سلسة فعاليات احتجاجية، أعلن عنها أحد قادة الحراك، عامر بعلوشة،[3] لتجري حملة اعتقالات من قبل أجهزة «حماس» الأمنية أدت إلى وقف الحراك.[4]

الانتخابات الطلابية في غزة

توقفت الانتخابات الطلابية في جامعات قطاع غزة، حيث توجد 15 مؤسسة تعليم عالٍ، منها خمس جامعات، وأربع كليات جامعية، و6 كليات جامعية متوسطة،[5] منذ الانقسام العام 2007 على الأقل، ولا وجود لحياة طلابية انتخابية.

تأسست عقب الانقسام ما يسمى «سكرتارية الأطر الطلابية»، بهدف تجنيب الجامعات المناكفات السياسية، ولكن هذا لم ينجح. وتتهم أوساط السكرتاريا إدارات الجامعات بالمسؤولية عن تعطل الانتخابات.[6] كما تتبادل الكتل الطلابية لحركتي «فتح» و«حماس»

1 أمن حماس «حاول أن يلتف حول الحراك لكنه فشل» ... بيان صادر عن حراك «29 نيسان»، **صحيفة المشرق الإلكترونية**، 30 (أبريل) 2015: https://bit.ly/2OYSPdZ

2 «الحراك الشعبي يتحدى حماس في بيان ناري: نمهلكم 72 ساعة لحل أزمة الكهرباء»، فيديو- يوتيوب، كانون الثاني (يناير) 2017: https://bit.ly/2F5vkeL

3 «الآلاف في مخيم جباليا يخرجون احتجاجاً على سوء الأوضاع الاقتصادية»، **بوابة الهدف الإخبارية**، كانون الثاني (يناير) 2018: https://bit.ly/2yFj8LW

4 «مباحث حماس تستدعي عامر بعلوشة وشكري أبو عون ومحمد التلولي»، أمد للإعلام، كانون الثاني (يناير) 2017: https://bit.ly/2JqjeuZ

5 المصدر السابق.

6 «غزة: الدعوة لإجراء الانتخابات في الجامعات»، **وكالة أنباء معا**، 13 أيلول (سبتمبر) 2017.

الاتهامات بشأن المسؤول عن هذا التوقف. فبحسب مصادر الكتلة الإسلامية، فإنّ حركة الشبيبة الفتحاوية ترفض الدخول إلى انتخابات دون ضمانات بشأن عدم تدخل الأجهزة الأمنية لحركة «حماس»، وبحسب الكتلة فإنّ الأصل أن سكرتاريا من الكتل الطلابية هي التي تشرف على الانتخابات، وبالتالي لا بد من توافق الكتل الطلابية.[1] فيما تحمّل أطراف طلابية أخرى إدارات الجامعات المسؤولية. وتشير نهى البحيصي، عضو الهيئة القيادية العليا لفتح في غزة، أن رفض المشاركة في حالات جاء بسبب رفض إدارة الجامعات منح «الحرية الكاملة للعمل الطلابي وإجراء الانتخابات بالتمثيل النسبي، إضافةً إلى توفير أماكن لممارسة العمل الديمقراطي داخل الجامعة».[2] وتزعم «فتح» عادة أن حركة «حماس» تمنع الانتخابات في جامعات غزة، وعلى سبيل المثال دعا أسامة قواسمي، الناطق باسم «فتح» في العام 2016، حركة «حماس» إلى «ضرورة السماح بإجراء انتخابات طلابية في جامعات غزة، انتصاراً للوحدة الوطنية وللتعددية والديمقراطية». وردت «حماس» على لسان ناطقها سامي أبو زهري، بأنّ هذه الدعوة قلب للحقائق، وأن الجامعة الإسلامية في القطاع (التي تسيطر عليها «حماس») الوحيدة التي تجري انتخابات، وأن «فتح»، وجامعة الأزهر التي تسيطر عليها، ترفض التعاون مع الجهود المبذولة من الفصائل لوضع جدول انتخابي يشملها.[3]

في الواقع أن الجامعة الإسلامية أجرت فعلاً انتخابات بشكل متقطع، فأجرت انتخابات في العامين 2013 و2016، بمقاطعة الكتل الطلابية باستثناء ذراع «حماس» الطلابية، ومن أسباب المقاطعة إجراء الانتخابات على أساس نظام الأكثرية (وليس القائمة النسبية)، وسحب الكتلة الإسلامية موافقتها على هذا النظام، ومطالبتها أن يشمل كل الجامعات (علماً أنه معمول به في الضفة الغربية).[4]

1 توفيق حميد، لماذا لا تعقد انتخابات مجالس الطلبة في قطاع غزة؟ وكالة شهاب للأنباء، 10 أيار (مايو) 2017.

2 مصطفى البنا، انتخابات الجامعة الإسلامية .. غياب بعض الكتل البارزة أضعف المشاركة، شبكة قدس الإخبارية، 16 آذار (مارس) 2016: https://bit.ly/2qlzmoI

3 حماس: دعوة فتح لانتخابات طلابية بغزة محاولة لقلب الحقائق، الرسالة. نت، 26 نيسان (أبريل) 2016: https://bit.ly/2qkTozL

4 المصدر السابق.

4-3 الأراضي المحتلة العام 1948

كما حدث في أماكن أخرى، أثارت الثورات العربية بعد العام 2011، حماسة الشباب الفلسطيني في الأراضي الفلسطينية المحتلة العام 1948، بما في ذلك تظاهر شباب غالبيتهم طلاب وطالبات جامعيون، أمام السفارة المصرية في تل أبيب تضامناً مع ثورة يناير في مصر. وأظهر الشباب الفلسطيني في هذه الفعاليات وعياً بأهمية بلورة أهداف خاصة بمناطق العام 1948، فمثلاً، قال منسق حركة «شباب جت الواعي» سعيد عبد القادر، في لقاء إعلامي حينها، أن «الكثير من التحديات تواجه فلسطينيي 48، وعليه انطلق الشباب نحو التغيير، عبر الأطر بغية تجميع القوى وتركيزها نحو أهدافها بالنهوض بالمجتمع حفاظاً على وجوده وهويته».[1]

بشكل عام، لم تستمر الحراكات الشبابية التي نشأت مع العام 2011، فاختفت أو تراجعت أسماء مثل حراك شباب جت الواعي (نسبة لقرية جت)، أو حركة إنجاز الشبابية (قلنسوة)، أو حركة شباب يبني المستقبل (أم الفحم)، ورابطة «مداد»- كفر برا، وجمعية تشرين (الطيبة)، التي عقدت في حزيران العام 2011، اجتماعاً لمحاولة تشكيل إطار جامع.[2] ولعل ملاحظة تستحق التوقف أن من بين هذه الأسماء، استمرت جمعية تشرين (التي تأسست العام 2008)، ونما نشاطها بشكل كبير، فقد نجحت الجمعية في النشاط داخل مدينة الطيبة في المثلث، وأسست الجمعية حراكاً شبابياً ينظم نشاطات مختلفة وندوات ودورات، وأياماً دراسية لقضايا محلية ووطنية عامة.[3] وهذا يشير إلى أن الجمعيات أو المؤسسات الرسمية المرخصة أكثر قدرة على الاستمرار. ولكن العناوين الأخرى (الحراكات التي شاركت، على سبيل المثال، في اجتماع 2011) إما أنها اختفت وإما ما زالت تحاول النشاط، فمثلاً في العام 2018، وتحت شعار يعكس محدودية الإنجاز والسعي ولو إلى القليل (أن تضيء شمعة خير من أن تلعن الظلام)، نظمت لقاء شبيهاً بلقاء حزيران (يونيو) 2011، وشارك بعض من شاركوا في ذلك اللقاء فيه (مثل رابطة مداد)، والهدف ما زال هو ذاته، تشكيل جسم توحيدي «سبل التعاون المشترك من

1 محمد وتد، «الربيع العربي يزهر بالداخل الفلسطيني»، **الجزيرة. نت**، 26 أيلول (سبتمبر) 2011: https://bit.ly/2Sz5KS2

2 سميرة الحاج يحيى، «بحث تشكيل اتحاد لجمعيات المثلث»، **موقع الشمس**، 17 حزيران (يونيو) 2011:http://bit.ly/2LM94oL

3 حول نشاط الجمعية، يمكن مراجعة موقعها على الإنترنت:www.tishreen.net

أجل تعاون مستقبلي مشترك»، وذلك كما جاء على موقع جمعية تشرين. واللافت من تصفح موقع مثل موقع الجمعية، مثلاً، أن الحراكات، وربما الأدق المجموعات الشبابية، إذا ما نشطت، فهي تنشط إما بنشاط تطوعي محدد أو حملات دون خطة إستراتيجية، وإما من أجل أن تجد لنفسها هوية وخطة، وقد باتت إحدى مهمات جمعية «تشرين» التي تتصدى لها تقديم مكان وإرشاد لهذه الحراكات.[1] يضاف إلى ذلك وجود حراكات نشأت لأهداف محددة، يمكن استعراض أهمها فيما يلي.

لا يبدو أنّ الشباب في مناطق العام 1948، كانوا استثناء، فلم تتبلور إستراتيجية عمل وطنية برؤية واضحة وبنية ذات استمرارية، من هنا استمر بروز حراكات شبابية على شكل حملات، مع وجود شق واضح يتعلق بالتضامن مع الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة بشكل كبير، أكثر من رفع شعارات خاصة بهم. والواقع أنّ إحدى السمات التي تبرز في حراكات الأراضي المحتلة العام 1948، أنه يغلب عليها الطابع المحلي؛ أي الارتباط بمدينة أو قرية دون أخرى، حتى لو كانت نشاطاتها عابرة للمناطق، وتشكل كل الشأن الفلسطيني، وفيما يلي استعراض لأهم الحراكات، التي يمكن، عموماً، تقسيمها إلى نوعين؛ الأول يغلب عليه الارتباط بمدينة معينة، والثاني يرتبط بقضية محددة.

حراك حيفا

حدث في شهر تشرين الأول (أكتوبر) العام 2011 في مدينة حيفا، تزامناً مع إضرابات الأسرى الفلسطينيين في سجون الاحتلال في تلك الفترة، حراك تضمن، إلى جانب التظاهرات، إعلان مجموعة ناشطين وناشطات من فلسطيني الداخل، إضرابهم عن الطعام واعتصامهم بشكل يومي لأيام عدة في ساحة الشهيد، في مدينة حيفا، وذلك دعماً للأسرى ولإيصال قضية الأسرى إلى الجماهير والعالم. دام الحراك فعالاً بشكل يومي حتى انتصر الأسرى في إضرابهم.[2] وتكررت الحملات التضامنية مع الأسرى كلما كان هناك حراك للأسرى. وقد برز ما سمي «حراك حيفا»، الذي تأسس إثر إضراب الأسرى في شهر نيسان (أبريل) 2012، ولم يخرج هذا الحراك عن الظاهرة المتكررة للحراكات التي تحاول أن تنتقل

1 على سبيل المثال لا الحصر، يشير موقع «تشرين» إلى استضافة اجتماعات لمنتدى يسمى «منتدى الثقافة والفنون في منطقة المثلث الجنوبي»، للتداول في أفكار حول «هوية وعمل المنتدى»، وإلى اجتماعات أخرى لروابط شبابية واجتماعية للغرض ذاته.

2 «حيفا: إضراب مفتوح في خيمة اعتصام تضامناً مع الأسرى»، **موقع عرب 48**، 9 تشرين الأول (أكتوبر) http://bit.ly/2mz7Mm2:2011

إلى الاستمرارية والمأسسة، ففي اليوم الثامن والعشرين للإضراب، أقرت وأوضحت لجنة تنسيقية مبادئ التنظيم والنشاط وفقها، وتتضمن تقسيم المهام والمسؤوليات. وبعد انتصار الأسرى في شهر أيار (مايو) 2012، تقرر أن هذا النمط من النشاط والتنظيم يجب أن يستمر، وأن يتم بناء إطار عام مفتوح لتنظيم أنشطة وطنية فلسطينية في مدينة حيفا، وقد استمر الحراك فعلاً مع غلبة النشاطات التضامنية مع الضفة وغزة على عمله، ووفر آلية يمكن استدعاؤها للنشاط عند الحاجة.[1]

شباب التغيير (الناصرة)

تأسست «حركة» شباب التغيير في العام 2010 كنواة داخل الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة (التنظيم اليساري الأبرز في فلسطين المحتلة العام 1948)، وكان القائمون على هذه الحركة يحاولون التأثير والتغيير داخل الجبهة، ومع فشل محاولاتهم قاموا بالانسحاب منها، والعمل بشكل مستقل. وأسسوا حراك «شباب التغيير» في مدينة الناصرة، الذي عمل على أصعدة مختلفة، وانضم إليه أشخاص من شرائح مختلفة، من الحزبيين وغير الحزبيين، وعمل هؤلاء الشباب على التأثير في واقع مدينة الناصرة بشكل خاص، وخاضوا انتخابات بلدية الناصرة العام 2013، وفازوا بمقعد واحد. وهم يقدرون عدد الفاعلين الأساسيين في الحركة/الحراك بنحو 20 شخصاً، معهم نحو 70 يمكن تصنيفهم بالفاعلين، مع وجود أعداد مؤيدة لهم، وينوون الاستمرار في خوض الانتخابات البلدية والتأثير في الأحداث والتفاعل معها، كما حدث أثناء حملة برافر.[2] ولعل اللافت في نشاط «شباب التغيير» أولاً أنهم يفضلون في بياناتهم (تم الاطلاع عليها على صفحتهم على فيسبوك) استخدام مسمى «شباب التغيير» بدون كلمة حركة، إلا في حالات محدودة، ولعل هذا انعكاس لعدم وجود قناعة لدى الشباب بأنهم يشكلون تنظيماً حقيقياً، بقدر ما هم ائتلاف. والملاحظة الثانية أن نشاط هذا الإطار انحصر في مدينة الناصرة، دون تقديم تصور وطني شامل.

1 يوآف حيفاوي، «سنة على حراك حيفا- ماذا فعل؟»، **مدونة حيفا الحرة**، 26 نيسان (أبريل) https://bit.ly/2EUated:2013

2 سمر عزايزة (ناشطة في الحراك)، مقابلة هاتفية أجرتها آية زيناتي، 20 أيلول (سبتمبر) 2018.

«ارفض .. شعبك بيحميك»

في العام 2014، كان قد انطلق حراك أشبه بالحركة الدائمة، لكن دون فعاليات مستمرة، حمل اسم «ارفض شعبك بيحميك»، وهو حراك شبابي ضد التجنيد الإجباري، ويهدف إلى إسقاط الخدمة العسكرية الإجبارية، وتعزيز الهوية الفلسطينية عند الشباب الفلسطينيين الدروز في الداخل الفلسطيني. وكانت فعالية انطلاقه في 21 آذار (مارس) 2014، بمظاهرة أمام سجن عتليت العسكري، واستمر سنوات عبر وسائل التواصل الاجتماعي، وتم تنظيم ثلاثة مؤتمرات، آخرها العام 2016. ونظمت ندوتان للحراك خلال النصف الأول من العام 2018، لكن مع ملاحظة تراجع زخم الحملة، وتراجع عدد الرافضين للخدمة العسكرية.[1] ويبقى هذا الحراك مثالاً على الأهداف المحددة، التي على الرغم من أنها تصب في مشروع وطني عام، فإنّ هذ المشروع لا يبدو قادراً على التبلور ضمن بنية تنظيمية شاملة ومستمرة، تتبنى قضايا مختلفة. دون أن يلغي هذا أن بعض المشاركين ربما يكونون أعضاء في أحزاب وتنظيمات.

حراك برافر

كان حراك برافر، هو الحراك الشبابي الأقوى داخل أراضي العام 1948، ولكنه تميز، أيضاً، بأنه استطاع هذه المرة أن ينسق تضامناً أيضاً في الضفة والقطاع مع هذا الحراك. وبرافر هو اسم مشروع قانون إسرائيلي لتوطين بدو النقب العرب، ومصادرة مئات آلاف الدونمات من أراضيهم لصالح الاستيطان اليهودي، وقد جرت بلورة هذا الحراك الشبابي في تموز (يوليو) 2013، واستخدم فيسبوك بكثافة في الحشد لمظاهرات احتجاج على هذا المخطط، عبر شعار «برافر لن يمر»، وصفحة «إضراب الغضب 15 تموز».[2] لكن مسيرة الوصول إلى هذا اليوم، وما تلاه، تتضمن تفاصيل مهمة، بشأن طبيعة الحراك الشبابي وعلاقته أيضاً مع القوى الاجتماعية والسياسية الموجودة أصلاً. فحراك برافر الشبابي، قام أساساً على لقاء مجموعتين؛ الأولى في جنوب فلسطين (النقب)، والثانية في الشمال، في حيفا، وبينما غلب على الفريق الأول التحرك بصفتهم ناشطين وناشطات في المجتمع

1 للتفاصيل، راجع صفحة الحراك على «فيسبوك» ودنيا انعيم، «ارفض... شعبك يحميك: حراك شبابي يعيد للدروز هويتهم الفلسطينية»، **مدونة فسحة أمل**.

2 خالد عنبتاوي، «كيف نقرأ الحراك الشبابي في الداخل؟ - «برافر» كمثال»، **مجلة جدل**، العدد 22، شباط (فبراير) 2015.

المدني، حيث بدأ عدد قليل من الأشخاص بالاجتماعات قبل الدعوة إلى لقاءات عامة. ويقول أمير أبو قويدر، إنه كان أحد أربعة أشخاص يعملون في مؤسستين؛ واحدة منها نسوية، دعوا إلى الاجتماعات، وبدأ النشاط في شهر نيسان (أبريل)، واستخدموا فيسبوك للدعوات. ويوضح أبو قويدر أنّه هو شخصياً منتمٍ إلى حزب «التجمع»، ولكنه تحرك بشكل مستقل، وأن شباب «التجمع شاركوا بفعالية في النشاط، إلا أنه يشدد على أن من قاد التحرك قرروا «أن لا نكون جزءاً من عمل المؤسسات، هناك سياسات لا نريد أن نكون جزءاً منها»، وكان هناك تذمر من القيادات والأحزاب التقليدية، ومن «لجنة المتابعة العليا لشؤون الجماهير العربية في إسرائيل»، التي تمثل القيادة العليا التنسيقية للفلسطينيين في الأراضي المحتلة العام 1948، ومن» لجنة التوجيه العليا لعرب النقب».[1]

تميز حراك برافر بسعي القائمين عليه إلى التعلم والتخطيط أثناء العمل، فمثلاً جرى تنظيم دورات تأهيلية في قواعد إدارة الحملات، قادتها منظمة متخصصة تسمى «أهل»،[2] وضمت الدورات، التي أقيمت في مركز اجتماعي في مدينة رهط، الناشطين المنخرطين في الحراك.[3]

بجانب هذا التحرك في النقب، كان هناك تحرك في حيفا، أغلب أعضائه كانوا من المؤطرين حزبياً، وتكشف هدى أبو عبيد، التي لعبت دوراً فاعلاً في الحراك في النقب، وانضمت متأخراً إلى الحراك، بعد اندلاع المظاهرات يوم 15 تموز، والاعتقالات التي طالت عدداً من معارفها، أنّه كان هناك انقسام بين الشباب بين من سمّتهم مجموعة «الحراك»، ومجموعة لجنة المتابعة، وأنّ اللجنة كانت تريد ضبط الحراك تحت مظلة القانون، والحصول على تراخيص للمظاهرات، على العكس من الحراك. وتقول أبو عبيد أنه بعد الدورات التدريبية في إدارة الحملات، والتخطيط الإستراتيجي، تشكلت لجان وجرى تقسيم العمل، بين من يتابع الشق القانوني، ومن يتواصل مع الأحزاب ولجنة المتابعة العليا،

1 أمير أبو قويدر، مقابلة هاتفية أجرتها آية زيناتي، 20 أيلول (سبتمبر) 2018.

2 في تعريف نفسها على موقعها على الإنترنت، تقول أهل «التنظيم المجتمعي هو شكل من أشكال القيادة الذي يمكّن مجموعة أو قاعدة مجتمعية من حشد مواردها وتوظيفها لبناء القدرة على إحداث التغيير». وتقول «يستند التنظيم إلى توظيف، وتدريب، وتطوير القيادة المجتمعية، وخلق قيادات جديدة، قادرة على العمل معاً لخدمة هدفها المشترك. فالتنظيم المجتمعي يدور حول تمكين الأشخاص (القاعدة المجتمعية)، من القدرة (القصة والإستراتيجية) على إحداث التغيير (نتائج حقيقية)»، انظر: www.ahel.org

3 أبو قويدر، مقابلة، مصدر سبق ذكره.

ولجنة التوجيه، والإعلام العربي، والدولي، والإسرائيلي. وتكشف كيف كانت العلاقة مع المؤسسات والأطر العربية المعروفة بين مد وجزر، وأنهم قدموا مساعدات مهمة دون أن يلغي هذا الخلافات المتكررة.[1]

عملياً، كانت لجنة المتابعة العربية هي التي حددت إضراب يوم 15 تموز (يوليو) ودعت إليه، وقام الحراك الشبابي بدعم وتأييد هذا الإضراب، وتشكلت، إضافة إلى مجموعتي حيفا والنقب، مجموعة في الضفة الغربية. وبحسب خالد عنبتاوي، وهو ناشط شبابي، ومركّز اتحاد الشباب الوطني الديمقراطي، فإنّه بين انتقاد الأحزاب «وافتعال «العدائية» معها بون شاسع، وفيه تبسيط للواقع باختزاله بمقولات عدائية وإلغاء لجميع أشكال النضال التي قامت بها الأطر السياسية الفاعلة في المجتمع الفلسطيني منذ نشأته». ويوضح عنبتاوي أن تجربة برافر كانت إيجابية على هذا الصعيد، لأنها أوضحت «أهمية هذه العلاقة المكمّلة بين الحراكات الشبابية والعمل النضالي المأسس».[2]

شهدت حملة أو حراك برافر مظاهرة في شهر آب (أغسطس)، وأخرى في 30 تشرين الثاني (نوفمبر). وتكشف هدى أبو عبيد عن الكثير من الوسائل الإسرائيلية في مواجهة الحملة، من مثل تحويل أرقام الهواتف التي كانت تعلن للتنسيق وتنظيم المواصلات، إلى أرقام مغلقة، أو الاتصال بالناشطين وتهديدهم، وتحريض الوجهاء والأهالي ضدهم، وحتى تهديد الفتيات الناشطات بتدبير فضائح لهن. ولكنها توضح أنه بعد انتصار الحراك بتراجع السلطات الإسرائيلية عن المشروع في كانون الأول (ديسمبر)، «حاولنا بعدها أن نعمل سوياً وأن نتنظم لأحداث أخرى، لكننا لم ننجح».

من المؤكد أن حملة أو حراك برافر، لم تكن محطة عابرة، فقد كان فيها الكثير من الدروس والمتغيرات، من مثل وحدة النشاط الفلسطيني في كل فلسطين، وتكامل الحراك مع العمل المأسس، ومثل استخدام وسائل التواصل الاجتماعي بكفاءة، والتعلم والخبرة في الحملات، ولكن ربما يمكن القول بعد سنوات من هذا الحراك، أنه بقدر ارتفاع التوقعات حينها من الحراك الشبابي، فقد بدا واضحاً أن مسألة استمرار هذه الحراكات أمر صعب للغاية دون مأسسة.

1 هدى أبو عبيد، مقابلة هاتفية أجرتها آية زيناتي، 10 أيلول (سبتمبر) 2018.

2 عنبتاوي، «كيف نقرأ ...»، مصدر سبق ذكره.

استمرت نشاطات لذلك الحراك لاحقاً، ولكن، بشكل عام، يغلب على التحركات الشبابية في الأراضي المحتلة العام 1948، التضامن والتفاعل مع الحدث في كل من الضفة الغربية وقطاع غزة، بما في ذلك المشاركة المباشرة في نشاطات في الضفة، من مثل المشاركة الشبابية الفاعلة، في قرى الخيام، التي أقيمت لتحدي الاستيطان خلال العامين 2013 و2014.[1]

5-3 الأردن

على العكس من الساحات الأخرى، أدخل الربيع العربي العمل الشبابي الفلسطيني في أزمة، وواجه أسئلة صعبة عدة. فمن جهة، تأطرت قطاعات شبابية واسعة، في صفوف القوى اليسارية والإسلامية التي باتت جزءاً من الحركة السياسية الأردنية، وانضمت كذلك قطاعات من الشباب الفلسطيني المستقل في هذا الحراك، انطلاقاً من كونهم أردنيين أيضاً، كما هم فلسطينيون. ولكنهم ووجهوا، أولاً، بحالة يُبدون فيها إعاقة للإصلاح في الأردن، وأنهم، بمن فيهم الإخوان المسلمون، «تنظيم فلسطيني في الواقع والجوهر داخل الساحة الأردنية»،[2] فصار الإصلاح الذي طالبت به قوى في الأردن على غرار دول أخرى في المنطقة، وكأنه (كما صوره معارضون للحراك) في صالح أصحاب الأصول الفلسطينية، على حساب الأردنيين، فضلاً عن إشارات أن الانغماس في شأن الإصلاح كأنه يتناقض مع الإصرار على حق العودة.

أدت الحيرة في التعبير السياسي وماهية الهوية التي يجب أن يتم تبنيها، فضلاً عن اتجاه في المجتمع الأردني ككل، نحو العشائرية والعائلية، «إلى بروز مجاميع وأذرع شبابية فلسطينية تحمل مسميات تستند إلى المناطقية والعشائرية، فظهرت، مثلاً، تجمعات فلسطينية مناطقية مثل تجمع شباب نزال، وتجمع شباب الوحدات والبقعة والزرقاء، وظهرت بالتوازي تجمعات شبابية فلسطينية تستند إلى العشائرية؛ مثل تجمع شباب بئر السبع، وتجمع شباب القيسية، وتجمع شباب بيت محسير»، وتسمح هذه الأطر

1 يقول بديع دويك، الذي كان ينشط في الخليل، ضمن مجموعة شباب ضد الاستيطان، واشترك في تنظيم قرية باب الشمس، أنّ عدداً من شباب الأراضي المحتلة العام 1948، ساهم في التخطيط والإعداد لهذه القرية، بل جاء اقتراح اسم القرية منهم. انظر: أحمد جميل عزم، «المشروع الوطني الفلسطيني بين «الوطن والدولة»»، في: **قضية فلسطين ومستقبل المشروع الوطني الفلسطيني** (الجزء الأول)، المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات، الدوحة، 2015.

2 محسن صالح، **التقرير الإستراتيجي الفلسطيني 2011**، مركز الزيتونة، بيروت، 2012، ص 135.

بالتركيـز عـلى قضايـا مطلبيـة في الأردن، دون الدخـول في موضوعـات القضيـة الفلسـطينية، ودون تسـييس كبـير.[1]

لكـن عـدم وجـود حالـة قمـع أمنـي حـاد في الأردن، وعـدم وجـود قـرار بمنـع التعبـير عـن مفـردات في القضيـة الفلسـطينية، سـمح بتشـكل بعـض الأطـر والكتـل والجمعيـات الشـبابية الجديـدة التـي تعنـى بالقضيـة الفلسـطينية، مـع رفعهـا شـعارات أو قضايـا محـددة، مثـل «لجـان حـق العـودة» المختلفـة، وحمـلات شـبابية مثـل حملـة «راجـع»، وحملـة «عائـد»، وحملـة «خـلي عينـك عـلى القـدس»، و«حـراك وائتـلاف الشـباب الفلسـطيني»، وحملـة «كوشـان»، وحملـة «مفتـاح»، وحملـة «احنـا 12 مليـون»، وحملـة «مخيمجـي وبـدي أرجـع»، و«أبنـاء الشـتات» و«حملـة زيّـن رفـوف بيتـك بكتـاب عـن فلسـطين»، وحمـلات وحـراكات التضامـن مـع الأسرى وهـي كثـيرة ومتعـددة الأنشـطة. هـذا فضـلاً عـن حمـلات الترميـم والتنظيـف في المخيـمات؛ مثـل حملـة «شـادر بلاسـتيك في الشـتاء»، في مخيـم البقعـة، شـمال عـمّان، ودهـان أرصفـة، وتنظيـف مقابـر، وحملـة تجميـل جـدران المخيـم.[2]

وتقـوم معظـم هـذه الحمـلات والحـراكات بجهـد فـردي، وكـردة فعـل عـلى حـدث مـا داخـل الأرض المحتلـة، ومـا تلبـث أن تتراخـى وتتقلـص حتـى تـكاد تختفـي، هـذا إن لم تختـفِ أصـلاً، ويعـود ذلـك إلى أسـباب رئيسـية ثلاثـة، منهـا المتابعـة الأمنيـة الأردنيـة، وضعـف مصـادر التمويـل والإمكانيـات، وثالثـاً نتيجـة التناحـرات الداخليـة وشـخصنة الأمـور العامـة والوطنيـة.

هـذه اللجـان والحمـلات بشـكل عـام تتفـاوت في جديتهـا وقوتهـا، فمثـلاً تعتـبر «لجنـة الدفـاع عـن حـق العـودة»، التـي تعنـى بالقضيـة الفلسـطينية، وتنتـشر عـلى مسـتوى المملكـة الأردنيـة الهاشـمية، لجنـة فاعلـة، وتهتـم بـكل مـا يتعلـق باللاجئـين وحـق العـودة بشـكل خـاص، وتضم في عضويتهـا كافـة القـوى والأحـزاب الوطنيـة والإسـلامية والهيئـات والمسـتقلين وممثلـين عـن كافـة الأطـر والاتحـادات والنقابـات في الأردن. ولكـن لـن يتـم التوقـف عنـد هـذه اللجنـة التـي تعـاني، أيضـاً، مـن انقسـامات، إذ لا يمكـن اعتبارهـا جـزءاً مـن الحـراك الشـبابي.

عمليـاً، اسـتمرت الكتـل الطلابيـة التـي نشـأت وازدهـرت بالتـوازي مـع انتفاضـة الأقـصى،

1 مقابلات مع مجموعة من الشباب الفلسطيني من مناطق مختلفة في الأردن، مخيم البقعة، مرجع سبق ذكره.

2 المرجع السابق.

بالعمـل والانتشـار، ودخـول الانتخابـات الطلابيـة، والنشـاط في أنديـة وأطـر، وبخاصـة في المخيـمات، ولكـن مـع تفضيـل عـدم التدخـل، عـلى الأقـل تحـت اسـم هـذه الأطـر، في الشـأن الأردني السـياسي المبـاشر. فمـع التأكيـد عـلى وحـدة الحـال والهـم المشـترك مـع باقـي الأردنيين، فضلـت الكتـل الطلابيـة التـي أخـذت أسـماء اختلفـت من جامعـة إلى أخـرى، أشـهرها «الوحدة الطلابيـة»، و«العـودة»، و«الانطلاقـة»، و«الصفـوة»، و«النخبـة»، التركيـز عـلى نشـاطات هدفهـا التوعيـة بالتاريـخ الفلسـطيني المعـاصر، وبالتأكيـد عـلى حـق العـودة، وترتكـز نشـاطاتها عـلى تنظيـم معـارض تثقيفيـة، وعـلى إصـدار كتـب ومجـلات، مثـل مجلـة «فلسـطين» في جامعـة جـرش، و«العـودة» في العلـوم والتكنولوجيـا، ... وغيرهـما.

6-3 سوريا

لعـل انـدلاع الأحـداث في سـوريا العـام 2011 خلـط الأوراق كثـيراً، وحدثـت، أيضـاً، هجـرة واسـعة مـن سـوريا إلى لبنـان، شـملت الكثـير مـن الفلسـطينيين والسـوريين الذيـن سـكنوا المخيـمات الفلسـطينية.

مـع انـدلاع الأحـداث في سـوريا، واجـه الفلسـطينيون هنـاك سـؤالاً حـول مـا يجـب أن يكـون موقفهـم، بـين مـن يريـد الانخـراط في الحـدث ضـد النظـام أو معـه، وبـين مـن يريـد توجيـه البوصلـة إلى فلسـطين. وهنـا ظهـرت فكـرة مسـيرة العـودة في ذكـرى النكبـة العـام 2011. وقـد أدت الفكـرة إلى انقسـام بـين مـن يـرى أنّ النظـام، وهـو يسـمح بمثـل هـذه المسـيرة، أو حتـى لـو تـم اسـتغلال انشـغاله بالاحتجاجـات في أنحـاء سـوريا، إنمـا يقـدم خدمـة لنفسـه بتوجيـه الأنظـار عـن مطالـب الإصـلاح الداخـلي، وبتوجيـه رسـالة أنّ تراجـع سـيطرة النظـام سـيؤدي إلى تهديـد الحـدود مـع الجانـب الإسرائيـلي. ومـع رفـض شرائـح الاشـتراك في المسـيرة، بـدت المسـيرات وقـد نجحـت نجاحـاً باهـراً للبعـض، إذ توجـه الآلاف مـن الفلسـطينيين، وبخاصـة الشـباب، ومـن مختلـف مناطـق تواجدهـم في سـوريا، ومنـذ صبـاح يـوم 15 أيـار، إلى الحـدود مقابـل بلـدة مجـدل شـمس في الجـولان، وفوجـئ الشـباب عندمـا تمكـن جـزء منهـم مـن اجتيـاز الحـدود والاشـتباك مـع الجنـود الإسرائيليـين، والدخـول إلى بلـدة مجـدل شـمس، الذيـن اسـتقبلهم أهلهـا بالترحـاب. وظهـر هـذا كإنجـاز مهـم عـلى الرغـم مـن سـقوط ثلاثـة شـهداء وعـشرات الجرحـى، فالتشـييع للشـهداء الثلاثـة الـذي جـرى في مخيـم اليرمـوك كان مميـزاً

واحتفالياً.[1] كان ما حدث مفاجئاً، وبخاصة أنه بدأ بشكل عفوي دون تخطيط، عبر توجيه نداء في صفحة فيسبوك سميت «الانتفاضة الفلسطينية الثالثة»،[2] أي أنه مرة أخرى فاجأ الجمهور الحراكيين إيجابياً.

بدا أن سيناريو ربيع عربي يماثل مليونيات ميدان التحرير في القاهرة، يخترق الحدود الفلسطينية، ممكناً، فبدأت جهود الشباب تتجه إلى الاستعداد لتكرار السيناريو في ذكرى النكسة، 5 حزيران (يونيو). ولكن ما حدث هذه المرة كان مختلفاً، فالتصدي الإسرائيلي كان دموياً للغاية، أدى إلى سقوط 20 شهيداً، ومئات الجرحى، وبدل التشييع الاحتفالي، كانت الجنازة يوم 6 حزيران (يونيو) غاضبة، ضد النظام السوري والفصائل الفلسطينية، لدرجة الاعتداء على ماهر الطاهر، القيادي في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.[3]

أدت أحداث حزيران 2011 إلى ردة فعل مضاعفة ضد الفصائل الفلسطينية في المخيمات، وبخاصة في أكبرها؛ مخيم اليرموك، في دمشق، حيث اعتبرت الفصائل شريكة في تسيير المسيرات لصالح النظام السوري، واتهمت بالتقاعس شأنها شأن الجيش السوري عن الدفاع عن المتظاهرين، فهتف الشباب أثناء الجنازة، «الشعب يريد إسقاط الفصائل»،[4] وكذلك هتفوا «بدنا نحكي ع المكشوف فصائل ما بدنا نشوف ... بدنا نحكي ع المكشوف قيادات ما بدنا نشوف». وعقب الجنازة، توجه مئات الشبان، إلى مبنى الخالصة التابع للجبهة الشعبية/القيادة العامة، وهو الفصيل الذي يعد تابعاً بشكل وثيق للنظام السوري، وكان في المبنى قيادات التنظيم، بمن فيهم الأمين العام، أحمد جبريل. وكان هؤلاء قد حضروا إلى المخيم للمشاركة في تشييع الشهداء، قبل أن يتضح الغضب الشعبي.[5]

كان المتظاهرون يريدون دخول المبنى أو خروج جبريل إليهم، ورفض الحراس وحاولوا تفريق المتجمهرين، دون جدوى. وأصبح هناك حصار للمبنى استمر حتى فجر يوم 7 يونيو (حزيران)، وعمل شبان على إحراق المبنى، لتتدخل قوات للجبهة، فرقت الجمهور،

1 رجا ديب، «مجموعة عائدون/سوريا»، **جريدة حق العودة**، العدد 53.

2 غسان محمد، «الحراك الشبابي الفلسطيني في سوريا: مهمات صعبة وآمال»، **مجلة الدراسات الفلسطينية**، العدد 91، صيف 2012.

3 رجا ديب، «مجموعة عائدون/سوريا»، مصدر سبق ذكره.

4 غسان محمد، «الحراك الشبابي»، مصدر سبق ذكره.

5 رجا ديب، «مجموعة عائدون»، مصدر سبق ذكره.

بعد سقوط قتلى، اثنان من المتظاهرين، وثلاثة من الجبهة.[1]

كانت النتيجة حذر فلسطيني من أي نشاط شبيه يوجه الحركة الشعبية إلى الحدود، فأصدرت مجموعة سمَّت نفسها «الحراك الشبابي الفلسطيني»، في 23 آذار (مارس) 2012، بياناً تدعو فيه إلى رفض المشاركة في المسيرة التي امتلأت دمشق بدعوات لها تحت عنوان «المسيرة العالمية لنصرة القدس»، واعتبرتها دعوات مشبوهة، وأعلن الحراك -الذي يعتقد أنه يضم مجموعات شبابية مختلفة، بما فيها شباب فصائل فلسطينية، وكان قد لعب دوراً فاعلاً في الدعوة إلى المسيرات في العام 2011- أنّه يوقف أي نشاط، في سوريا، في ضوء الظروف السائدة.[2]

بعد هذا صارت نشاطات الشباب الفلسطيني في سوريا ذات طابع إغاثي، للأهالي، إلا من انضم لأحد أطراف الصراع هناك. وتشكلت مجموعات صغيرة وأحياناً غير فاعلة، لتقديم المساعدة، بأسماء مثل جفرا، هيئة فلسطين الخيرية، مجموعة «عائدون»، أبناء البلد، حتما سنعود، مسرى، وبعضها تأسس قبل الأحداث.[3]

7-3 لبنان

إذا كانت مسيرة العودة العام 2011 من سوريا تبعها كمون في العمل الشبابي الفلسطيني، فإنّ الوضع في لبنان كان على العكس، فقد شهدت الساحة اللبنانية، نهضة في العمل الشبابي الفلسطيني، ولكن الملاحظ أنّ هذا العمل غير مسيّس (أشبه بما حدث في القدس بعد العام 2011)، يتعلق بشقين هما الثقافة والحياة اليومية، بل وهناك شق من هذا العمل للمطالبة بفتح باب الهجرة له. وكما سيتضح من الأسطر التالية، فإنّ هناك محاولات مأسسة وتشبيك بين الشباب الفلسطيني في لبنان، ولكن ربما الملاحظ أن مفردات هذه الشبكات؛ أي الوحدات المكونة لها، ما زالت تفتقد إلى التفعيل، كما يلاحظ أنّ جزءاً من حوافز بناء هذه «الأطر» هو التنافس الداخلي الفلسطيني، وبخاصة مواجهة مشاريع القيادي السابق في حركة «فتح» محمد دحلان. وهنا لا بد من

1 رجا ديب، «مجموعة عائدون»، مصدر سبق ذكره؛ وغسان محمد، «الحراك الشبابي»، مصدر سبق ذكره.

2 غسان محمد، «الحراك الشبابي»، مصدر سبق ذكره.

3 لمزيد من المعلومات، يمكن مراجعة أوس يعقوب، بوابة اللاجئين الفلسطينيين: https://bit.ly/2qieoqY

التنويه بأنّ أزمات عاشتها المخيمات مثل أزمة حرب نهر البارد، بين مجموعات سلفية فلسطينية وغير فلسطينية دخلت المخيم والجيش اللبناني، العام 2006، كانت حافزاً للشباب للتفكير بشكل جديد، وليس الربيع العربي فقط.

لقد شارك الآلاف في مسيرة النكبة في العام 2011، التي عرفت باسم «مسيرة العودة»، وتحديداً عبر قرية مارون الراس الحدودية، في جنوب لبنان، واستشهد عشرة فلسطينيين، برصاص الجيش الإسرائيلي.[1] أما في ذكرى النكسة، فقد أثمرت اتصالات وضغوط إلى إلغاء مسيرة العودة (2)، وتحويلها إلى إضراب في المخيمات، وبحسب صحيفة الأخبار اللبنانية، أدت ضغوط أميركية، ورفض الجيش اللبناني للمسيرة، خوفاً من تدهور الأوضاع في الجنوب، أدى إلى الإلغاء.[2] ولكن ساهمت، أيضاً، في إلغاء المسيرة حالة عدم الثقة التي تولدت لدى الشباب من الفصائل. وكما ورد في تقرير صحافي نقلاً عن أحد الشبان الذي كان ينتمي إلى فصيل معين، ويتحمس له «اكتشف والشباب المستقلّين الذين كانوا يحضرون اجتماعات لتنسيق المسيرة، أن الفصائل الفلسطينية والأحزاب اللبنانية المشاركة، عملت على استغلال المناسبة للتأثير على مجريات الأمور في سوريا، وأنهم، بسبب ذلك، رفضوا لاحقاً القيام بمسيرة في 5 حزيران (يونيو)، وبخاصة أن الضحايا الذين سقطوا والجرحى في مسيرة «العودة»، بدأت الفصائل تتسابق على تبنيهم، ما أوجد حالة من «القرف»، دفعت هذا الشاب المتحمس إلى فصيله، لاحقاً، إلى الاستقالة، ثم الهجرة».[3]

بعد الربيع العربي، وبالتزامن مع مسيرة العودة تقريباً، ولد مفهوم المبادرات الشبابية في مخيمات لبنان المختلفة، وبدأت تتشكل حركات أو مجموعات شبابية في مخيمات مختلفة، فمثلاً تشكلت في مخيم عين الحلوة مبادرة شبابية بعد خلافات داخل المخيم على الحواجز، وفي العام 2012، كان نظام تقييد الدخول والخروج من مخيم نهر البارد، وفق نظام التصاريح، ما زال قائماً بعد 6 سنوات من انتهاء الصدامات هناك، فتشكل إطار شبابي باسم «الحراك الشبابي الفلسطيني»، ونجح الحراك في إلغاء نظام التصاريح، ما أعطى للحراك دفعة كبيرة. وفي مخيم البداوي، نظمت حملة شبابية بعنوان «كرامتي

1 داني الأمين وقاسم س. قاسم، «نكبة مارون الراس: 10 شهداء وأكثر من 112 جريحاً»، **الأخبار**، 16 أيار (مايو) 2011.

2 قاسم س. قاسم، «نكستان في 5 حزيران: إلغاء (مسيرة العودة- 2)»، **الأخبار**، 3 حزيران (يونيو) 2011.

3 أنيس محسن، «الحراكات الشبابية الفلسطينية في لبنان بين «العودة» و«تحسين مستوى المعيشة»»، **صحيفة الأنباء**، 27 آذار (مارس) 2017.

خـط أحمـر»، ثـم تشـكل حـراك الشـباب الشـعبي، ومـن أهـم أهدافـه وقـف فـوضى حمـل السـلاح في المخيـم، وتواصلـت الحمـلات الشـبيهة، وبعضهـا مجـرد نشـاط عـلى وسـائل التواصل الاجتماعـي، ولكـن التفكـير انتقـل بـين العامـين 2012 و2013، إلى تشـكيل «شـبكة شـبابية فلسـطينية».

ويبـدو أنّ فكـرة المبـادرات الموقعيـة، ثـم التشـبيك بينهـا، هـي الفكـرة البديلـة لحـراك المليونيـات الـذي حاولـت مسـيرات العـودة تطبيقـه. وإذا كانـت المبـادرات الموقعيـة، كثـيرة، وبعضهـا مجـرد أفـكار تـم التعبـير عنهـا بتجمعـات افتراضيـة عـلى وسـائل التواصـل الاجتماعي، فـإنّ الشـبكات أو الأطـر الجامعـة يمكـن أن تعكـس تفكـير الشـباب الفلسـطيني، في لبنـان، ويمكـن الإشـارة فيـما يـلي إلى مجموعـة مـن هـذه الشـبكات.

- **هيئـة تنسـيق عمـل الأنديـة الثقافيـة الفلسـطينية المسـتقلة:** كان للأنديـة الثقافيـة في المخيـمات والجامعـات، حضـور، وتشـكلت نحـو العـام 2011، شـبكة الأنديـة الثقافيـة تحـت اسـم «هيئـة تنسـيق عمـل الأنديـة الثقافيـة الفلسـطينية المسـتقلة»، وتضـم أنديـة طلابيـة شـبابية بالدرجـة الأولى، أهمهـا: النـادي الثقـافي الفلسـطيني العـربي؛ النـادي الثقـافي الفلسـطيني في الجامعـة الأميركيـة؛ النـادي الثقـافي الفلسـطيني في الجامعـة اللبنانيـة الأميركيـة؛ النـادي الثقـافي الفلسـطيني في جامعـة بـيروت العربيـة؛ النـادي الثقـافي الفلسـطيني ـــ شـاتيلا، ويتضمـن التنسـيق والمسـاعدة في الترويـج للنشـاطات والعمـل معـاً،[1] وهـي نشـاطات تتعلـق باحتفـالات فنيـة ومحـاضرات ومـا إلى ذلـك.

- **الشـبكة الشـبابية الفلسـطينية:** يعـود تشـكيل هـذه الشـبكة إلى العـام 2011 أيضـاً، في وقـت سـابق لمسـيرة النكبـة، كإطـار عـام يرعـى المبـادرات الفلسـطينية في المخيـمات، وفعـلاً تشـكلت شـبكة تغطـي مخيمـي شـاتيلا وبـرج البراجنـة في بـيروت، ومخيمـي نهـر البـارد والبـداوي في الشـمال، ومخيـم عـين الحلـوة في صيـدا، ومخيـمات الرشـيدية وبـرج الشـمالي والبـص في صـور. وهـدف الشـبكة تنسـيق الجهـود للدفـاع عـن حقـوق الفلسـطينيين في ظـل الظـروف الخاصـة في لبنـان.[2] وكـما حـدث في أماكـن أخـرى، أبـدى

1 المصدر السابق.

2 أيمن فرغاوي، «الشباب الفلسطيني في لبنان .. آلام تهدم آمال»، **موقع عاصمة الشتات**، www.asematalshatat.com:2014/1/29

الشباب استياءهم من الأداء القيادي الفلسطيني، فأعلنوا أن «القيادة الفلسطينية في لبنان بمختلف أوجهها، ولا نستثني أحداً إطلاقاً، باتت أصغر بكثير مما نصبو إليه، وليس خفياً على أحد مستوى العجز والتراجع والفساد الذي أمعن فيها».[1]

استمر ظهور حملات في المخيمات اللبنانية، فمثلاً في العام 2014، قامت مجموعات شبابية فلسطينية بتنظيم حملة بعنوان «طبّق نظامك»؛ بهدف تطبيق النظام الداخلي للجان الشعبية للخدمات في المخيمات، الصادر في نيسان 2010 عن دائرة شؤون اللاجئين في منظمة التحرير الفلسطينية، وبما ينهي الفوضى في المخيمات.[2]

- **أطر محمد دحلان:** شكل خروج أو إخراج محمد دحلان، عضو اللجنة المركزية السابق في حركة «فتح»، العام 2011، من الحركة، عاملاً في تشكيل أو استقطاب قطاعات شبابية فلسطينية، ودعمها، عبر مؤسسات أبرزها المركز الفلسطيني للتواصل الإنساني (فتا) الذي تقوده جليلة دحلان، زوجة محمد دحلان، وتموله منظمات وشركات غير ربحية.

يعلن «فتا» على موقعه على الإنترنت: «يعتمد المركز، بشكل أساسي، على جهود المتطوعين الشباب في تنفيذ نشاطاته المختلفة الموجهة إلى الأسر الفقيرة المهمشة في المناطق المستهدفة في قطاع غزة والمخيمات الفلسطينية في الضفة الغربية وسوريا ولبنان». وقد بدأت زيارات جليلة دحلان للمخيمات اللبنانية منذ مطلع العام 2013،[3] وفيما تقود نشاطاتها من خلال «فتا»، فإنّ نشاطات أخرى تخصص للشباب، بشكل خاص، تحت عنوان «مشروع التمكين الاقتصادي للشباب الفلسطيني ومؤسسات المجتمع المدني»، يشرف عليها شخص آخر، فصل من حركة «فتح» لقربه من دحلان، هو إدوار كتورة، وهو مسؤول سابق في السفارة الفلسطينية في لبنان، وبدأ عمله، بداية، من خلال شركة تسمى «بيرسو» (Pursue LTD)، ثم انتقل إلى شركة تسمى «آرك» (ARK)، تعرف نفسها على أنها «شركة للاستقرار والتنمية»، تهدف إلى «إيجاد فرص والتغيير الاجتماعي المستدام البناء»، وتسعى إلى «السلام،

1 أنيس محسن، مصدر سبق ذكره.

2 إيفا الشوفي، «المخيمات الفلسطينية، الوضع نحو الأسوأ»، **الأخبار**، 20 نيسان (أبريل) 2015.

3 آمال خليل، «زوجة دحلان في المخيمات، قلق في «فتح»»، **الأخبار**، 2 تموز (يوليو) 2013.

والعدل، والمؤسسات القوية، وتقليل عدم المساواة، والمساواة بين الجنسين، والشراكة للوصول إلى الأهداف». ولا تحدد المؤسسة جنسيتها، ولكنها تشير إلى مشاريع نفذتها لصالح الأمم المتحدة، ووزارة الخارجية الأميركية، ووزارة الدفاع البريطانية، وحكومات أوروبية أخرى، وكندا واليابان.[1]

في آذار (مارس) 2017، تحدث كتورة في ورشة عمل في منطقة صور، حضرها عدد كبير من الشباب الفلسطيني، لشرح «مشروع التمكين الاقتصادي للشباب الفلسطيني ومؤسسات المجتمع المدني»، متحدثاً عن «شركة آرك بكلمة شرح بها طبيعة إطلاق الشركة الجديدة لتحل مكان شركة بيرسيو التي اعتبرها غير مؤهلة للقيام بمثل هذه المشاريع الضخمة»، موضحاً أهداف المشروع، ومنها تحسين أوضاع اللاجئين، وخفض النزاعات في المخيمات. وقال إنّ مشاريع «آرك» تمولها وكالة التنمية الدولية البريطانية. كما شملت الورشة المذكورة تعريف الحضور على مندوبين للشركة في المخيمات.[2]

وكان كتورة، قد نفى إبان عمله في بيرسو، أنّ مشاريعه (وبلغ عددها، آنذاك، كما يقول 85 مشروعاً)، يمولها دحلان، ولكنه أكد علاقته الوثيقة مع محمود عيسى، الملقب بـ«اللينو»، المسؤول العسكري السابق، في حركة «فتح»، الذي يعد محور نشاط دحلان في لبنان، ويؤكد أن علاقة اللينو بالشباب في المخيمات هي التي سمحت له ولمؤسسته بالاستمرار بالعمل على الرغم من حظر فرضه عليه الرئيس الفلسطيني محمود عباس.[3] ويمول كتورة (عبر الشركات التي عمل بها) مؤسسات شبابية، تذكر منها صحيفة الأخبار، مشروع «أحلام لاجئ»، الذي يشرف عليه «شاب مفصول» من العمل في مكاتب منظمة التحرير الفلسطينية.[4] ولا ينفي كتورة علاقته بمشروعات شبابية في المخيمات محور عملها الدعوة إلى «إصلاح الوضع، وتطوير

1 موقع الشركة: www.arkgroupdmcc.com

2 «آرك» تطلق مشروع التمكين الاقتصادي للشباب والمؤسسات الفلسطينية في مخيمات جنوب لبنان»، **موقع مخيم الرشيدية**، 29 آذار (مارس) 2017.

3 ثائر غندور، «دحلان ومخيمات لبنان: استثمار سياسي وهجرة مشبوهة وشراء ولاءات، **العربي الجديد**، 15 أيار (مايو) 2014.

4 أيهم السهلي، «كتورة: بريء والدحلان من دم التهجير؟»، **الأخبار**، 4 آذار (مارس) 2014.

اللجـان الشـعبية، ومنظمـة التحريـر، كممثـل شرعـي ووحيـد قـولاً وفعـلاً».[1] ويقـر أنّـه مسـؤول عـن إيصـال تمويـل مـن مؤسسـة «فتـا» إلى مشـاريع في المخيـمات، وأنـه عـلى علاقـة مـع اللينـو، ويقـول إنّهـم يشـكلون «حالـة اعتراضيـة تدعـو إلى الإصـلاح داخـل فتـح ومنظمـة التحريـر»، في اقـتراب مـن إقـرار عضويتـه في مـا يسـمى التيـار الإصلاحـي في حركـة «فتـح» الـذي يقـوده دحـلان.[2]

ربمـا لا يـأتي تمويـل جميـع المشروعـات الشـبابية التـي يـشرف عليهـا كتـورة، مـن دحـلان، ولكـن تسـهيل دحـلان وزوجتـه ذلـك، يبـدو مثبتـاً بواقـع تصريحـات كتـورة، فضـلاً عـن أنـه يشـكل جـزءاً مـما قـد يسـمى تيـار دحـلان في لبنـان. ولكـن النجـاح في تكويـن تيـار فعـلي وإطـار عمـل فاعـل، يحتـاج إلى مـرور مزيـد مـن الوقـت عـلى هـذه التجـارب، حتـى يكـون بالإمـكان تقييمهـا.

مجموعة شبابنا والاتحاد العام لطلبة فلسطين

هنـاك شـبه اتفـاق عـلى أنّ نشـاطات مؤسسـة «فتـا» وجليلـة دحـلان و«إنشـاؤها جمعيـات شـبابية وأنديـة ثقافيـة، أجـبرت حركـة «فتـح» عـلى مواجهتهـا».[3] وكـرد أسسـت فصائـل وقـوى مضـادة إطـاراً اسـمه تجمـع المنظـمات الشـبابية والطلابيـة الفلسـطينية في لبنـان (شـبابنا).[4] وقـد أطلـق التجمـع في مبنـى المستشـارية الثقافيـة للسـفارة الفلسـطينية، في لبنـان، يـوم 6 آذار (مـارس) 2014.[5] وأعلـن أنـه يضـم أذرعـاً شـبابيةً للفصائـل الفلسـطينية.[6]

وقـد تزامـن إطـلاق هـذا التجمـع مـع تظاهـرات وحملـة «الحـق بالهجـرة»، وقـد وجهـت للجمعيـات والهيئـات التـي يـشرف عليهـا إدوار كتـورة أو مـا وصـف بأنّـه «تيـار دحـلان»، أنّـه شـجع مـا عـرف باسـم حملـة «الحـق بالهجـرة»، التـي أخـذت، بدايـة، شـكل دعـوات عـلى فيسـبوك، ثـم تظاهـرات في مخيـمات شـمال لبنـان وعـين الحلـوة، وبدايـة لم ينظـر إلى

1 المصدر السابق.

2 المصدر السابق.

3 «جليلة دحلان ليست Persona non Grata»، **الأخبار**، 5 آذار (مارس) 2014.

4 «لوموند»: دحلان رجل «الثورة المضادة» في العالم العربي»، **مونتي كارلو الدولية**، 9 تشرين الأول (أكتوبر) 2017: http://bit.ly/2urYFs3

5 «اجتماع للمنظمات الشبابية والطلابية الفلسطينية في لبنان»، **موقع جنوبية**، 13 آذار (مارس) 2014: http://bit.ly/2JomhCm

6 «إطلاق «تجمع المنظمات الشبابية والطلابية الفلسطينية في لبنان» من أجل توحيد الجهود»، **النهار**، 6 آذار (مارس) 2014.

الدعـوات أنهـا جديـة، ولكـن الأمـر تطـور. ونفـى كتـورة هـذه التهمـة، «لا أشـجع الهجـرة، ولكـن لا يمكـن أن أكـون ضدهـا».[1] وقـد اعتُـبِرَ إطـلاق تجمـع «شـبابنا» هـو جـزء مـن رد السـفارة الفلسـطينية، عـلى هـذه الحملـة.[2]

وقـام التجمـع بالإعـلان عقـب تأسيسـه عـن سلسـلة نشـاطات غلـب عليهـا الطابـع الثقـافي والإعلامـي، مثـل الدعـوة إلى الاسـتماع للنشـيد الوطنـي الفلسـطيني في مـدارس المخيـمات، ومثـل عـرض أفـلام ونـدوات، فضـلاً عـن القيـام بوقفـات واعتصامـات في مناسـبات وطنيـة.

في العـام 2017، وتحديـداً في 24 كانـون الأول (ديسـمبر)، اسـتضافت سـفارة فلسـطين، مـا وصف أنّـه المؤتمـر العـام الأول «للاتحـاد العـام لطلبـة فلسـطين- فـرع لبنـان»، بعنـوان «القـدس عاصمـة فلسـطين الأبديـة»، فيـما يبـدو أنّـه رد عـلى القـرار الأميركي الاعـتراف بالقـدس عاصمـة إسرائيليـة في ذلـك الشـهر ذاتـه. وقالـت مصـادر المؤتمـر أنّـه ضـم مندوبـين عـن مناطـق طلابية مختلفـة في لبنـان، جـاؤوا بالتوافـق، دون انتخـاب، بحجـة أنّ الجامعـات اللبنانيـة تمنـع ذلـك، وحضـور ممثلـين عـن الكتـل الطلابيـة، لحركـة «فتـح»، والجبهـة الديمقراطيـة لتحريـر فلسـطين، وحـزب الشـعب، وجبهـة النضـال الشـعبي، وجبهـة التحريـر الفلسـطينية، فيـما قاطعتـه الجبهة الشـعبية لتحريـر فلسـطين، وجبهـة التحريـر العربيـة. وأعلـن كذلـك مكتـب يسـمي نفسـه «مكتـب خدمـات الطلبـة الفلسـطينيين»، ويزعـم أنـه يضـم 1500 طالـب مسـتقل، ويؤمّـن منحـاً تعليميـة، مقاطعتـه. كـما قاطعتـه الكتـل الطلابيـة التابعـة لحركتـي «حـماس» و«الجهـاد الإسـلامي»، حيـث أعلـن محمـد سـالم، «رئيـس الرابطـة الإسـلامية لطلبـة فلسـطين»، التابعـة لحركـة «حـماس»، أنّـه لم يتـم إطلاعهـم عـلى الإعـدادات للمؤتمـر، أمـا ممثـل منظمـة «الشـبيبة الطلابيـة» التابعـة للجبهـة الشـعبية، فـبرر المقاطعـة، بعـدم تطبيـق دسـتور الاتحـاد بمـا يتيـح لـكل الطلبـة الانتـماء لـه، وفـق الآليـة المحـددة بالدسـتور. بـدوره، أكـد يوسـف أحمـد، رئيـس «اتحـاد الشـباب الديمقراطـي الفلسـطيني- أشـد»، التابـع للجبهـة الديمقراطيـة، أنّ الاسـتعدادات بـدأت العـام 2015، وأن ثلاثـة آلاف عضـو انضمـوا إلى الاتحـاد.[3]

1 أيهم السهلي. «كتورة: بريء والدحلان من دم التهجير؟»، **الأخبار**، 4 آذار (مارس) 2014.

2 قاسم س. قاسم، «موسم الهجرة من لبنان»، **الأخبار**، 4 آذار (مارس) 2014.

3 زينـب زيـون، «الاتحـاد العـام لطبـة فلسـطين- فـرع لبنـان يعقـد مؤتمـره الأول وسـط تشـكيك ومقاطعـة كتـل طلابيـة واسـعة»، **موقـع بوابـة اللاجئـين الفلسـطينيين**، 29 كانـون أول (ديسـمبر) 2017: https://bit.ly/2yDjQJy

اللافت أنّ إحياء الاتحاد في لبنان جاء بعد 25 عاماً من توقفه، وبضغط مورس على دائرة الاتحادات والمنظمات الشعبية الفلسطينية في منظمة التحرير الفلسطينية.[1]

حملة المخيمات تقاطع

أعلن في العام 2015 عن حملة بعنوان «المخيمات تقاطع» بالاتصال مع حملة المقاطعة الأصلية (BDS)، وأعلنت مخيمات منها برج البراجنة، وشاتيلا، والبداوي، ونهر البارد، تشكيل لجان انضمت إلى الحملة. وهذه الحملات، على الرغم من أنها أيضاً متخصصة وذات هدف محدد، فإن ما يميزها، ربما، أنها تقوم على «التشبيك» مع إطار واسع هو حملة المقاطعة المنتشرة حول العالم.

8-3 الولايات المتحدة الأميركية

مع النصف الثاني من العقد الأول من القرن الحالي، كانت العوامل تتكامل لكي تشهد القطاعات الطلابية والعربية في الولايات المتحدة الأميركية نوعاً من النهضة؛ فبدايةً، أدى الانقسام الفتحاوي الحمساوي إلى تقليل الاهتمام بالفصائل لصالح المزيد من الوحدة المجتمعية، وهذا ما تجسد، مثلاً، في محاولة تطوير شبكة الجاليات الفلسطينية، سالفة الذكر، ثم جاءت حملة (BDS) لتقدم للشباب والطلاب آلية عمل ممكنة، وهذا تلقى دفعة من تبني أساتذة جامعات فلسطينيين ومناصرين لفكرة المقاطعة الأكاديمية، وقد جاءت حروب غزة العامين 2008 و2009، لتعطي دفعة للشعور بضرورة فعل شيء. لذلك، عندما جاء العام 2011 وحتى 2018 على الأقل، برزت عناوين عدة في العمل الشبابي الفلسطيني في الولايات المتحدة، تفوقت نسبياً من حيث انتشارها واتساعها، وحتى محاولة بلورة أفكار متقدمة في التنظيم، عن ساحات عمل فلسطينية أخرى. ويمكن الإشارة إلى عنوانين برزا في هذه المرحلة على وجه التحديد، دون إغفال مجموعات أشير إليها في الفصل الثاني، وأخرى نشأت دون أن تحقق الانتشار ذاته، وسيشار إلى بعضها في سياق الحديث عن المجموعتين الأساسيتين؛ الأولى «طلبة من أجل العدالة في فلسطين»، والثانية «حركة الشباب الفلسطيني – فرع الولايات المتحدة».

1 «الديمقراطية تحصد 45 بالمئة من تنسيبات الاتحاد العام لطلبة فلسطين»، **نداء الوطن**، 24 تموز (يوليو) 2017: https://bit.ly/2JygpIB

طلبة من أجل العدالة

أدت تجربة حملة المقاطعة من قبل مجموعة «طلبة من أجل العدالة في فلسطين»، العام 2010 إلى تشجيع تأسيس فروع جديدة للمجموعة، وجاء تأسيس «طلبة من أجل العدالة في فلسطين» العام 2010، لتوفر عنواناً للطلبة للتشاور والتباحث والتنسيق بين فروع مجموعات «طلبة من أجل العدالة في فلسطين». وبدأت حملة المقاطعة تتقدم، وجاءت حرب العام 2014 لتقدم وقوداً جديداً لتأييد المقاطعة، ولتوسع مجموعات «طلبة من أجل العدالة»، لدرجة أنه مع العام 2017، أصبح هناك نحو 200 فرع للمجموعة حول الجامعات الأميركية، استطاعت في الوقت ذاته، أن تمرر نحو 40 قراراً في الجامعات، تؤيد مقاطعة الشركات التي تدعم الاحتلال.[1]

على الرغم من أنّ الشبكة لا تصل إلى مرحلة تنظيم مركزي، وهي إطار تنسيقي أكثر منه قيادة مركزية، فإنها تعكس الإيمان بضرورة الانتقال إلى مرحلة جديدة في المأسسة، ولكن مع الخشية التقليدية من فكرة التنظيم المركزي.

شهد التركيب الديمغرافي لهذه المجموعات تطوراً ذا مغزى، فبين العامين 2003- 2010، كانت غالبية أعضاء المجموعات، وقادتها، طلبة أميركيين (بيض) ومعهم يهود، ولكن مع العام 2018، أصبح نحو ثلث الأعضاء الناشطين فلسطينيين، وأصبح ثلثهم الثاني عرباً ومسلمين، وثلث آخر من الفئات الأخرى، ما يعني، عملياً، تحول حملة التضامن من إطار خارجي إلى إطار فلسطيني.

هذا التغير في التركيبة الديمغرافية رافقه تغير في طبيعة الخطاب، فقد كانت المجموعات قبل العام 2010، تركز على مواضيع حقوق الإنسان، ووضع فلسطين في سياق القضايا العالمية التي تحتاج إلى حل وعدالة، وحتى الجندر، وقضايا البيئة، ولكن دخول العنصر الفلسطيني، زاد التركيز على موضوع حق تقرير المصير، والتحرير، كما أنّه صار هناك اقتراب أكثر من الحديث عن فلسطين ككل، لا عن الضفة الغربية وقطاع غزة فحسب (وهذا مهم لخلق إطار جامع) في الوقت ذاته هذا لم يؤدِّ إلى حصر النظر للقضية الفلسطينية في سياق إسرائيلي – فلسطيني فحسب، بل على العكس من ذلك، تم ربط

1 National Students for Justice in Palestine, About US, https://www.nationalsjp.org/about-nsjp.htm.

النضال الفلسطيني بالصراع ضد الاستعمار، وحركة نضال السود للتحرر، ونضال الهنود الحمر للسيادة وضد الطمس، وكجزء من نضال ضد التمييز ضد اللاجئين والمهاجرين، وضد عسكرة الحدود المكسيكية الأميركية. ولعملية الربط هذه دور مهم، لوضع إسرائيل في صف القوى التي تمارس العنصرية والانتهاكات ضد حقوق الإنسان، وجعل التضامن مع الفلسطينيين جزءاً من التضامن مع كل ذلك.

يمكن رؤية مثال عملي على النزعة الفلسطينية لتشجيع خطاب النضال المشترك، في مؤتمر الحملة الأميركية للحقوق الفلسطينية العام 2013، وفي المؤتمر الوطني لطلبة من أجل العدالة، في العام 2013، وفي كليهما جرى السعي إلى تعميق الروابط بين النضال الفلسطيني والنضال للعدالة والحرية داخل الولايات المتحدة الأميركية.

أصبحت حركة الطلاب التضامنية، وبخاصة حركة «طلبة من أجل العدالة» هي الجزء الأكثر حيوية وقوة في حركات التضامن الفلسطينية المختلفة في الولايات المتحدة، ما جعلها مركز الهجوم الصهيوني، بدءاً من حملات التشهير، وجمع المعلومات عن قيادات «الحركة»، ووصفهم باعتبارهم إرهابيين، أو متضامنين مع الإرهابيين، أو لاساميين. وهدفت هذه الحملات، وبخاصة عبر الإنترنت، إلى منع هؤلاء الشبان من دخول فلسطين (بحيث يسهل على شرطة الحدود الإسرائيلية وقوة الأمن العثور على معلومات عنهم حتى لو بمجرد البحث في المطارات عن أسمائهم)، وتقليص فرصهم في الحصول على عمل، وبالتالي إعاقة النشاط لأجل فلسطين.

معلم آخر من الحملة الصهيونية، تحريض إدارات الجامعات ودفعها إلى التضييق على النشاطات المتعلقة بفلسطين في جامعاتهم، وبالتالي تم إبعاد طلبة، وجمدت وحظرت نشاطات بين الطلاب. وعلى سبيل المثال، في العام 2011، وبضغط من الجامعات الصهيونية، تقدمت إدارة جامعة UC Irvine، بشكاوى ضد 8 طلاب من UC Irvine، و3 من UC Riverside، بسبب مقاطعتهم خطاباً للسفير الإسرائيلي في الحرم الجامعي. ووجه هذا رسالة بأنّ نشاطات التضامن ومناهضة إسرائيل يمكن أن تؤدي إلى محاكمة.

وقد جرى شيء شبيه مع طلبة من أجل العدالة في جامعات أخرى، من طرد طلاب وملاحقات قضائية، طالت، أيضاً، أكاديميين، وكانت إحدى الحالات الشهيرة، حالة دكتور

ستيفين سلايطة، بسبب تغريدات على تويتر ضد الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة.[1]

هذه الهجمات الإسرائيلية الممولة والمنسقة، لم تؤدِّ، بالضرورة، إلى التراجع، بل حفزت، في حالات، الشجاعة والإصرار على المضي في هذه الطريق. وحدث تطور نوعي في النشاط لأجل فلسطين والتضامن معه. فمثلاً، تأسست مجموعات أو أطر متخصصة من حيث عضويتها أو وظيفتها. وعلى سبيل المثال، نشأت مجموعة «فلسطين القانونية» ((Palestine Legal، وتضم محامين متفرغين تماماً للدفاع عن الطلاب، سواء ضد الملاحقات القضائية والقانونية بحقهم، أو هجمات التشهير والإيذاء. وعدا عن الدفاع القانوني عن الطلاب والأفراد، تسعى هذه المجموعة، بالتعاون مع جهات مثل «صوت يهودي للسلام»، ومركز الحقوق الدستورية، إلى التصدي لكبت الحريات، ووضع قواعد ترفض حالات من الرقابة

1 حضر الباحث وشارك في سياق إعداد هذا البحث، في ورشة عمل من يوم كامل و4 جلسات عمل، في المؤتمر العالمي للدراسات الشرق أوسطية، WOCMES2018، في إشبيلية في إسبانيا، وكانت جلسات اليوم كما يلي:

Panel 1. From 1492 to 1968: historicizing and framing Teaching Palestine: Pedagogical Praxis and the Indivisibility of Justice (1/4).

Nacira Guenif, University of Paris 8 Vincennes-Saint-Denis (France): 'Indigenes ad Autochthones in Time of Post/Coloniality: Teaching from the Invisible'

Rosalind Petchesky, Hunter College and the Graduate Center, City University of New York: 'Can the 'Infiltrators' Speak? Teaching the History of Racism and White Supremacy in Zionist Ideology and Practice'

Rabab Ibrahim Abdulhadi, Arab and Muslim Ethnicities and Diasporas Studies, San Francisco State University (USA): 'The Spirit of 68 in Context: Islamophobia, Coloniality, and Emancipatory Pedagogies'

Panel 2. Comparative perspectives on Teaching Palestine and Decolonizing the Curriculum (2/4).

Jaime Veve, Puerto Rican Independence and Palestine Labor Independent Scholar (USA): 'Teaching Colonialism, Neoliberalism, and Resistance from Puerto Rico to Palestine'.

Rayan El-Amine, Issam Fares Institute for Public Policy and International Affairs, American University of Beirut (Lebanon): 'Palestine in the Arab «North»: Teaching Palestine at American Universities in the Arab World

Ahmad Azem, Ibrahim Abu Lughod Institute for International Studies, Birzeit University, Palestine: 'Teaching Palestine in Palestinian Higher Education Institutions'

Panel 3. Censoring Palestine: Islamophobia, New McCarthyism and Campus Politics (3/4).

Saliem Shehadeh, University of California-Los Angeles

Saed Abu Hijleh, Political Geography, An-Najah National University, Nablus (Palestine): 'Palestinian Education under Israeli Occupation: Pedagogical and Ethical Implications'.

Brooke Lorber, Women's and Gender Studies, Sonoma State University, USA & Halla Keir, Occidental College (USA): 'The Practice of Coalition: Palestine Solidarity and the Student Movement at Occidental College'

Amani Azzaidani, Public Health; Washington; Enrico Doan, School of Law, University of Washington; & Mennah El-Gammal, Political Science, University of Washington (USA): 'Surveillance, Censorship, and Punishment: Selective Free Speech and the Suppression of Palestine on University Campus'.

Panel 4. Closing Plenary/Roundtable Discussion: Critical Questions & Future Directions for Palestine Studies: (4/4).

Saed Abu Hijleh, Political Geography, An-Najah National University (Palestine)

Na'eem Jeenah, Afro-Middle East Centre, Johannesburg (South Africa).

Rayan El-Amine, Issam Fares Institute for Public Policy and International Affairs, American University of Beirut (Lebanon).

Rosalind Petchesky, Emerita Distinguished Professor of Political Science, Hunter College and The Graduate Center, City University of New York.

Rabab Ibrahim Abdulhadi, Arab and Muslim Ethnicities and Diasporas Studies, San Francisco State University (USA).

وتقييد الحريات. كذلك حفز النشاط الطلابي والأكاديمي ورد الفعل الصهيوني، منظمات غير حكومية لتخصيص المزيد من الوقت والموارد والجهد للموضوع الفلسطيني، ونمت شبكة المنظمات غير الحكومية الفلسطينية، الأكثر تنظيماً مع درجة من المركزية في العمل، مع ميل كبير لجعل المقاطعة و(BDS) نقطة ارتكاز، ما شجع نشوء شبكة المقاطعة، وجعل من الجمعيات المدنية إطاراً للعمل عوّض، أو بدا بديلاً، عن كيان وطني فلسطيني ينظم عملهم ويؤطره، وبديلاً لغياب إطار حركة تحرر وطنية.

هذا كله لا يلغي أن الافتقار إلى المؤسسة ذات المركزية، يجعل من الصعب تشكيل مواقف محددة وسريعة في كثير من الأحيان. ولا توفر الآلية الموجودة حيزاً للنقاش في قضايا مختلفة، ومنها، على سبيل المثال، الربيع العربي، والموضوع السوري، وهو موضوع جذب بعض الشباب الفلسطيني لأخذ موقف منه. كما أنّه بعد إنجاز مهمات تشكيل المجموعات، والدخول في عدد من الحملات، أُثيرت هناك تساؤلات حول سقف البرامج المطروحة، بما في ذلك سقف (BDS) على وجه الخصوص، وهو ما برز بشكل محدد في مؤتمرات «طلبة من أجل العدالة» السنوية، وبخاصة في مؤتمر 2015، عندما قدمت مجموعة من جامعة (New York City) ورقة عمل عنوانها «سقف BDS»، تتحدث عن محدودية المتوقع من حملة المقاطعة، ما أدى إلى جدل وخلاف مع مجموعة «طلبة من أجل العدالة» في الجامعة المذكورة، وإلى إشارة إلى أن آراءهم تعكس موقفاً أيديولوجياً يسارياً، لا يعكس موقفاً طلابياً خالصاً، بل أطراف خارجية، وبخاصة، مع استخدام أوصاف مثل «الليبرالية الجديدة» في الإشارة إلى (BDS)، وجرى انتقاد المجموعة لنقل النقد للعلن، ما يؤثر على زخم المقاطعة، وعلى ثقافة منظمة «طلبة من أجل العدالة». في المقابل، اتهمت مجموعة نيويورك اللجنة التوجيهية لـ«طلبة من أجل العدالة» بأنهم لا يراعون العملية الديمقراطية، في النقاش، وتشكيل المجموعات، وأن المنظمات غير الحكومية والحلفاء الداعمين يتدخلون في عملهم، وبالتالي لا يضعون المقاومة، والتحرير، والعودة في صلب خطابهم.

تفجر الخلاف والتوتر في مؤتمر 2015، في ساندييغو، وبخاصة مع رغبة أعضاء في المجموعات تطوير البنية الهيكلية للمجموعات، لتتمكن من الاستمرار بعد مغادرة عدد من المؤسسين اللجنة الوطنية التوجيهية. ولم يجرِ تقليص التوتر إلا بعد خلافات

حادة ووساطات، أدت إلى احتواء الموقف دون حله نهائياً، وبحيث أمكن متابعة تحقيق انتصارات لصالح المقاطعة. ولكن الخلاف أوضح مجدداً عدم وجود تصور واضح لتقدم العمل الفلسطيني، والانقسام بين الإلحاح على الانتقال للمأسسة، والخوف من ذلك. ومن ضمن القضايا التي برزت، هي العلاقة بين المتضامنين الأجانب والناشطين الفلسطينيين، ومن صاحب القرار؟ وهي المشكلة ذاتها التي برزت بين صفوف حملة التضامن الدولية (ISM)، في فلسطين. في سياق احتجاج نيويورك ذاته، حاول طلاب يعملون ضمن مجموعات «طلبة من أجل العدالة» تطوير رؤى أكثر ثورية، وأكثر فلسطينية، وأوسع مدى في التفكير، وفي هذا السياق تشكلت في تكساس مجموعة «لجنة التضامن الفلسطينية»، العام 2016، لتكون ممثلة للطلبة الفلسطينيين تحديداً. وفي العام 2018، أعلن تأسيس منظمة تسمى «في أثناء عمرنا» (Within our Lifetime)، وتتعاون مع لجنة التضامن، التي أعلنت في تكساس وكلتاهما تنسقان مع (PYM) فرع فلسطين، وشكلت قيادة المجموعتين جزءاً من قيادة عنوان جديد، صار يعرف باسم «حركة الشباب الفلسطيني – الولايات المتحدة» ((Palestinian Youth Movement (PYM- USA)).

حركة الشباب الفلسطيني Palestinian Youth Movement (PYM- USA)

تأسست حركة الشباب الفلسطيني، تحت اسم (شبكة الشباب الفلسطيني) في برشلونة العام 2006، وضمت شباباً فلسطينياً من أوروبا، وفلسطين، والعالم العربي، وعقد مؤتمرها التأسيسي في مدريد العام 2008، بحضور 150 شاباً من 33 دولة. وبين العامين 2008 – 2011، شكلت الشبكة عدداً من الوفود، وقامت بحملات، وحركات احتجاج، ومخيمات ومدارس صيفية. وكان الهدف هو تنشيط دور الشباب في النضال الوطني، وإعادة الروابط بين فئات الشعب الفلسطيني، داخل فلسطين وخارجها، وبغض النظر عن التباينات الأيديولوجية وحتى السياسية. وسعت الشبكة إلى تجديد المشروع الوطني ككل، وإلى اختراق إطار أوسلو، الذي قوض الدور الحقيقي لمنظمة التحرير الفلسطينية، وشوّش الرؤية الإستراتيجية والبرنامج السياسي للشعب الفلسطيني.

في لقاء الجمعية العامة للشبكة في إسطنبول العام 2011، انتقلت الشبكة وتحولت حركة. ولعل هذا مؤشر على الوعي المبكر بأهمية الانتقال من أشكال الحراك والشبكة إلى

الحركـة.

بنـاء عـلى مـا سـلف، تأسسـت حركـة الشـباب الفلسـطيني في الولايـات المتحـدة، فرعـاً لتلـك الحركـة. وتبـع هـذا التغيـير تحـولات في هيكليـة الحركـة وميثاقهـا، وأدى إلى إنشـاء مجلـس سـياسي مركـزي يهـدف إلى تطويـر نظريـة ورؤيـة سياسـية وخطـط عمـل ومناهـج ليتـم تبنيهـا مـن قبـل أعضـاء فـروع حركـة الشـباب الفلسـطيني، في ثـلاث عـشرة دولـة، حـول العـالم، ومـن قبـل أعضـاء الحركـة في بلـدان أخـرى.

تبـت الحركـة في العـام 2012 مواقـف سياسـية لتكـون منطلقـات لعمـل الفـروع، مـع السـعي إلى جعـل المؤتمـرات المسـتمرة، والمـدارس الصيفيـة والنشـاطات مدخـلاً لإدمـاج الشـباب في عمليـة جمعيـة تنتـج عنهـا رؤيـة الحركـة وإسـتراتيجياتها، فضـلاً عـن تعزيـز قاعدتهـا وتطويـر فروعهـا.

كان هنـاك في العـام 2011 نحـو 15 عضـواً نشـيطاً في فـرع الحركـة في الولايـات المتحـدة، جميعهـم مـن منطقـة سـان فرانسيسـكو، مـن النشـيطين في الحيـاة السياسـية والاجتماعيـة الفلسـطينية/العربية، بطـرق مختلفـة. وقـد نشـطوا في عقـد مؤتمـر للشـتات الفلسـطيني في فانكوفـر، في كنـدا، العـام 2013، وفي نشـاطات مختلفـة للحركـة في أكـثر مـن دولـة.

عمـل الفـرع بفعاليـة عـلى الاتصـال بالروابـط والحـركات التحرريـة، والاتحـادات والنقابات، من مثـل المنتـدى الاجتماعـي للولايـات المتحـدة، (The US Social Forum)، والمنتـدى الاجتماعـي العالمـي (World Social Forum The)، والرابطـة العالميـة لنضـال الشـعوب The International League of Peoples Struggles (ILPS). ولعـل أحـد أبـرز نشـاطات أو إنجـازات هـذا الفـرع، هـو التعـاون مـع «اتحـاد الطـلاب العاملـين (The United Workers Student)، في العـام 2014 الـذي يضـم مسـاعدي التدريـس وطـلاب الدراسـات العليـا العاملـين في التدريـس والإرشـاد، في تسـع مقـرات لجامعـة كاليفورنيـا، (في العـام 2018 كان في الاتحـاد 17 ألـف عضـو)، لإصـدار بيـان يشـجب الهجـوم الإسرائيـلي عـلى قطـاع غـزة. وفي شـهر كانـون الأول (ديسـمبر) 2014، نظـم الاتحـاد اسـتفتاء عـلى تبنـي حملـة المقاطعـة وسـحب الاسـتثمارات وفـرض العقوبـات (BDS)، وقـد تمـت الموافقـة عـلى المقاطعـة، ليكـون ذلـك أول اتحـاد عـمالي أمـيركي يتبنـى المقاطعـة. وحتـى العـام 2018، كانـت حركـة الشـباب تعمـل مـع اتحـاد الطـلاب العاملـين في

نشاطات مختلفة، تتضمن إحياء الحركة الطلابية التحررية في الولايات المتحدة، انطلاقاً من ذكرى إضراب 1968، وبحيث يجري اعتبار القضية الفلسطينية جزءاً مركزياً من قضايا هذه الحركة الطلابية التحررية.

في الواقع أن حركة الشباب الفلسطيني (الفرع الأميركي) تبنت موقفاً سياسياً لها إزاء السياسة الداخلية الفلسطينية، فمثلاً في العام 2012، رفضت الحركة موقف السلطة الفلسطينية تقديم قرار للحصول على العضوية في الأمم المتحدة، وعملت على إرسال وفد للمشاركة في المنتدى الاجتماعي العالمي المنعقد في البرازيل تحت عنوان (فلسطين الحرة – Free Palestine)، حيث أصدر الفرع بياناً ضد الطلب، واعتبر البيان ذلك محاولة لإجهاض الانتفاضة الجارية في فلسطين حينها (برأيهم)، ضد الفساد، والتطبيع، والتنسيق الأمني، والقمع، من قبل السلطة الفلسطينية، وضد جهود إعادة إطلاق مفاوضات وعملية سلام على الأسس ذاتها التي أضرت بالشعب الفلسطيني، ووطنه، ومشروعه السياسي، والبنية التحتية السياسية، وقد انضم شباب من غير أعضاء حركة الشباب الفلسطيني، قادمون من فلسطين، في الصعود إلى المنصة أثناء إلقاء البيان، تعبيراً عن تأييدهم لمضمونه.

لقد كان هذا الموقف، يعكس تصوراً ربما يفوق المدى والأهداف الحقيقية للحراكات الشبابية التي حدثت في العامين 2011 و2012 في فلسطين، ولكنه يعكس حالة حماس وتوقعات عالية لدى الحركة صاحبت موجات «الربيع العربي». أدى الشعور بوجود تغير في السياق العام إلى تحولات داخل حركة الشباب الفلسطيني. لذلك، قررت الحركة في مؤتمرها الدولي الثالث الذي عقد في الأردن، في العام 2014، تجميد نشاطاتها الدولية مؤقتاً لصالح البناء الداخلي، والتركيز على تأسيس فروع فاعلة وقوية في الميدان. وتقرر كذلك التركيز على القضايا الخاصة بكل بلد أو منطقة، يسكنها الشباب، مع إيجاد طريقة لربط ذلك مع النضال الفلسطيني العام والمشترك. وقد كان جزءاً من أسباب هذا التوجه الشعورُ بوجود قضايا ملحة ميدانياً، فمثلاً، في لبنان، قام فرع الحركة هناك، في مخيم برج البراجنة، بتأسيس مركز سمي مركز النقب، وهدفه مساعدة اللاجئين السوريين والفلسطينيين الآتين من سوريا، وكذلك الأمر في سوريا، جرى العمل في مخيم اليرموك على المساعدة الإنسانية أثناء حصار المخيم.

وفي تعريف فرع الحركة الأميركي، لنفسها على موقعها على الإنترنت، جاء «نحن حركة للشباب الفلسطيني، عابرة للحدود، مستقلة، شعبية، ومُكرّسة لتحرير وطننا وشعبنا».[1]

أولى فرع الحركة في الولايات المتحدة اهتماماً لتنفيذ قرار الحركة التوسع ميدانياً، وبينما كان هناك فرعان للحركة في الولايات المتحدة العام 2015، في سان فرانسيسكو وسان دييغو، يضمان 15 عضواً فاعلاً، نظم الفرعان مدرسة صيفية ضمت 60 شاباً عربياً تحول 70 بالمئة منهم تقريباً إلى أعضاء فاعلين في الحركة، وجزء من قيادتها.

ناقشت المدرسة الصيفية موضوعات مثل الهوية الفلسطينية، والانتماء، وأهمية العمل ضمن شبكات التضامن، بما في ذلك مع مجموعة «طلبة من أجل العدالة»، وجهود إحياء الحركة الشبابية الفلسطينية في الشتات.

ضمت المدرسة الصيفية الثانية للحركة في الولايات المتحدة، العام 2017، نحو خمسين شخصاً، منهم 25 من أعضائها و25 من غير أعضائها، بهدف خوض نقاش التمييز بين «الحراك» و«الحركة». وهو ما يشكل استمراراً لنقاشات سابقة، ومتابعة للطروحات الداعية للمأسسة التي نوقشت في إطار المؤتمر الوطني لـ«طلبة من أجل العدالة في فلسطين»، كما ذكر سابقاً.

تعمل الحركة على تطوير ميثاقها وبرامجها وطرق تجديد قيادتها، ومع منتصف العام 2018، كانت هناك فروع للحركة في الولايات المتحدة، في كل من سان فرانسيسكو، وسان دييغو، ولوس أنجلوس، ونيويورك، وتكساس، وفروع ناشئة في فيلادلفيا، وجاكسون فيل، وواشنطن دي سي، وديترويت، وميتشيغان.

استمرت الحركة تحاول تبني مواقف سياسية مما يحدث داخل فلسطين، مثل اشتراكها في الاحتجاجات أمام مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في الولايات المتحدة، العام 2017، ضد اعتقال مناضلين مثل باسل الأعرج، ثم لاحقاً بشأن الملابسات التي أدت إلى قتله. وفي العام 2018، سعت الحركة إلى تنسيق تحرك تضامني مع مسيرات قطاع غزة نحو الحدود.

1 موقع الحركة على الإنترنت: Palestinian Youth Movement, USA Chapter: www.pymusa.com

كما أن نشاطاتها تتسع لموضوعات ثقافية مثل منحة باسم غسان كنفاني للكتابة العام 2018، والتضامن مع الهنود الحمر، سكان الولايات المتحدة الأصليين، ضد مشروعات تهجيرهم، مثل إرسال وفدين تضامنيين تحت اسم «رحلة من أجل العدالة»، إلى ولاية نورث داكوتا للتضامن ضد مشروع أنبوب نفط، وكذلك حملات تضامن مع المهجرين واللاجئين. وهنا يلاحظ أن الحركة تعمل مع حركات العدالة والحقوق، أكثر مما تعمل مع القوى والتيارات السياسية الأساسية.

يلاحظ الإدراك العالي والمحاولات من قبل الشباب الفلسطيني في الولايات المتحدة للانتقال من النشاطات الموسمية والعابرة و«الحراكات»، إلى مستوى «الحركة»، كما يلاحظ تركيز الشباب الفلسطيني حتى الآن على التعامل مع الفئات المضطهدة، ولا يبدو أن هناك قناعة أو جهداً يذكر بشأن التأثير في القوى السياسية الرسمية، مثل أعضاء الكونغرس، والتركيز على الجامعات والاتحادات المهنية والطلاب الفلسطينيين والعرب والجماعات التي تطالب بحقوقها ضد اضطهاد أو تمييز داخل الولايات المتحدة وخارجها.

9-3 المملكة المتحدة

حفز الربيع العربي، والحراكات الشبابية في فلسطين، الشباب الفلسطيني في بريطانيا، لمحاولة التركيز، أيضاً، على الإصلاح السياسي والشأن الداخلي، وجرى التحرك، أيضاً، من قبل مجموعات صغيرة دون إطار رسمي جامع أو واضح، فمثلاً في كانون الثاني (يناير) 2011، قام عدد من الطلبة بتحديد موعد مع السفير الفلسطيني في لندن، مانويل حساسيان، وعندما وصلوا أخبروه بأنهم يريدون احتلال المكتب (الجلوس فيه)، كنوع من الاحتجاج على موقف القيادة الفلسطينية من حق العودة، وللمطالبة بانتخابات مجلس وطني جديد. وقد جاء الطلبة من خمس جامعات بريطانية على الأقل، ولم يبدِ السفير الفلسطيني رد فعل رافضاً أو غاضباً، بل أبدى استعداده لتسهيل الاحتجاج، ونقل المطالب إلى القيادة الفلسطينية.[1]

استمرت السمة العامة للنشاط الشبابي الفلسطيني، في هذه المرحلة بالتشتت بين عناوين

1 Sam Jones, 'Palestinian ambassador to UK's office taken over by protesters', The Guardian, 27 January 2011.

عديدة، فبينما هناك لجان لفلسطين وأصدقاء لها في أغلب الجامعات البريطانية الأساسية، فإنّه لا يوجد عناوين فلسطينية خاصة تسعى إلى أن تكون جامعة، ربما باستثناء محاولة إحياء الاتحاد العام لطلبة فلسطين.

مشروع طلبة من أجل فلسطين

يعمل الشباب الفلسطيني، إلى حد كبير، تحت عناوين مؤسسات بريطانية متضامنة مع الشعب الفلسطيني، جزء منها ذو أهداف عامة ليست خاصة بفلسطين، والهيئات التي تسعى إلى تمثيل أو تأطير الطلبة الفلسطينيين أقرب إلى كونها أذرعاً فصائلية. ومن المنظمات غير الفلسطينية الداعمة لفلسطين، وتستقطب شباباً فلسطينياً، «حرب على الحاجة» (War on Want) المختصة بقضايا الفقر، والعدالة، واللامساواة، وكذلك حملة الاتحاد الوطني للطلاب السود، وحملة التضامن مع فلسطين (PSC)، ولدى هذه المجموعات الثلاث مشروع تدعمه سمي «مشروع طلبة مع فلسطين» (The Pal-- PSP estine Student Project)، وهو كما يدل تعريفه لنفسه ليس تنظيماً بقدر ما هو برنامج دعم، فجاء في تعريف المشروع على موقعه أنّه يهدف إلى «تقديم دعم للحراك الطلابي للتضامن مع النضال الفلسطيني من أجل الحرية والعدالة والمساواة».

ينظم هذا المشروع مؤتمراً سنوياً للطلاب المنضوين في الحراكات الفلسطينية، بهدف تعميق فهمهم للشأن الفلسطيني، وتطوير مهاراتهم في القيام بحملات. وعلى الرغم من أن المؤتمر ليس للطلبة الفلسطينيين، بل ولا يقوده طلاب فلسطينيون بالضرورة، فإنّه يشكل فضاء للقاء الطلبة الفلسطينيين سنوياً.

أسبوع الأبارتهايد الإسرائيلي

يحاول ناشطون تحويل بعض الحملات والنشاط إلى إطار للقاء وتنظيم الطلاب الفلسطينيين، فمثلاً مع استمرار انعقاد مؤتمر «مناهضة الأبارتهايد الإسرائيلي»، السنوي، ومع استمرار وجود لجان دولية لتنظيم الأسبوع، مع دور كبير للجان المحلية، فإنّ الأسبوع بات حدثاً مهماً في الجامعات البريطانية، مع دور مهم لطلبة في جامعة (SOAS) في لندن، وبخاصة بعد العام 2012، ومن هؤلاء الطلبة، الشاعرة الشابة والأكاديمية رفيف

زيادة، وطلبة آخرون. ويحاول القائمون على هذا الأسبوع تحويله إلى مكان للقاء الطلبة الفلسطينيين، لكن دون أن يعني هذا أنه إطار تنظيمي للطلبة الفلسطينيين، وذلك كما تقول إحدى الناشطات المركزيات في النشاط.

مجموعة لندن للعمل الفلسطيني

تظهر بشكل متكرر مجموعات صغيرة من الطلاب والشباب تحاول القيام بحملات ودور في العمل الفلسطيني، أحد الأمثلة، هو «مجموعة لندن للعمل الفلسطيني»، التي تأسست العام 2014، وتركز على النشاط الميداني، وهي مجموعة نسوية (feminist)، تتبنى وجهات نظر راديكالية ضد الاستعمار، وعلى الرغم من أنها بدأت تضم الفلسطينيين وغيرهم، فإنها اتجهت نحو أن تقودها فلسطينيات.

بعد استشهاد باسل الأعرج، وبالتزامن مع إضراب للأسرى الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية، وتجاوباً مع دعوة لمجموعات شبابية فلسطينية التقت وأصدرت بياناً عبر وسائل التواصل الاجتماعي، بعنوان «حراك 17 نيسان .. إنهاء التنسيق الأمني»، مع عناوين لأماكن تظاهرات لها في مدن فلسطينية مثل حيفا، والولجة، وعربية مثل عمان، وأوروبية مثل إستكهولم ولندن وبرلين وفينا وباريس، وأميركية مثل بوسطن، ونيويورك، ولوس أنجلوس مثل سانديغو، وقد حدثت استجابة في لندن، ونظمت اجتماعات لشباب فلسطيني، ووفق الطريقة الحراكية الجديدة، من مثل أنّ القرارات تتخذ بالإجماع، ودون قيادة عليا مركزية. وكنتيجة، نظمت مسيرة نسائية أمام بعثة السفارة الفلسطينية يوم 17 نيسان (أبريل).[1]

الملاحقة الأمنية للطلبة في بريطانيا

في واحدة من الحالات التي تظهر، من جهة، افتقار الطلبة الفلسطينيين لإطار جامع ممثل مقبول منهم، وتوضح، من جهة أخرى، تآزرهم لإصدار موقف محدد في قضية ما، هي عندما بثت شبكة تلفزيون الجزيرة العام 2017، برنامجاً تحت عنوان «اللوبي»

1 Al Quds New Network, 'Live: a demonstration in London in front of the Palestine mission in solidarity with the prisoners and against security coordination', 17 April 2017, Facebook.

يتضمن معلومات عن تدخل السفارة الإسرائيلية في الحياة البرلمانية والسياسية والنقابية في بريطانيا، بتحريك نوع من المؤيدين والسياسيين لإبعاد آخرين لا يؤيدون سياساتها. وقد أصدر عشرات الطلبة الفلسطينيين، بياناً وقعوه بأسمائهم الشخصية، يطلب من نائب رئيس الاتحاد الوطني (البريطاني) للطلاب، ريتشارد بروكس، الاعتذار والاستقالة، بعد أن ظهر في البرنامج يعمل بالتنسيق مع السفارة الإسرائيلية، والحصول على مساعدتها لتنظيم مجموعة تؤدي إلى إخراج رئيسة الاتحاد مليا بواتيا، من موقعها، بسبب موقفها «القوي، وإلى «زعزعة الاتحاد ككل». ويكشف بيان الطلاب جزءاً من بيئة عملهم، فهم يقولون «لقد جرت إساءة، وهجوم، وتحرش بشكل منتظم برئيسة الاتحاد الوطني للطلاب، لأنها تعبر عن تأييد للحقوق الفلسطينية. ونحن كطلاب فلسطينيين، لطالما آمنا بوجود تدخل حكومي إسرائيلي في المملكة المتحدة وفي الحرم الجامعي للجامعات (البريطانية). لقد كانت نشاطاتنا تراقب دائماً وتصور، ويساء للطلبة الذين ينظمون النشاطات، داخل المملكة المتحدة وعند عودتهم إلى فلسطين».[1]

في الواقع أن الطلبة الفلسطينيين كانوا يعبرون عن حالة المتابعة والتضييق التي يعيشونها والناتجة عن سياسة مخططة، وقد تم توثيق هذه السياسات في بعض الحالات والكتابات، مثل برنامج «اللوبي»، كذلك إصدار دليل حكومي موجه للجامعات يتضمن ضرورة «تقييم وإدارة المخاطر»، للنشاطات المقترحة في الجامعات، وبخاصة فيما يتعلق بقضايا تتضمن فلسطين والانتقاد للسياسات الغربية في الشرق الأوسط، ووضعت هذه القضايا مع قضايا مثل المعارضة لزواج المثليين، ومعارضة استخدام الحيوانات في التجارب الطبية، وقد وضعت هذه السياسات، وطلب من العاملين التقيد بها، باعتبارها التزاماً بالقانون ضمن برنامج حكومي يسمى «حرم جامعي آمن»، وكجزء من إستراتيجية «الوقاية من التطرف المضاد». وعلى سبيل المثال، ألغت جامعة وسط لانكشاير نشاطاً تنظمه جمعية أصدقاء فلسطين، خوفاً من «عدم التوازن»، وبحجة أنّ النشاط (أسبوع الأبارتهايد الإسرائيلي) قد يكون مناهضاً للسامية وغير قانوني. وقد بررت الجامعة موقفها بأنه التزام بتعريف اللاسامية الذي يحدد «الإعلان العالمي لتذكر الهولوكوست»، والذي تبنته الحكومة البريطانية العام 2016. وهذا التعريف يتضمن أجزاء مثل «الزعم أن

1 Malaka, Statement by Palestinian Students in the UK Demanding the Resignation of Richard Brooks, 11 January 2017.

وجود دولة إسرائيل هو عمل عنصري».[1] وفي مثال آخر، قامت جامعة مانشستر بتحويل طالبين للتحقيق، بسبب رفع يافطة كتب عليها «أوقفوا تسليح إسرائيل»، وهو ما تبعه احتجاج من عشرات الأساتذة في الجامعة ضد التحقيق. وكان هذا التحقيق على الرغم من أن مانشستر من بين جامعات أخرى أقر الطلاب فيها في اتحاداتهم توصية بضرورة عدم الاستثمار من قبل الجامعات في شركات تدعم الاحتلال، وتقوم بتزويده بالسلاح ومعدات بناء المستوطنات، علماً أنّ اتحاد طلبة مانشستر من أكبر اتحادات الطلبة في أوروبا، وبينما كانت إجراءات التحقيق تتم، أقر طلبة جامعة كوينز في بالفاست في إيرلندا قرار مقاطعة شبيهاً.[2]

في الواقع أنّ مثل هذه الإجراءات لتقييد العمل الفلسطيني، ووضع مثل هذه التعريفات القانونية بشأن معنى اللاسامية، تجعل مهمة الطلبة أصعب، ويصبح الخطاب الحقوقي والقانون الدولي هو المهمين على خطابهم، بدل الخطاب الذي يشكك بشرعية السياسات الإسرائيلية ككل، ويجعل حتى المطالبة بعقاب إسرائيل ومقاطعتها يبدو أحياناً غير قانوني.

الاتحاد العام لطلبة فلسطين- بريطانيا

وسط حالة التشظي هذه، برزت محاولة إعادة إحياء الاتحاد العام لطلبة فلسطين (GUPS). وبدأ يُعلَن عن إعادة إطلاقه، في العام 2011، وذلك بعد نحو 5 سنوات من شبه الغياب الكلي، ولكن لم يشارك في انتخاب هيئة إدارية جديدة سوى 41 شخصاً من أصحاب حق الاقتراع.[3] واستعاد الاتحاد مطلع العام 2012 عضويته في الاتحاد الوطني للطلاب البريطاني.[4] كما أعلن عن إطلاق موقعه على الإنترنت (يبدو أن الموقع في العام 2018 لم يعد يعمل). وفي العام 2013، افتتح مقر للاتحاد في لندن، وأعلن الاتحاد عن فتح أبوابه لأي طالب فلسطيني، وأعلن فؤاد شعث رئيس فرع الاتحاد، بالمناسبة أنّه «أصبح

1 Simon Hooper, Revealed: UK Universities Told to 'Manage' Palestine Activities, Middle East Eye, 22 February 2017: https://bit.ly/2lCrEnc

2 Shafik Mandhai, UK students face disciplinary action over BDS protest, Al Jazeera, 28 March 2017: https://bit.ly/2zfhbFq

3 «الاتحاد العام لطلبة فلسطين ينتخب هيئة إدارية جديدة»، **وفا**، 23 أيار (مايو) 2011.

4 GUPS in UK returns to membership in National Union of Students, PFLP, 29 Jan 2012: https://bit.ly/2OhfFZ4

الآن للطالب الفلسطيني مقر يهتم بقضاياه على الصعيدين الشخصي والوطني».[1] وكان شعث قد صرح عند إطلاق موقع الفرع على الإنترنت، أنّ الموقع سيوضح «الخدمات التي يقدمها الاتحاد العام لطلبة فلسطين في المملكة المتحدة، بدءاً من استقبال الطلبة الجدد في المطار يوم وصولهم لأول مرة، ومن ثم متابعة أمورهم، من توفير السكن المؤقت لهم، والمساعدة في إتمام إجراءات التسجيل الأكاديمي، وإتمام إجراءات الإقامة، وقد تم تشكيل لجنة (...) لتنظيم العمل على هذه المستويات، لما في ذلك من أهمية تنعكس على نفسية الطلبة الجدد ومعنوياتهم».[2] وفي الواقع أن مسألة المساعدة الشخصية التي تصدى الاتحاد لتقديمها للطلبة، تعتبر علامة فارقة عن باقي الهيئات والأطر الطلابية الفلسطينية، التي طغى فيها السياسي على المعيشي. ويعرف الاتحاد نفسه على صفحته على فيسبوك، بما يلي «لدى الاتحاد العام لطلبة فلسطين هنا في المملكة المتحدة دور في مساعدة الطلاب الذين يتطلعون إلى الدراسة. وبما يجعل انتقالهم من الوطن فلسطين إلى المملكة المتحدة أسهل قليلاً. والمساعدة في قضايا (دائرة) الهجرة والتعليم. وكذلك تعريف الطلبة على البيئة الجديدة، وتعريفهم بالجاليتين العربية والفلسطينية. كما نهدف إلى أن نكون فاعلين وناشطين من أجل زيادة الوعي بالقضية الفلسطينية. ونتطلع إلى دعم الحقوق الأساسية للشعب الفلسطيني، وإلى مناهضة الاحتلال غير الشرعي».

يلاحظ في هذا التعريف أن الشق غير السياسي أساسي ومتقدم في تعريف الاتحاد لدوره، ولكن الأبرز من ذلك، التركيز على الطلبة القادمين من فلسطين، دون الإشارة إلى الطلاب الفلسطينيين القادمين من الشتات، أو الفلسطينيين المقيمين والمستقرين في بريطانيا، ويحملون الجنسية البريطانية.

قام الاتحاد بنشاطات عديدة، ولكنها تركزت على شقين، أولهما الشأن الطلابي، بما في ذلك الاجتماعي والثقافي، عبر فعاليات ونشاطات اجتماعية وثقافية وطنية تحيي المناسبات التاريخية، والثاني التواصل مع الأحزاب وأعضاء البرلمان البريطانيين، للتوعية والحض على تبني مواقف مؤيدة للحقوق الفلسطينية. منها، مثلاً، مبادرة في تشرين الثاني (نوفمبر) العام 2015، لعقد جلسة في البرلمان البريطاني حضرها ممثلون عن مختلف الأحزاب

1 «افتتاح مقر الاتحاد العام لطلبة فلسطين فرع بريطانيا»، **موقع «حق العودة»**، 5 نيسان (أبريل) 2013: http://bit.ly/2mCltkv

2 «الاتحاد العام لطلبة فلسطين يطلق موقعه على الإنترنت»، **وفا**، 22 كانون الثاني (يناير) 2012.

البريطانية تقريباً، استمعوا فيها إلى مداخلات من الشباب الفلسطيني حول ما يجري في فلسطين (وحينها كانت هناك هبة شبابية شعبية في الضفة الغربية وغزة)، فضلاً عن أوضاع مخيم اليرموك، وقد وصف فؤاد شعث، الذي ظهر باستمرار في الإعلام للتعليق على الشأن الفلسطيني، مثل هذه اللقاءات، بأنها «ديبلوماسية الشباب».[3] وعقد الاتحاد جلسة استماع لأعضاء البرلمان البريطاني مطلع العام 2018 بشأن الأسيرة الطفلة عهد التميمي، وباقي الأطفال الأسرى.[4]

كذلك تفاعل الاتحاد مع قضايا سياسية فلسطينية، من مثل الاحتجاج على مواقف رسمية فلسطينية، منها، مثلاً، المشاركة في العزاء بوفاة رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق، شيمون بيريس العام 2016،[5] وبالتزامن من انعقاد المجلس الوطني الفلسطيني، في نهاية نيسان (أبريل) وبداية أيار (مايو) 2018، أصدر الاتحاد بياناً، نشره على صفحته على فيسبوك، احتجاجاً على طريقة اختيار ممثلي الطلبة في المجلس، وجاء في البيان أنّ الاتحاد «يدعو إلى تشكيل لجنة وطنية لإعادة النظر في الأسماء المختارة لتمثيل الاتحاد العام لطلبة فلسطين في المجلس الوطني»، وإلى «ضرورة إعادة النظر في توزيع مقاعد المجلس الوطني المخصصة لتمثيل الاتحاد العام لطلبة فلسطين في المجلس الوطني». ولم يوضح الاتحاد كيف وما هي الأسماء التي اختيرت لتمثيل الاتحاد، ولكن الفرع عبر عن «استغرابه من تهميش تمثيل طلاب فلسطين في قطاع غزة وبعض جامعات الضفة ولبنان والأردن ومصر وأوروبا ودول أميركا». واعتبر الاتحاد أن «استمرار الوضع الحالي من شأنه أن يفجر خلافات كبيرة، محذراً من توجه القيادات الطلابية إلى الدعوة إلى الاعتصام سلمياً داخل السفارات ومقرات منظمة التحرير، حتى يتم تصحيح الخطأ الذي ارتكب». وقال إنّ «اختيار من ترك مقاعد الدراسة قبل عشرات السنين ليمثل الطلاب، يعكس ويؤكد ضعف القائمين على هذا الملف».

الملاحظ أن أحد الفروق بين الاتحاد العام وباقي المجموعات العاملة في بريطانيا، أولاً

3 محمد أمين، «ديبلوماسية الطلبة .. مبادرة تروي معاناة الفلسطينيين»، **الجزيرة. نت**، 22 تشرين الثاني (نوفمبر) 2015: http://bit.ly/2LBTHiH

4 انظر، مثلاً، خبر على صفحة الاتحاد بعنوان «مشروع قرار في البرلمان البريطاني للمطالبة بإطلاق سراح عهد التميمي وكافة الأسرى الأطفال»، 30 كانون الثاني (يناير) 2018.

5 «الاتحاد العام لطلبة فلسطين في بريطانيا: لا عزاء في من قتل وشرد وعذب أبناء شعبنا»، **الرأي اليوم**، 30 أيلول (سبتمبر) 2016: http://bit.ly/2LsGZGb

الشـق غـير السـياسي في عمـل الاتحـاد، وهـو أمـر مفهـوم ومتوقـع، في ظـل الطابـع النقـابي للاتحـاد، ولكـن يلاحـظ عـدم قـدرة الاتحـاد عـلى التحـول إلى عنـوان جامـع للطلبـة، وهـذا ربمـا يعـود إلى أسـباب منهـا التركيـز عـلى الطلبـة القادمـين مـن داخـل فلسـطين (وتحديـداً الضفـة الغربيـة وقطـاع غـزة) بالدرجـة الأولى، وثانيـاً، التماهـي والتلاصـق مـع حركـة «فتـح»، فكثـير مـن البيانـات تصـدر مشـيرة إلى الاتحـاد وحركـة «فتـح»، فمثـلاً في يـوم 15 أيـار (مايـو) 2018، صـدر بيـان نـشر عـلى صفحـة الاتحـاد بعنـوان «بيـان مـن الاتحـاد العـام لطلبـة فلسـطين-بريطانيـا وشـبيبة فتـح، عـن الهجـوم المرعـب أمـس عـلى المدنيـين في غـزة ونقـل سـفارة الولايـات المتحـدة الأميركيـة إلى القـدس». كذلـك يلاحـظ محدوديـة تدويـر رئاسـة الاتحـاد، فقـد اسـتمر اسـم فـؤاد شـعث، وهـو طالـب أتى مـن غـزة للدراسـة في بريطانيـا، متـداولاً كرئيـس للاتحـاد، منـذ 2011 حتـى 2016 عـلى الأقـل، ثـم صـار اسـمه يظهـر في نشـاطات الاتحـاد بصفتـه «رئيـس المركـز الفلسـطيني البريطـاني للتواصـل»، وهـو مؤسسـة عاملـة في بريطانيـا، دون أن يظهـر اسـم رئيـس آخـر، وصـدرت أخبـار تتحـدث عـن نشـاطات تنظـم بالتعـاون بـين الاتحـاد وهـذا المركـز.[1]

ربمـا يكـون الابتعـاد عـن النشـاط الجماهـيري، أو مـا يسـمى الفعـل الميـداني (direct action)، والتماهـي مـع حركـة «فتـح»، ومحدوديـة التغيـير في إدارة الاتحـاد انتخابيـاً، مـن أسـباب عـدم تحـول الاتحـاد إلى عنـوان العمـل الفلسـطيني في بريطانيـا.

تشـكل بريطانيـا نموذجـاً للطاقـة الشـبابية والطلابيـة الحيويـة، لكـن سـاحتها تخلـو مـن إطـار طـلابي أو شـبابي فلسـطيني خـاص جامـع، باسـتثناء الاتحـاد العـام لطلبـة فلسـطين الـذي لم يخـترق كثـيراً الدوائـر خـارج إطـار الطلبـة القادمـين مـن فلسـطين، ومخيـمات الشـتات، ودوائـر حركـة «فتـح».

1 انظـر، مثـلاً، خـبر عـلى صفحـة الاتحـاد بعنـوان «مـشروع قـرار في البرلمـان البريطـاني للمطالبـة بإطـلاق سراح عهـد التميمـي وكافـة الأسرى الأطفـال»، 30 كانـون الثـاني (ينايـر) 2018.

الفصل الرابع

من الحراك إلى الحركة

(خاتمة سياساتية)

يمكن عبر المقارنة بين البانوراما التاريخية التي قدمها الفصل الثاني من هذا البحث، مع الاستعراض الذي قدمه الفصل الثالث، تَبيُّن الفرق بين أنماط الحركات الشبابية منذ مطلع القرن العشرين وحتى نهاية الحرب الباردة، والحراكات التي ظهرت بالتوازي مع العولمة ومرحلة أوسلو ثم الربيع العربي، بعد العام 2011. في الحالة الأولى، كانت الأطر الشبابية، إما نواة يدرك مؤسسوها سلفاً أنها ستتحول إلى حركات أو أحزاب، لديها شعارات أو برامج أو رؤى نحو مجمل القضايا الوطنية، أو على الأقل مستعدة للتفاعل مع طائفة واسعة من القضايا، ويعد الاتصال الشخصي هو أداة التواصل الأساسية في هذه الأطر، مع نظام عضوية محدد، وغالباً ما يكون تأسيس البناء التنظيمي وشبكة الأعضاء مرحلة سابقة، وهذا ما كان عليه الأمر في الخمسينيات والستينيات بشكل خاص. وإذا لم تكن هذه الأطر نواة لأحزاب وحركات، فهي، غالباً، ذراع أو منظمة فرعية من حزب أو فصيل أكبر، وهذا ما كان عليه الوضع من السبعينيات وحتى التسعينيات، مع العمل على أطر وطنية جامعة للشباب، مثل الاتحاد العام للطلبة الفلسطينيين.

جاءت حراكات العولمة والربيع العربي مختلفة، من حيث، أولاً، أنها تعتمد على الرفض للواقع أكثر من تقديمها تصوراً محدداً لما تريده، ولكيفية الوصول إلى واقع جديد. وثانياً،

أنها تعتمد على الفعل المباشر؛ أي النزول إلى الشارع دون الكثير من التخطيط لخطة عمل متكاملة، وقد تحدد أهدافها وهي في الميدان، بناءً على استقراء مزاج الشارع، ومدى قوته وبناء على استقراء مواقف القوى المختلفة. وغالباً ما يكون الهدف جزئياً قد يؤدي إلى تغير في طبيعة العملية السياسية، وطبيعة القوى المسيطرة، والعلاقات بينها. وثالثاً، أنها تعلن براءتها من الفصائل والأحزاب والقوى السياسية التقليدية المنظمة، والسبب في ذلك الاستياء من أداء هذه القوى، وبخاصة من حيث الضعف وعدم الرضى الشعبي عنها، ورفض هذه القوى لتبني روح الشباب ومطالبهم، ولأن هذه القوى منقسمة، وتدخل في صراعات جانبية بعيدة عن القضايا الأساسية (ولأنها باتت تمثل سلطة ولو محدودة السيادة)، ولأن هذه الفصائل لا تمتلك برنامج عمل أو رؤية واضحة مقنعة. يضاف إلى ذلك، أنّه بنهاية الحرب الباردة، وانتهاء الاستقطاب بين الفكرين الرأسمالي والاشتراكي، تراجعت كثيراً جاذبية العقائد والأيديولوجيا الشاملة.

يضاف إلى كل ما سبق، أن سهولة الوصول للإعلام المجتمعي، أضعف الحاجة للتمويل، وللإمكانات المادية والخبرات والمؤسسات، التي كانت ضرورية لأي عمل جماهيري، والتي كانت الأحزاب والقوى المنظمة هي من يمتلكها ويقدمها، فأصبح يمكن لأي مجموعة شبابية أن تصنع إعلامها عبر وسائل التواصل الاجتماعي.

إذا ما جرى قصر النظر على الحراكات الشبابية الفلسطينية، يمكن الإشارة من واقع البحث، الذي عرضت الفصول الفائتة نتائجه، إلى أن الحراكات في الأغلب فشلت في تحقيق أهدافها المحددة، وكثيراً ما كان أعضاء حراك يتسربون إلى حراك آخر، أو يبتعدون عن المجال العام، ويأتي حراك جديد في مناسبة أخرى يتبنى هدفاً ما، أو كانت الحراكات تنتهي لشعور بالفشل والكارثة، من مثل مسيرات العودة من لبنان وسوريا العام 2011، أو للتلاشي التدريجي دون أسباب واضحة لذلك. ولوهلة، كان مصطلح التشبيك (networking)، يبدو مصطلحاً شائعاً، في إشارة إلى عملية ضرورة الربط بين المجموعات الشبابية المختلفة، باعتبار ذلك هو الحل، وهو ما كانت هناك أمثلة عليه عرضها الفصل الثالث، وبخاصة في حالات الأندية الشبابية في لبنان، وشبكات الطلاب في الولايات المتحدة، والأراضي المحتلة العام 1948، لكن الحقيقة التي تبدت مع الوقت، أنّ هناك مشكلة داخل المجموعات ذاتها، وأن المجموعات ذاتها لا تملك مقومات الاستمرار والتطور، وبالتالي تفقد الشبكات أهميتها.

أحد أهم أسباب عدم الاستمرار يكمن في صفة الشبابية ذاتها، فالشباب هو، من زاوية محددة، مرحلة عمرية مؤقتة، وكثيراً ما يرتبط النشاط العام لدى الشباب بمرحلة تعليمهم الجامعي، حيث الجامعات والمعاهد فضاء عام للقاء والتنظيم والتحرك، وبتقدم السن والانتقال إلى أدوار ومكانات اجتماعية جديدة، لا تعود ظروف استمرار الشباب في النشاط متاحة، وبخاصة بغياب الأحزاب، وغياب الحياة النقابية المتجددة، كما هو الواقع الفلسطيني. فحتى في الاتحاد العام للطلبة الفلسطينيين، لا يوجد تجديد للقيادات عبر الانتخابات، ويمثل الاتحاد في المجلس الوطني أشخاص في الخمسينيات من أعمارهم.

من الأسباب الأخرى للتعثر وعدم القدرة على التقدم، ومن ثم التفكك، اعتماد الحراكات الجديدة فكرة عدم وجود قيادة مركزية، والاعتماد على التوافق. والنفور من القيادة جزء منه يعود إلى الرغبة في تفادي صراع القوة، وعمليات تقديس الفرد، أو التكالب على الموقع، وهي جميعها ظواهر برزت في الحركة السياسية الفلسطينية، فنادراً ما غاب قائد أو أمين عام فصيل لسبب غير الوفاة، أو التراجع الكبير في الحالة الصحية، بل إن كثيراً من الاتحادات والنقابات والجمعيات الخيرية لا تغير أيضاً قياداتها. يضاف إلى هذا النفور، جاذبية وسهولة وسائل التواصل الاجتماعي التي أتاحت آلية نقاش وتواصل أغرت الكثيرين بأنّه لا حاجة إلى قيادة مركزية. ولكن التجربة أثبتت أنّه في أزمات ولحظات حرجة، يصعب الاعتماد على قرار يتخذ عبر تشاور عدد كبير من الأشخاص، بعضهم قد يصبح جزءاً من الحراك في مرحلة متقدمة من ظهوره، وأن جعل القرارات غير ملزمة أمرٌ غير عملي، ويؤدي إلى انقسام وتشتت وتناقض في القرارات.

ويرتبط بموضوع أثر الافتقار إلى القيادة على عملية صنع القرار، أثر الافتقار إلى العقائد أو البرامج أو الرؤى السياسية. فصحيح أن بعض الفلسفات والأفكار، تتحول إلى نوع من الجمود الذي لا يواكب العصر، وإلى أيديولوجيا يراد مشاهدة الواقع عبرها، لدرجة إمكانية تحريف الواقع ورؤيته من الزاوية التي تجعل النظريات صحيحة، لا من حيث ماهية هذا الواقع حقاً، ولكن، أيضاً، عادة ما تتخذ القرارات والمواقف لتتواءم مع أفكار ومبادئ متفق عليها سلفاً بين «الأعضاء»، أما بدون مرجعية سياسية وفكرية مسبقة، فيصعب تحديد أسس اتخاذ القرار.

أضف إلى ذلك، أن تخفيض وسائل التواصل الاجتماعية تكاليف العمل العام، وتسهيله، لا يلغي أن هناك تكاليف مادية للعمل العام، يتضمن تأمين تفرغ كوادر للعمل، أو تنظيم نشاطات وفعاليات تحتاج لتكاليف، وهذا غير متاح دون مؤسسة فيها مختصون في الحصول على التمويل، ونظام عضوية، واشتراكات، وتبرعات، وما إلى ذلك، مما لا يتوفر في أغلب الحراكات، بينما يتوافر لخصومها والقوى الأخرى.

إذاً، يمكن القول ما يلي:

- الافتقار إلى الأيديولوجيا والمرجعية السياسية له وجهه السلبي.
- الافتقار إلى القيادة المركزية ليس فضيلة دائمة.
- النفور من الفصائل والتنظيمات لا يلغي الحاجة إلى هيكلية تنظيمية.
- العضوية الفضفاضة حد الفوضى لها تبعات سلبية.
- سهولة وانخفاض تكاليف وسائل التواصل الاجتماعي لا تعني أن الاستغناء عن موارد مادية كافية أمر ممكن.

يصبح السؤال هنا، ما هو الحل؟ هل هو بالعودة إلى الأشكال القديمة (الأحزاب والحركات السياسية)؟

لا شك أن العودة إلى الأشكال القديمة طرح غير واقعي، وفيه كثير من الخلل. فمن جهة، لم تحقق تلك الأطر القديمة أهدافها التي تأسست لأجلها، ودخلت في أزمات بنيوية، كما أنها، من جهة أخرى، جاءت في سياقات ثقافية وسياسية واجتماعية تغيرت. لكن ربما يجب التفكير بعدم القطيعة مع تلك البنى، وعدم اعتبار الأخطاء والعثرات التي وقعت فيها في تجربتها سبباً لرفضها، ولرفض مضامينها وأدواتها ووسائلها، ودون استنساخها بالتأكيد. ولعل تحديد مشكلات وعثرات هذه القوى، يحتاج إلى دراسة منفصلة، سواء تتعلق بقضية الديمقراطية الداخلية في هذه القوى، أو علاقتها ببعضها، أو دور الأيديولوجيا فيها، أو مسلكية قياداتها وأعضائها، أو طرق إدارتها وتمويلها، ...إلخ.

يحتاج الشباب إلى خوض نقاش واضح لتجربتهم في السنوات الفائتة، وللمرحلة الراهنة،

وفيما يلي عناوين يمكن أن تشكل أجندة مقترحة للنقاش وللتفكير، وهذه النقاط يمكن أن تكون جزءاً من مشروع أو عدة مشاريع بحثية وتشاورية، وجزءاً من برامج تدريب ومنتديات، تناقشها جميعها، وتناقش غيرها من النقاط، أو تناقش جزءاً منها.

أولاً. التثقيف في أشكال التنظيم السياسي

بغض النظر عن المُلابسات التي أفرزت مصطلحات المرحلة الراهنة، من «حراك»، و«ناشطين»، و، فإنّ هناك حاجة إلى تأمل هذه التجربة ومقارنتها بأشكال التنظيم السياسي.

في الماضي، كانت أشكال التنظيم السياسي الأساسية في السياق الفلسطيني، بشكل خاص، وعربياً وعالمياً، إلى حد ما، هي ثلاثة أشكال: الحزب، والجبهة، والحركة. ودون الدخول هنا في التعريف العلمي، أو التطبيقات العملية لهذه الأشكال، فإنّ الحزب بكونه الأكثر مركزية وعقائدية وانضباطاً وانتقائية في اختيار الأعضاء، والحزم في توجيههم، والجبهة من حيث اعتبارها من الناحية النظرية على الأقل، تجمعاً لأحزاب أو قوى وتيارات، دون اندماج، والحركة باعتبارها أقل اهتماماً بالأيديولوجيا، وبالتالي بشروط العضوية، وأكثر مرونة في عملية صناعة القرارات واختلاف الآراء، وفي السماح بالمبادرات القاعدية للأعضاء، كل هذا يمكن أن يكون موضوعاً لعملية تثاقف وتثقيف ونقاش مفصلة، تهدف إلى تبين السلبيات والإيجابيات، والأخطاء والإنجازات، وكيفية تطوير شكل التنظيم السياسي في سياق المرحلة الحالية، بما فيها من عولمة وظروف دولية وإقليمية ومحلية خاصة.

ويمكن، أيضاً، دراسة أمور مثل تمويل التنظيمات السياسية، وطرق الاستفادة من وسائل جمع التمويل الحديثة عبر الإنترنت.

ثانياً. صناعة القرار التنظيمي

هناك نماذج لصناعة القرار تختلف بحسب اختلاف نوع التنظيم السياسي، والسياقات المختلفة، وهناك الكثير من الملابسات والقواعد التي يجدر بشاب يبدأ نشاطه السياسي أو حتى الوطني العام، أن يدركها، من مثل عدم السقوط في «مثالية» الديمقراطية

اللامتناهية، حد الإصرار على الإجماع، تماماً مثل ضرورة الابتعاد عن الفردية والتسلط في اتخاذ القرار. وكذلك عدم السقوط في فخ التشدد والرفض لأجل الرفض، مقابل ضرورة عدم الوقوع في حالة من عدم الثقة بالذات، وبالتالي سرعة تقديم التنازلات. ويجدر التفكير في أنواع اتخاذ القرار، بدءاً مما يعرف بالمركزية الديمقراطية، إلى السماح بتعددية التيارات في هامش معين من القرارات. وكذلك تقسيم أنواع القرارات، ما بين الأساسي الذي يكون أشبه بالقاعدة الدستورية، إلى السياساتي البرامجي، إلى القرارات الطارئة والتنفيذية العاجلة.

ثالثاً. التأثير في صناعة القرار والجمهور

بقدر ما توجد حاجة إلى فهم كيف يتخذ جسم ما، شبابي أو طلابي أو حزبي أو قراره، يجدر معرفة ديناميات اتّخاذ القرار عند الهيئات القيادية الرسمية، وآليات التأثير بها. وكيفية تفادي المعارضة لأجل المعارضة، بل المعارضة (أو التأييد) من أجل التغيير، ومن أجل الحصول على موافقة الهيئات صاحبة القرار. ويجدر تعلم آليات التأثير في عمليات صنع القرار، بدءاً من الإقناع والحوار، إلى الضغط والتأزيم، إلى توليد الصدمة أو استغلالها، .

وكذلك القدرة على تقييم واقع الجمهور ومصالحه وحالته العامة ومزاجه اللحظي، ومعرفة طرق التواصل مع هذا الجمهور، وكيفية احترامه والتعامل معه، والتأثير به. فضلاً عن تصنيف الجمهور لشرائح، والقدرة على تحديد شكل العلاقات مع هذه الشرائح، وكيفية التعامل معها في مستويات مختلفة، بعيدة ومتوسطة وقصيرة المدى، والوزن النسبي لهذه الشرائح، والتمييز بين الديمقراطية في التعامل مع الجمهور مقارنة بالشعبوية.

رابعاً. المبادئ والأيديولوجيا كدليل

هناك فرق بين المبادئ والأيديولوجيا، ولكن بينهما تقاطعاً كبيراً، ويجدر فهم أهمية وجود مبادئ وأيديولوجيا، وأيضاً التداعيات والسلبيات التي قد تنتج من التعامل الخاطئ مع المبادئ والأيديولوجيات؛ سواء بتحويلها إلى سلاح ضد القوى الحليفة أو

المفترض أنها حليفة، أو بالإصرار عليها حتى لو ناقضها الواقع الملموس.

هناك أهمية لوجود برامج شاملة ووافية مسبقة لأي تحرك، بحيث لا يكون هناك الكثير من الجدل والتفكير والخلاف عند كل قضية تبرز في الميدان، وبحيث تكون هناك رؤى متبلورة للشأن الوطني عموماً، يسهل الاستناد إليها في تشكيل موقف أو رأي أو خطة تبرز في سياق الحدث اليومي، دون أن يلغي هذا احتمال تغيير التصورات وتعديلها في ضوء متغيرات الأحداث.

خامساً. التمييز بين «الشرارة» والحركة

كثيراً ما تندلع تحركات جماهيرية، على شكل احتجاج، أو انتفاضة، ، بعد حدث معين. وقد لا تكون ردة الفعل شبيهة عندما يحدث حدث شبيه في مرحلة لاحقة.

وكثيراً ما يعتقد نشطاء أن اندلاع تحرك جماهيري بعد حدث ما كفيل بإيجاد دينامية يستمر الشارع فيها في العمل، ولكن هذا غير دقيق. فالشرارة هي الحدث أو اللحظة التي تأتي في واقع موضوعي بعينه، فتحدث ردة الفعل. وبالتالي، الشرارة ذاتها قد لا تؤدي إلى ردة الفعل ذاتها في مكان أو زمان آخر. ثم إن الشرارة والبداية للتحرك ليست ضمانة لاستمراره، فلا بد من بنى جماهيرية ومجتمعية وإعلامية، ، جاهزة سلفاً، أو تُطور سريعاً لتضمن ديمومة أي حراك جماهيري وتوجيهه.

فانتفاضة العام 1987، تختلف عن هبة النفق 1996، عن انتفاضة الأقصى 2000، عن هبة العام 2015، من حيث الواقع الموضوعي والسياقات (ومن هي القوى القائمة بها والحريصة على استمرارها)، ويجدر فهم السياقات وكيفية تحليلها وصناعتها والتأثير فيها، وكيفية تحويل (أو منع تحويل) حدث ليكون شرارة لحراك ما في زمن أو مكان معينين.

سادساً. الواقعية في تقييم واستخدام القوة

للقوة تعريفات وأشكال وديناميات وقواعد في تفاعلها وتطورها والتعامل معها، ويجدر فهم كل هذه الأشكال والقواعد قبل الدخول في تجاذب قوة أو تنازع أو تآلف. وهناك

مـدراس مختلفـة في تعريـف القـوة، بـدءا مـن الصلبـة، إلى الناعمـة، إلى الذكيـة، إلى ...إلـخ. ويمكـن أن تتحـول المـدارس إلى نـوع مـن المرشـد في التفكـير في أوراق القـوة وإيجادهـا وتغيـير موازينهـا واسـتخدامها.

وهـذا يقـود لتفكـير أوضـح في تقييـم موازيـن وأوراق القـوة كميـاً ونوعيـاً، وعـدم السـقوط مثـلا في تمجيـد نـوع مـن أنـواع القـوة ورفـض آخـر، بإسـباغ بعـد قيمـي وأخلاقـي عـلى أنـواع عـلى حسـاب أنـواع أخـرى.

كذلـك هنـاك أهميـة لفهـم أنـواع وقواعـد صراعـات القـوة المختلفـة، عـلى مسـتوى القـوى العظمـى والصغـيرة، والقـوى التقليديـة في السياسـة (الـدول مثـلا) وغـير التقليديـة (غـير الحكوميـة والشـعبية)، وفهـم ديناميـات كل صراع أو تحالـف.

تتحـول أحيانـا، في سـياق الحـراكات الجماهيريـة الوسـيلة، سـواء أكان ذلـك نـوع مـن أنـواع القـوة، أو تنظيـم أو حـزب مـا، يفـترض أنـه آليـة عمـل للوصـول إلى هـدف، ليصبـح نـوع القـوة هـذا أو التنظيـم هـو هـدف بحـد ذاتـه، ولـو عـلى حسـاب القضيـة الأسـاسي أحيانـاً. فتصبـح مصلحـة الفصيـل، أو المبـدأ السـياسي، أهـم مـن القضيـة السياسـية.

سابعاً. أنواع التناقضات- الثانوية والرئيسية

في العلاقـات السياسـية، وبخاصـة في ظـروف الـصراع، لا بـد مـن معرفـة آليـات التمييـز بـين التناقـض الثانـوي والتناقـض الأسـاسي، وتحديـد سـبل التعامـل مـع كل تناقـض منها، في الممارسـة اليوميـة، وفي الخطـط قصـيرة وبعيـدة المـدى. وكيفيـة الحفـاظ عـلى التصنيـف الصحيـح للتناقضـات، وعـدم انحـراف البوصلـة أثنـاء التفاعـل اليومـي للحـدث.

وهـذا يتبعـه، أيضـاً، فهـم معنـى الهويـة، واعتبـارات صنـع القـرار السـياسي والأمنـي والنضـالي، والفـرق بـين حسـابات الـدول وحسـابات حـركات التحـرر.

ثامناً. التمييز بين الزخم والتشظي

لا يعنـي اتفـاق شرائـح كبـيرة مـن الجمهـور عـلى موقـف بعينـه أنهـا موحـدة، فالوحـدة

لهـا اعتبـارات تنظيميـة، ومصالـح، وعقائـد، وارتباطـات مختلفـة، وتتعلـق بالقـدرة في توحيـد الأفـكار والأمزجـة وصناعـة الثقـة والمصالـح المشـتركة. فتشـابه المواقـف قـد يعطـي زخـماً لقضيـة بعينهـا، ولكـن إنشـاء حركـة سياسـية أو جماهيريـة موحـدة، أمـر مختلـف. وتشـابه المواقـف قـد يكـون سـبب تنافـر أحيانـاً، وكثـيراً مـا يجـري تصنيـف المتشـابه بأنـه منافـس أكـثر منـه حليـف، وكل هـذا يحتـاج إلى تحليـل وفهـم.

تاسعاً. العلاقة بين التضامن وحركة التحرر

تنقسـم مجتمعـات حـركات التحـرر إلى فئـات مختلفـة، منهـا النـواة الصلبـة، ومنهـا الجبهـة المسـاندة، ومنهـا الدوائـر الأوسـع المسـاندة، ومنهـا المعارضـة والرافضـون للمقاومـة. ويجـدر دراسـة تجـارب حـركات التحـرر لفهـم طبيعـة القـوى المجتمعيـة المختلفـة، وتوزيـع المهـام والأدوار فيهـا، ودراسـة الحـراكات وقواهـا المشـكلة لهـا، ثـم أيضـاً التمييـز بـين أنـواع حركـة التحـرر ذاتهـا، والمـدارس المختلفـة لتعريفهـا عـلى أسـس عقائديـة، أو جغرافيـة، أو ثقافيـة، ، ثـم طبيعـة العلاقـة بـين القـوى التـي تشـكل حركـة التحـرر والقـوى الخارجيـة مـن متضامنـين ومعارضـين.

وأخيراً،

تضمـن هـذا الفصـل في الأجـزاء السـابقة، خاتمـة واسـتنتاجات عامـة مـن الفصـول السـابقة، ثـم عناويـن لأجنـدة نقـاش وبحـث وتدريـب للشـباب، وهـذه العناويـن يمكـن العمـل عليهـا لتطويـر مشـاريع ثقافيـة أو فكريـة، أو جلسـات نقـاش وعصـف ذهنـي حولهـا، لتشـكل مدخـلاً لتفكـير جديـد، وبالتـالي تبنـي ممارسـات مختلفـة تأخـذ مـن التجـارب السـابقة أفضـل مـا فيهـا وتتجـاوز عثراتهـا، لذلـك فـإنّ هـذا البحـث يحتـاج إلى أن يلحـق بـه بحـث أو دليـل عمـل آخـر، أو ورش عمـل تناقـش العناويـن التسـعة في هـذا الفصـل، وتحولـه إلى برنامـج مفصـل.

قائمة المصادر والمراجع

الأراشيف

أرشيف جامعة سان فرانسيسكو.

المقابلات

أحد قيادات حركة فتح الطلابية في الجامعات الأردنية في الثمانينيات وحتى العام 1991.

أمير أبو قويدر، (حراك برافر)، 20 أيلول (سبتمبر) 2018.

جنين مرعي، (مجموعة نبض)، 22 أيلول (سبتمبر) 2018.

جهاد نمورة، (مجموعة Hope)، 12 تموز (يوليو) 2018.

حسن فرج، (منسق «الشبيبة» في حركة «فتح»، عضو المجلس الثوري للحركة)، 27 حزيران (يونيو) 2018.

سمر عزايزة، (شباب التغيير)، 20 أيلول (سبتمبر) 2018.

مجموعة من ناشطي الكتل الطلابية (ممن أنهوا دراستهم الجامعية بالفعل)، مخيم البقعة، الأردن، 24 تموز (يوليو) 2018.

هدى أبو عبيد، (حراك برافر)، 10 أيلول (سبتمبر) 2018.

الكتب

الياس خوري وميشال نوفل، **حوار مع معين الطاهر، الكتيبة الطلابية: تأملات في التجربة**، منشورات ضفاف، بيروت، 2015.

أحمد قطامش، **في التنظيم الثوري السري، الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في الوطن المحتل أنموذجاً**، حزيران 1967 – أوسلو 1993، دار الأمين، رام الله، 2011.

بسام أبو شريف، وعوزي محنايمي، **أفضل الأعداء**، دار الساقي، بيروت، 2011.

جميل هلال، (محرر)، **الشباب الفلسطيني .. المصير الوطني ومتطلبات التغيير**، مؤسسة الأرض للأبحاث، رام الله، 2016.

_____، (محرر)، **رؤية استشرافية: الحراكات الشبابية الفلسطينية**، المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات والدراسات الإستراتيجية - مسارات، البيرة، 2013.

زياد عثمان، **المشاركة السياسية للشباب الفلسطيني ظلال الماضي تحاصر المستقبل**، مركز رام الله لدراسات حقوق الإنسان، رام الله، 2008.

سليم الزعنون، **السيرة والمسيرة**، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 2013.

عادل مناع، **تاريخ فلسطين في أواخر العهد العثماني 1700- 1918**، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 2003.

عبد الوهاب الكيالي، (تحرير)، **وثائق المقاومة الفلسطينية العربية ضد الاحتلال البريطاني والصهيونية 1918- 1939**، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 1969.

عصام الغريب، **الحاج محمد أمين الحسيني، ودوره في الحركة الوطنية الفلسطينية (1897- 1974)**، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، 2014.

عصام عدوان، **حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح)، 1958- 1967**، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2010.

عماد غياظة، **الحركة الطلابية الفلسطينية، الممارسة والفاعلية**، المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية -مواطن، رام الله، 2000.

عيسى خليل محسن، **فلسطين وسماحة المفتي الأكبر الحاج محمد أمين الحسيني**، (د.ن)، عمان، 1998.

لندا طبر وعلاء العزة، **المقاومة الشعبية الفلسطينية تحت الاحتلال، قراءة نقدية وتحليلية**، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 2014.

مجدي المالكي، (محرر)، **الحركة الطلابية ومهمات المرحلة**، المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية – مواطن، رام الله، 2000.

_____، وآخرون، **مشاركة الشباب في صناعة القرار: فلسطين واقع وآفاق**، مركز بيسان للبحوث والإنماء، رام الله، 2007.

مجموعة مؤلفين، **قضية فلسطين ومستقبل المشروع الوطني الفلسطيني**، المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات، الدوحة، 2015.

محسن صالح، **التقرير الإستراتيجي الفلسطيني 2011**، مركز الزيتونة، بيروت، 2012.

محمد جمال باروت، **حركة القوميين العرب (النشأة – التطور- المصائر)**، كراس صادر عن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، 2007.

نبيل شعث، **حياتي من النكبة إلى الثورة**، دار الشروق، القاهرة، 2016.

نديم روحانا وأريج صبّاغ-خوري، (محرران)، **الفلسطينيون في إسرائيل، قراءات في التاريخ، والسياسة، والمجتمع**، مدى الكرمل، حيفا، 2013.

وقائع ورشة «الشباب يتحدثون» .. (مشروع التواصل الشبابي الفلسطيني)، المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات والدراسات الإستراتيجية - مسارات، البيرة، 2011.

يارا عبد الله، «**حركة التضامن الدولية» مع الشعب الفلسطيني**»، رسالة ماجستير، جامعة بيرزيت، 2018.

يزيد صايغ، **الكفاح المسلح والبحث عن الدولة، الحركة الوطنية الفلسطينية 1949- 1993**، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 2002.

الدوريات

أحمد عيسى، «دور الحركة الطلابية في انتفاضة الحجارة (1987)»، **مجلة سياسات**، العدد 42. سامر أبو رحمة، «الحراك الشبابي من أين وإلى أين؟»، **مجلة الدراسات الفلسطينية**، العدد 90، ربيع 2012.

خالد عنبتاوي، «كيف نقرأ الحراك الشبابي في الداخل؟ - «برافر» كمثال»، **مجلة جدل**، العدد 22، شباط (فبراير) 2015.

عبد الفتاح القلقيلي، «الشباب الفلسطيني ما قبل منظمة التحرير»، **مجلة حق العودة**، العدد 49، 2012.

غسان محمد، «الحراك الشبابي الفلسطيني في سوريا: مهمات صعبة وآمال»، **مجلة الدراسات الفلسطينية**، العدد 91، صيف 2012.

لندا طبر وعلاء العزة، «المقاومة الشعبية بعد الانتفاضة الثانية»، **مجلة الدراسات الفلسطينية**، العدد 97، شتاء 2014.

معين الطاهر، ««فتح» البدايات والمنطلق والمعنى»، **مجلة الدراسات الفلسطينية**، مجلد 28، العدد 110، 2017.

_____، «بين تأسيس رابطة طلاب فلسطين ومقاومة الإسكان والتوطين»، **مجلة سطور**، العدد 5.

نبيل السهلي، «فلسطينيو سوريا وتحولات المشهد السوري»، **شؤون فلسطينية**، العدد 259، ربيع 2015.

الصحف

الأخبار.

الأنباء

الحدث.

حق العودة.

رأي اليوم.

الرسالة.

العربي الجديد.

الغد.

القدس.

النهار.

المواقع الإلكترونية

الاتجاه.

الاتحاد العام لطلبة فلسطين في بريطانيا.

أمد للإعلام.

بوابة الهدف الإخبارية.

بيرزيت أو نلاين.

تلفزيون الفلسطينية.

الجزيرة. نت.

جمعية تشرين: www.tishreen.net

حركة BDS: www.bdsmovement.net

الحرية.

دنيا الوطن.

راديو بيت لحم 2000.

شبكة راية الإعلامية.

شبكة قدس الإخبارية.

صحيفة المشرق الإلكترونية.

صفحة حراك «ارفض... شعبك يحميك».

عرب 48.

المبادرة الفلسطينية لتعميق الحوار العالمي والديمقراطية (مفتاح).

المجموعة الفلسطينية للإعلام.

مدونة حيفا الحرة.

مدونة فسحة أمل.

المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان.

المركز الفلسطيني للإعلام.

مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

الموسوعة الفلسطينية.

موقع «حق العودة».

موقع البوصلة.

موقع الجامعة العربية الأميركية.

موقع الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.

موقع الحوار المتمدن.

موقع الشمس.

موقع الفجر.

موقع الكاتب أحمد جميل عزم.

موقع النجاح الإخباري.

موقع أهل: www.ahel.org

موقع بوابة اللاجئين الفلسطينيين.

موقع جامعة الخليل.

موقع جامعة القدس.

موقع جامعة بيت لحم.

موقع جامعة بيرزيت.

موقع جنوبية.

موقع عاصمة الشتات.

موقع عرب 48.

موقع فلسطين اليوم.

موقع مخيم الرشيدية.

موقع وزارة التربية والتعليم العالي.

مونتي كارلو الدولية.

النادي الثقافي الفلسطيني: www.palculturalclub.org

وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية (وفا).

وكالة سما الإخبارية.

وكالة شهاب للأنباء.

وكالة معا الإخبارية.

وكالة وطن.

المصادر باللغة الإنجليزية

Cheryl Benard, Civil Democratic Islam, Partners, Resources, and Strategies, (Santa Monica, CA; Arlington, VA; Pittsburgh, PA: RAND Corporation, 2003).

Ehud Rosen, Mapping the Organizational Sources of the Global Delegitimization Campaign against Israel in the UK, (Jerusalem: Jerusalem Centre for Public Affairs, 2010).

Jean – Pierre Filiu, Gaza A History, (London: Hurst & Company, 2015).

New Papers and Journals:

Algemeiner.
Associated Press.
Foreign Affairs.
Islamic Human Rights Commission.
Middle East Eye.
National Students for Justice in Palestine: www.nationalsjp.org.
Palestinian Youth Movement, USA Chapter: www.pymusa.com.
San Francisco State University.
The Guardian.
Washington Post.

المشاركون/ات

الباحث الرئيسي: أحمد جميل عزم

عضو هيئة التدريس في دائرة العلوم السياسية، جامعة بيرزيت، وعضو المجلس المركزي لمنظمة التحرير الفلسطينية، وكاتب عمود في صحيفة الغد الأردنية. زميل سابق، في جامعة كامبردج في المملكة المتحدة، وعمل في مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، حاصل على الدكتوراه من جامعة إدنبرة البريطانية.

الباحثون الميدانيون:

آية زيناتي (أراضي 48)

ناشطة نسوية وسياسية من اللد، حاصلة على بكالوريوس في الإعلام والاتصالات، وشهادة في «التفكير الإستراتيجي وإعداد السياسات» من مركز مسارات. مؤسسة مشروع «حلقات استقبال» - جولات نسوية في مدن وقرى فلسطينية. تعمل كمركّزة لجنة العمل للمساواة في قضايا الأحوال الشخصية - ائتلاف لجمعيات نسوية فلسطينية من الداخل، ومؤسسات حقوق إنسان تهتم بحقوق النساء في قضايا الأحوال الشخصية.

لبنى قطامي (الولايات المتحدة الأميركية)

باحثة في «مرحلة ما بعد الدكتوراه»، في دائرة الدراسات الإثنية، في جامعة كاليفورنيا بيركلي. حصلت على الدكتوراه من جامعة كاليفورنيا ريفر سايد، وعلى الماجستير في الدراسات الإثنية، ضمن مبادرة العرب والمسلمين في الشتات، في جامعة سان فرانسيسكو. عنوان أطروحتها

للدكتوراه «قبل السماء الجديدة: النضال المتطاول والإمكانيات لحركة الشباب الفلسطيني الجديدة». كانت عضواً في الاتحاد العام لطلبة فلسطين، والمنسقة الدولية السابقة لحركة الشباب الفلسطيني، والمديرة التنفيذية السابقة للمركز الثقافي الاجتماعي العربي في سان فرانسيسكو.

عايدة الحجار (الضفة الغربية والقدس)

حاصلة على ماجستير الدراسات الدولية من معهد إبراهيم أبو لغد- جامعة بيرزيت، عملت باحثة ميدانية في عدد من الأبحاث التي نفذت في الضفة الغربية وتمس قطاع الشباب، وتعمل باحثة ميدانية في مشروع بحث وتوثيق القضية الفلسطينية، ومقره عمّان.

مهند الأخرس (الأردن)

كاتب وباحث وروائي فلسطيني، من مواليد مخيم البقعة في الأردن، عضو المجلس الوطني الفلسطيني، محامٍ ومستشار قانوني، المنسق العام للشبيبة الفتحاوية في الأردن.

سماح كساب (قطاع غزة)

باحثة مقيمة في قطاع غزة، ساهمت في إنتاج عدد من أبحاث السياسات المتخصصة بقطاع المرأة والشباب الفلسطيني وتداعيات الانقسام الاجتماعية والثقافية. وهي ضمن طاقم الإشراف على إنتاج أبحاث سياسات وتقدير موقف في برنامج التفكير الإستراتيجي وإعداد السياسات الذي ينفذه المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات والدراسات الإستراتيجية (مسارات).

عفاف سامي شمالي (لبنان وسوريا)

من قرية العلمانية قضاء مدينة صفد، لاجئة في لبنان: بيروت، ناشطة في مجال حقوق الإنسان؛ مدرِّبة قانونية وباحثة في مجال حقوق اللاجئين الفلسطينيين في لبنان.

ريّا الصانع (المملكة المتحدة)

باحثة مقيمة في المملكة المتحدة، ناشطة طلابية، تخرجت من جامعة (SOAS) في لندن.

المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات والدراسات الإستراتيجية – مسارات
The Palestinian Center For Policy Research and Strategic Studies - MASARAT

The Palestinian Youth from Movement to Mobilization

(1908-2018)

Ahmad Jamil Azem

Research Team

Ahmad Jamil Azem

Research Assistants

Lubna Qatami, Aida Alhajjar, Aya Zinati, Samah Kassab, Muhannad Alakhras, Afaf Alshimali, Riya Al-Sanah

2019

Research Summary

This study examines the manifestations of Palestinian youth mobilizations (Hirak) since 2011. Yet, in order to conduct this research within a historical context and be able to understand the background of the current scene, the youth movements since the beginning of the twentieth century had to be researched and studied.

The main idea of the research is based on witnessing a shift in the style of the youth work from the so-called “movement” to “mobilization”. The pattern of “a movement” is based upon the adoption of a comprehensive national project by its organizers, which sometimes is a consequence of the feel of absence of effective political leadership and frameworks. One example is the establishment of the “Youth Congress Party” in the 1930s, that arose after the paralysis of the “Palestine Arab Congress”, which acted then as a Palestinian parliament and leadership. Another example is the “League of Palestinian Students” in Cairo in the early 1950s, and the groups of students who

were active within the “Al-Urwa al-Wuthqa Association” at the American University of Beirut; where the first resulted in the Palestinian National Liberation Movement, “Fatah”, and the second resulted in the Arab Nationalist Movement, which the “Popular Front for the Liberation of Palestine” emerged from.

As a result of a void, such youth movements were not the introduction to a comprehensive national project, yet they formed the arm for factions or parties and claimed the possession of a general national project; a status that prevailed during the 1970s and 1980s. It was then that Palestinian factions founded their arms and student and youth leagues, and became organized, coalesced, and competed within the General Union of Palestinian Students, which formed an important action framework that was active in the various countries of the Palestinian Diaspora.

In the wake of the 1990s, the world began witnessing the phenomenon of “Mobilizations”; i.e. waves of protests and mass activity, that were non-partisan and mostly lacked an ideology. They believed in the direct action on the streets to achieve a goal, letting the development of events in the field steer things randomly without having set plans, demands or structures, and without having an apparent leadership to these mobilizations. After the end of the Cold War, the fall of the Soviet Union and the socialist camp, and as a consequent phenomenon of globalization and the expansion of means of electronic communication which gave individuals the capacity to act and communicate, the strength and centrality of the role

of the state throughout the world has not only retreated, but the significance of the role and attractiveness of the political parties, factions, and organizing forces have diminished as well.

The Palestinian case in the 1990s was largely an exception to the global trend due to the weakness of the central authorities and powers, as that decade had witnessed the process of establishing the Palestinian Authority as part of the transitional interim peace agreements. The plan was that this authority turns into a state; hence, the spotlight was shed more on formal and bureaucratic action rather than on the non-formal one. This led to a "non-politicized" status and to the collapse of many Palestinian youth, student and popular organizations around the world, including the General Union of Palestinian Students (GUPS), whose elections have been suspended since 1990 and the vast majority of its branches around the world have disappeared.

The void and non-politicization status ended when Al-Aqsa Intifada erupted in 2000. However, Israeli policies were the cause of the militarization of such movements, which in turn, resulted in focusing on the military resistance as a response to the Israeli military attacks. Despite the restoration of the politicized status between 2000 and 2005, yet, the actual popular civil activity began to emerge only with the ending of that Intifada towards 2004-2005.

The revolutions of the Arab Spring that took place in Tunisia and Egypt in 2010 and 2011, formed a milestone in the Palestinian

youth context inside and outside Palestine, and came in various forms and shapes. It was then that the concept of mobilization crystallized in the Palestinian arena.

To highlight the difference between mobilizations and movements, their characteristics must be traced and analyzed; First, although part of the emergence of the "mobilizations" came as an expression that reflected the sense of political void as well as an inability of the current political structures to carry the burdens of the national project, yet mobilizations strode towards a specific and limited goal, with the expectation that the achievement of this goal (like ending the political division) will lead to a change in the overall components of the political scene, and thus a positive change will take place, which characteristics will be delineated later on, contrary to the movements and frameworks that were active in the twentieth century and had a very clear vision of the future.

Second, "movements" sought to reject the current situation, more than to decide new goals (they did not define their goals in a comprehensive and clear way). They refused to have leadership or organizational traditional structure, insisting that the means of social media and direct action in the field shall lead to decisions by consensus, without reverting back to the traditional hierarchical structures, which in this case, is a type of aversion from the partisan action and the monopoly of powers by leaders who are constantly holding positions. This is also followed by the refusal to adopt work patterns that require full-time and substantial financial expenses.

By studying the Palestinian youth experiences in the West Bank, Jerusalem, the Gaza Strip, the occupied Palestinian territories of 1948, Lebanon, Syria, Jordan, the United Kingdom, and the United States of America, it is clear that these characteristics did not score as high as those responsible for these “mobilizations” thought they would, which shortened the life span of these mobilizations’ frameworks, and humbled the results achieved. Consequently talks resumed, highlighting the importance of adopting more permanent and centralized frameworks, talks and discussions which explicitly called for a return to the concept of “movement”, instead of the concept of “activism/ mobilization”.

Currently, the new concept of a youth organization (civil and civic) is not yet a topic of discussion. In the fourth chapter, this study presents nine titles for a research and discussion agenda that would help any youth forums or programs to think about the next stage.

When a research ends with a question, what is the solution? Is it to revert back to old ways and methods of work?

No doubt that going back to these old methodologies is something unrealistic and bears lots of imbalances; For on the one hand, these old frameworks did not serve the purpose for which they were founded and entered instead into a structural crisis. On the other hand, their cultural, political and social concepts have changed, however, maybe it is worth considering not to breakup with those structures, and not to mull over

the mistakes and pitfalls that have occurred throughout their previous experience for them to be the reason to reject them, or to discard their contents, tools and means, yet certainly without reproducing them.

The youth need to have a clear discussion on their previous experiences. For the time being, the following are possible titles to be discussed and reflected on. Hence, these points can be part of a project or of several research and consultative projects, as well as part of some training programs and forums that shall be discussed.

First: Strategic Thinking Basics

It is necessary to explain the concept of strategy, as well as the relevant terms such as tactics and strategic phases. Therefore, it should be differentiated between the reaction and a complete plan, as well as the ability to develop any partial plan or step in the framework of a comprehensive plan.

Youth need to understand how to make future planning, draw scenarios, and differentiate between key objective factors of the overall context (game changer) and the elements that could be created or used in order to reach strategic goals, and adapt to, benefit from or overcome greater objective elements (including the international system formation, the regional phase, technological changes, natural conditions, etc.).

In the same context, there is also a differentiation between a spark, movement and revolution. There are many popular

movements in the form of demonstration or uprising, etc. after a certain event. The reaction may not be the same if a similar event takes place later.

Activists often believe that a popular movement after a certain event creates sufficient dynamics for people to continue such work, but this is inaccurate. A spark is the event or moment that comes at a specific reality creating a reaction. Therefore, the same spark might not lead to the same reaction in another time or place. Moreover, the spark and beginning of the movement is not a guarantee for its continuity, there needs to be already prepared mass, social and media structures, etc. or quick development to ensure sustainability and guidance for any popular movement.

The uprising of 1987 differs from the Tunnel Uprising of 1996, Al-Aqsa Uprising of 2000, and the uprising of 2015 in terms of reality and contexts. We need to understand the contexts and how to analyze, create and influence them, as well as how to transform (or prevent the transformation) of an event to become a spark for a movement at a certain time or place.

Second: Education on the Forms of Political Factions

Regardless of the circumstances that have created the terms of the current period, such as “movement”, “activists”, etc. There is a need to reflect on this experience and compare it to the forms of political factions.

In the past, there were three forms of political factions in the

Palestinian context in particular, and the Arab and international contexts to some extent: party, front and movement. Without going into the scientific definition or practical applications of such forms, a party is more centralized, ideological and selective in choosing its members, and it they have a determined approach; a front, at least in theory, is a collection of parties, powers or factions without any integration; while a movement has less interest in ideology, this membership criteria is broad and there is more flexibility in decision making and difference of opinion, and in allowing grassroots initiatives of members. This could all be the subject of detailed and lengthy discussion that aims at identifying advantages and disadvantages, mistakes and achievements, and how to develop the form of political factions for the current period taking into account globalization and the special conditions at the international, regional and local levels.

It is possible also to study other issues, such as funding political factions and how to utilize modern online funding mechanisms.

In addition to understanding the differences between the types of factions, the different decision making models are being studied, which differ from one type of political faction to another and from one context to another. There are many circumstances and rules the a youth starting his political activity or even overall national activity must understand, such as no falling in the never-ending democracy “idealism” trap, as well as the extremism and opposition for the sake of opposition trap, as opposed to avoiding the state of insecurity which leads

to prompt concession. One should think of the types of decision making processes, starting from what is known as democratic centralization to allowing multiple options on the margin of decisions. Also the kinds of decisions, from basic decisions that constitute a constitutional rule to programmatic policy decision to urgent executive decisions.

Third: Influencing Decision Making and the Public

As much as there is a need for understanding how a certain body, may it be youth, student, political…etc. makes a decision, there is also a need to understand the dynamics of making such decisions at the leadership level and mechanisms to influence them; how to avoid opposition for the sake of opposition, but rather opposition (or support) for the sake of change and to receive the approval of decision making bodies. The mechanisms to influence decision making processes need to be understood, staring with persuasion and dialogue to pressure and impotence and to creating or utilizing shock… etc.

There is also a need for the ability to assess the reality and interests of the public and their general state and instantaneous mood. As well as understanding means of communication with this public, and how to respect, deal with and influence them. Moreover, there is a need to understand the classification of the public into several categories and the ability to identify the forms of relations with these categories, how to deal with them on the long, medium and short term and the relative impact of these categories.

Fourth: Principles and Ideology as Proof

There is a difference between principles and ideology; however, they are greatly crosscutting. The importance of having principles and ideology and the repercussions and disadvantages that result from wrong handling of principles and ideologies, whether by turning them into a weapon against allies or supposed allies, or by insisting on them even if they contradict with actual reality.

The existence of comprehensive and sufficient programs before any movement is important, where there would be a formulated vision in the best national interest, which could be easily depended on in forming any position, opinion or plan for any occurring events, and without eliminating the possibility of changing and amending such visions in light of changing events.

Fifth: Dynamics of the Conflict

Given that the Palestinian context is that of conflict, learning the rules of conflict studies and how to deal with them is key. Issues that are important to know include how to study the conflict, what are its elements and the difference between processes of management, resolution, transforming the conflict and factors and contexts of appeasement and escalation.

Sixth: Pragmatism in Evaluating and Using Power

Power has many definitions, forms, dynamics and rules in its interaction, development and in dealing with it. All these forms

and rules must be understood before going into any conflict or alliance. There are different definitions of power, from hard, to soft, to smart…etc., such definitions could act as a guide in thinking about power, finding it, changing its scales and using it.

This leads to a clearer thinking in assessing the scales of power both quantitatively and qualitatively, and avoiding the trap of glorifying a type of power and rejecting another for example by giving moral value to some forms at the expense of others.

It is also important to understand the types and rules of conflicts of different powers in terms of greater and small powers, traditional (such as countries) and non-traditional (non-governmental and popular) powers, as well as to understand the dynamics of each conflict or alliance.

In the context of popular movements, regardless whether they were a type of power, faction or party that is supposed to be a mechanism to realize an objective, such powers sometimes transform to become the objective, sometimes at the expense of the cause. Therefore, the interests of the faction or political principle become more important than the political cause.

Seventh: Types of Contradictions – Secondary and Primary

In political relations, particularly in the context of conflict, one must know the mechanisms to distinguish between secondary and primary contradictions; identifying how to deal with each

contradiction in daily practice and in short and long term plans; and how to maintain the correct classification of conflicts and avoid misinterpretation in interacting with events.

This is also followed by understanding the meaning of identity, as well as the considerations of making political, security and struggle related decisions, and the difference between the interests of countries and the interests of liberation movements.

Eighth: Differentiating between Momentum and Unity

The agreement of large segments of the public on a certain position does not mean they are united; unity has organizational considerations, interests, beliefs and different connections. It is also related to the ability to unify thoughts and ideologies and creating mutual trust and common interests. Similar positions may give momentum to a certain cause, but establishing a united political or popular movement is a different matter. Moreover, joint positions might cause conflict sometimes, and those with similar positions are often classified as competition rather than allies, which requires analysis and understanding.

Ninth: The Relationship between Solidarity and the Liberation Movement

Liberation movement communities are divided into different categories, some are the nucleus, others are supporting fronts, broader circles of support, and opposition rejecting resistance. There is a need to study the experiences of liberation movements

to understand the nature of different community powers and the distribution of tasks and roles in them. There is also a need to study movements and the powers that led to forming them. Then there is a need to distinguish between the types of liberation movements and the different definitions based on beliefs, geography, culture…etc. and the nature of relationship between the powers that form a liberation movement and external powers of solidarity and opposition.

يـدرس هـذا الكتـاب تاريـخ الحركـة الشـبابية الفلسـطينية، وحاضرهـا، منـذ العـام 1908 إلـى العـام 2018، ويفـرّق بيـن ثلاثـة أنمـاط للحـركات الشـبابية بـرزت فـي هـذه السـنوات، تلـك التـي كانـت تقـدم نفسـها كمقدمـة وبديـل لمجمـل الحركـة الوطنيـة الفلسـطينية، بمعنـى أنّهـا حـركات شـبابية تهـدف منـذ البدايـة إلـى التطـور إلـى حركـة وطنيـة شـاملة، وإلـى قيـادة الحركـة الوطنيـة، وانتشـر هـذا النمـط حتـى خمسـينيات القـرن العشـرين. النمـط الثانـي، حيـث الأطـر الشـبابية والطلابيـة أذرعـة للفصائـل والتنظيمـات السياسـية، وسـاد هـذا النمـط مـن الثمانينيـات إلـى التسـعينيات. أمـا النمـط الثالـث، فهـو مـا يعـرف باسـم "الحـراكات" التـي نشـأت فـي القـرن الواحـد والعشـرين، والتـي تمتـاز بهلاميـة التنظيـم والقيـادة. وبعـد الاسـتعراض التاريخـي، يحـدد الكتـاب تسـع توصيـات لتطويـر العمـل الشـبابي.

أحمد جميل عزم

عضو هيئة التدريس في دائرة العلوم السياسية، جامعة بيرزيت، وعضو المجلس المركزي لمنظمة التحرير الفلسطينية، وكاتب عمود في صحيفة الغد الأردنية. زميل سابق، في جامعة كامبردج في المملكة المتحدة، وعمل في مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، حاصل على الدكتوراه من جامعة إدنبرة البريطانية.

المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات والدراسات الإستراتيجية - مسارات
The Palestinian Center For Policy Research and Strategic Studies - MASARAT

المركز الفلسطينيّ لأبحاث السياسات والدّراسات الإستراتيجيّة – مسارات

www.masarat.ps